

كوردستان و الامبراطورية العثمانية

دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان ١٥١٤ - ١٨٥١م

الدكتور سعدي عثمان هروتي
استاذ التاريخ الحديث المساعد
كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين - اربيل

كوردستان والامبراطورية العثمانية

دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان

١٥١٤ ــ ١٨٥١م

كوردستان والامبراطورية العثمانية

دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان

١٥١٤ ـــ ١٨٥١م

الدكتور سعدي عثمان هروتي

استاذ التأريخ الحديث المساعد

كلية الآداب /جامعة صلاحالدين ـ اربيل





مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر

• كوردستان والامبراطورية العثمانية

• الكاتب: الدكتور سعدي عثمان هروتي

• تصميم داخلي: گۆران جمال رواندزی

• تصميم الغلاف: مراد بهرامیان

• رقم الايداع: ٩٥٦

• السعر: ٣٢٥٠

• الطبع الاول ٢٠٠٨

• عدد: ٧٥٠

• مطبعة: مطبعة خانى (دهوك)

زنجیرەی کتێب (٢٤٦)

ماڵپەڕ: www.mukiryani.com

ئیمەیل: info@mukiryani.com

الاهداء ..

الى المؤرخ الكوردي

شرفخان البدليسي

الذي وضع اسس كتابة تاريخ الكورد وكان مؤلفه (الشرفنامة) من اهم المصادر الاساسية بالنسبة لهذه الدراسة

كلمة لابد منها

ان هذا الكتاب كان في الاصل رسالة ماجستير تم تقديمها الى كلية الآداب / جامعة صلاح الدين ـ اربيل في عام ١٩٩٥ـ وقد كتبت الرسالة في ظروف غير مساعدة، واقصد بذلك تلك الحرب الاهلية التي كانت مستعرة في كوردستان الجنوبية خلال سنتي ١٩٩٤ـ١٩٩٥. فقد خلقت تلك الظروف مشاكل نفسية واقتصادية جمة للجميع حينذاك. كما كان عدم القدرة على السفر لاسباب سياسية قد اضطر الباحث الى الاكتفاء بالمصادر المتوفرة في مكتبات المنطقة المحررة من كوردستان الجنوبية فقط.الامر الذي ترك اثراً على مصادر الرسالة وموادها الاصلية من الناحيتين الكمية والنوعية.

ولكن السنوات التي تلت اتمام هذه الرسالة كانت كفيلة بالحصول على قدر مهم من المصادر التأريخية التي تتعلق بموضوع هذه الدراسة . وخاصة عندما تسنى لي السفر الى خارج اقليم كوردستان اثناء فترة اعداد اطروحة الدكتوراه في نهاية التسعينيات . فسافرت للاطلاع على مكتبات الموصل وبغداد التي تحفل بالعديد من المصادر الاصلية والقيمة عن الموضوع .كما امدني احد الاصدقاء المقيمين في تركيا بعدد من المصادر المهمة . وبالاضافة الى ذلك فقد تم خلال تلك السنوات نشر واصدار عدد لابأس به من الوثائق والمخطوطات والكتب التأريخية الرصينة التي تخدم موضوع هذه الرسالة . ولذلك احجمت عن طبع الرسالة ونشرها كما هي عندما اتيحت لي الفرصة من قبل احدى مؤسسات النشر في عام ٢٠٠٠.وآثرت تأجيل الامر كي اقوم بتنقيحها واعادة النظر فيها بغية أغنائها من حيث المصادر والمعلومات بل ومن ناحية الصياغة والتعابير ايضاً.

ولكن لابد من القول بان ذلك الصبر والتأني قد اضر بالرسالة من جهة اخرى، حيث ان عدم نشر الرسالة وحصرها في مكتبات الجامعة قد شجع بعض المتطفلين ــ الذين لااود ذكر اسمائهم لاسباب ادبية ــ على الطمع فيها . فقد قام احد طلابي السابقين بخيانة استاذه

عندما اخذ بعض مباحث هذه الرسالة لينشرها بأسمه في احدى المجلات التي كانت تصدر في السليمانية .بل ان بعض طلاب الدراسات العليا السابقين قاموا بما يشبه ذلك العمل ايضاً، حيث نقلوا فصول او مواع محددة من رسالتي الماجستير ليجعلوه جزءا في رسائلهم او اطروحاتهم، وذلك بعد ان قاموا بتقديم وتأخير وتبديل بعض الاسطر والفقرات بهدف التمويه وعدم التعرف عليها. ولم يقتصر هذا النقل الغير قانوني والمنطقي على المعلومات التي استقيتها من المصادر، بل مدوا ايديهم الى الافكار والتحليلات والنتائج التي خرجت بها في بعض الفصول رسالتي ونسبوها الى القسم .

واخيراً آمل ان يكون نشر هذه الرسالة (الكتاب) رغم تأخره سبباً لمنع تلك الاعمال وفضعها الانها في الواقع واعتداء على الافكار ونهب له نتاج القرائح.

قائمة الرموز والمختصرات

أولاً: الرموز العربية:

ص	: الصفحة
ح ص	: حاشية صفحة
م.س	: المصدر السابق
م.ن	: المصدر نفسه
ج	: الجزء، الجلد
مج	: المجلد
ط	: الطبعة
ت	: الترجمة
ع	: عدد
ق	: قسم
س	: السنة
د. م	: دون مكان الطبع
د.ت	: دون تأريخ الطبع

ثانياً: الرموز الكوردية:

س.پ (سەرچاوەی پێشوو)	: المصدر السابق
هـ.س(هەمان سەرچاوە)	: المصدر نفسه
و (وەرگێڕان)	: ترجمة
ب (بەش، بەرگ)	: جزء، جلد
ب.ش(بێ شوێنی چاپ)	: بدون مكان طبع
ب.س (بێ ساڵی چاپ)	: بدون سنة الطبع
چ (چاپ)	: طبعة
ل(لاپەڕە)	: صفحة
ژ (ژمارە)	: العدد
س (ساڵ)	: السنة

ثالثاً: الرموز الانكليزية والتركية اللاتينية:

op. cit	: المصدر السابق
Ibid	: المصدر نفسه
(Edited by) ed.	: اعداد
(Volume) vol.	: جزء
(Published) Pub.	: طبعة
(page) p	: صفحة
S (sayfa) بالتركية	: صفحة

فهرست المحتويات

المقدمة
(نطاق البحث وتحليل المصادر)

يتناول هذا الكتاب التطور السياسي لكوردستان- الجزء الذي خضع لنفوذ الامبراطورية العثمانية- بين سنتي ١٥١٤-١٨٥١، مركزاً على المتغيرات السياسية التي شهدتها في اطار النفوذ العثماني، وأنماط السياسات التي اتبعها العثمانيون إزائها. وكذلك يبحث الكتاب أهم التطورات السياسية الذاتية في كوردستان، متمثلةً بتبلور الوعي القومي الكوردي وخاصة في نهاية الفترة المعنية بالدراسة. ثم تواصل بقاء وتطور الكيانات السياسية الكوردية المتمثلة بالامارات التي كانت قائمة على أديم كوردستان حتى منتصف القرن التاسع عشر. وكذلك التطورات والاحداث السياسية التي وقعت هناك ،دون التطرق الى الجوانب الاخرى، كالاقتصادية والاجتماعية .

ان الفترة المعنية تتمتع بميزاتها الخاصة. كما أنها حافلة بالاحداث الخطيرة والمصيرية، اذ شهدت كوردستان في مستهل تلك الحقبة الزمنية نقطة تحول هامة في مسيرتها التاريخية، تمثلت في معركة چالديران الفاصلة في عام ١٥١٤م، ومعارك اخرى تلتها ادت الى انحسار النفوذ الصفوي في المنطقة مقابل امتداد النفوذ العثماني، ليشمل الاخير الجزء الاعظم من كوردستان، وكان ذلك ايذاناً ببدء عهد جديد في معظم اجزاء كوردستان. فكتب لها البقاء فيه مدة تناهز أربع مئة سنة، مما أثر في مسيرتها التأريخية.

يمكن ان يطلق على ذلك العهد في كوردستان: عهد الامارات والزعامات المحلية، حيث ان الاتفاق الذي أبرم في عام ١٥١٤م بين السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠م) من جهة والامراء والزعماء الكورد من جهة اخرى وذلك بوساطة ادريس البدليسى، قد كرس وجود تلك الامارات واعطاها صفة رسمية، واصبحت تلك الصفة مرتكزاً لها نحو التوسع والازدهار.

كما شهدت تلك الفترة بالاضافة الى الصراع العثماني الايرانى المتواصل، صراعاً مريراً بين السلطات العثمانية التي كانت تحاول توسيع رقعة نفوذها في كوردستان واحكام سيطرتها على ما تحت أيديها، وبين الامارت الكوردية التي كانت تحاول الابقاء على كياناتها والحفاظ على

أستقلالها الذاتي التي تمتعت بها بموجب الاتفاق المذكور. فأتبع المسؤولون العثمانيون في سبيل ذلك سياسات مختلفة لتمكينهم من تحقيق ذلك. وفي الوقت نفسه اندلعت انتفاضات و حركات كوردية عدة، وذلك كردود أفعال لهذه السياسات وكمحاولات لتجاوز النفوذ العثماني، نذكر منها على سبيل المثال انتفاضة ابن جانبولاد، وانتفاضات الامير عبدالرحمن باشا البابـاني، وانتفاضات أخرى تطلب القضاء عليها الكثير من الجهد والاموال من العثمانيين.

وفي أواخر تلك الفترة، أي في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، أستيقظت الدولة العثمانية من سباتها قليلاً، وبدأت محاولاتها الاصلاحية، وخاصة من قبل السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) الذي سعى في اطار تلك الأصلاحات الى تقوية السلطة المركزية للدولة واعادة الهيبة الى مؤسساتها. وكان ذلك يعني القضاء على الزعامات والكيانات المحلية في كافة أنحاء الامبراطورية، والتي شملت كوردستان أيضاً. فتعرضت الامارات الكوردية لمحاولة الالغاء، كما تعرضت كوردستان للخراب والتدمير خلال الحملات العثمانية الهادفة الى تطبيق السياسة ((المركزية)) في الاقاليم الكوردية. ولكن هذا الامر لم يتم بسهولة للسلطات العثمانية ، فقد جوبهت تلك المحاولات بمقاومة كوردية جدية، وذلك عندما دافعت الامارات الكوردية من أجل أستقلالها وسعى الكورد للحفاظ على الكيانات السياسية المحلية التي كانت قائمة منذ قرون عدة. وتوسع نطاق بعض الانتفاضات الكوردية ليشمل مناطق شاسعة من كوردستان، كإنتفاضتي الامير محمد باشا الرواندوزي والامير بدرخان بك البوتاني اللتين شكلتا تهديداً خطيراً للامبراطورية العثمانية. ورغم ذلك فقد نجح العثمانيون أخيراً في مسعاهم، اذ تم لهم القضاء على الامارات الكوردية نهائياً في عام ١٨٥١م وانتهى بذلك عهد الامارات في كوردستان، التي دخلت عهداً جديداً افتقرت فيها الى الاستقلال الذاتي التي تمتعت بها سابقاً في ظل اماراتها وكياناتها المحلية.

والجدير بالذكر ان الانتفاضات الكوردية الاخيرة وبالأخص تلك التي اندلعت ضد المحاولات العثمانية الرامية الى انهاء الامارات الكوردية، قد شكلت الجذور الاولى للحركة الوطنية الكوردية، واصبحت اساساً لتلك الحركة التي تطورت في الفترة التي تلتها حتى بلغت نضجها في

انتفاضة الشيخ عبيدالله النهري عام ١٨٨٠م، حين طالب الأخير بتأسيس دولة كوردية مستقلة في كوردستان العظمى[1].

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تصديها لكل تلك التطورات والحوادث المهمة التي حفل بها تأريخ كوردستان في تلك الحقبة الزمنية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تلك المدة لم تنل حظها من الدراسات الاكاديمية والعلمية، بل افتقرت الى الحد الادنى منها حسب علمنا. ولعل ذلك عائد الى قلة المصادر التي يستفاد منها لدراستها، اضافةً الى تعدد لغات تلك المصادر وصعوبة الحصول عليها، مما يشكل عائقاً جدياً على الباحث المتصدي للموضوع إجتيازه والتغلب عليه.

تتوزع موضوعات الكتاب على خمسة فصول، يتناول الفصل الاول الاوضاع السياسية في كوردستان قبل السيطرة العثمانية عليها، فيحدد الخارطة السياسية لها في بداية القرن السادس عشر، مبيناً أهم الامارات الكوردية القائمة آنذاك مع تحديد موقعها ونفوذها وأميرها الحاكم في بداية القرن المذكور، ثم يستعرض التوسع الصفوي في كوردستان، والذي ادى الى امتداد الهيمنة الصفوية الى جزء كبير من مناطقها، مع دراسة لسياسة الشاه اسماعيل الاول الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤) تجاه الامارات الكوردية، والتي تميزت بعدم الثقة والقسوة الشديدة. ويتعرض الباحث بعد ذلك لجذور الصراع الصفوي العثماني على كوردستان، ثم تطور حدة الصراع ومنازلتهما الكبرى في چالديران عام ١٥١٤، والتي انتهت بانتصار العثمانيين بمساعدة بعض الامراء الكورد. و ذلك بعد ان نجح البدليسي (المستشار الكوردي لدى السلطان سليم الاول) في استمالتهم. وأخيراً يأتي الفصل الى بحث نتائج تلك المعركة على كوردستان، وأثرها في النفوذ الصفوي الذي بدأ بالانحسار في المناطق الكوردية، وخاصة بعد ان انقض الكورد على الحاميات الصفوية في معظم مناطق كوردستان في اعقاب المعركة المذكورة.

أما الفصل الثاني الذي يبحث عملية السيطرة العثمانية على كوردستان، فيتألف من ثلاثة مباحث: يتناول المبحث الاول التوسعات العثمانية في كوردستان في عهد السلطان سليم الاول، فيمهد لذلك باستعراض سيرة ادريس البدليسي الذي كان له الدور الفعال في تلك العملية، ثم يواصل استعراض الصراع العثماني – الصفوي الذي وصل الى عمق كوردستان، والعمليات

(١) حول تلك الانتفاضة راجع: د. جەلیلی جەلیل، راپەڕینی کوردەکان سالی ١٨٨٠، و: د. کاوس قەفتان، بەغدا، ١٩٨٧.

العسكرية الكوردية والعثمانية المشتركة الموجهة ضد القوات الصفوية الباقية في بعض مناطق كوردستان، والتي ادت الى وقوع معركة فاصلة اخرى وذلك في منطقة (قوج حصار) في عام ١٥١٦. فاصبحت نتائج تلك المعركة مكملة لنتائج معركة (چالديران)، فأدى ذلك الى انهاء النفوذ الصفوي في غربي جبال زاگروس. و يتناول المبحث الثاني التنظيمات السياسية والادارية العثمانية في كوردستان عقب انضمام جزء كبير منها الى النفوذ العثماني، فيبحث قبل ذلك في العوامل التي ادت الى تلك النتيجة ثم يدرس الاتفاق الكوردي- العثماني المبرم في عام ١٥١٤، وكذلك فرمان السلطان سليم الاول الى البدليسي. ويحدد بعد ذلك التنظيمات الادارية والسياسية التي أجريت في كوردستان، فيختتم المبحث بتقويم لشخصية البدليسي التي طالما كان دوره في تاريخ الكورد محلاً للنقاش بين الباحثين والمتصدين للموضوع. اما المبحث الثالث فيتناول توسعات السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) الذي توجه في حملتين كبيرتين نحو ايران، فتح في طريقها بعض المناطق الكوردية الاخرى، وهي مناطق (وان) و(ارضروم) و(شهرزور). وكذلك يحدد الموقف من امارة اردلان، التي رفضت حيناً من الدهر النفوذ العثماني، ثم يبين تنظيمات السلطان سليمان الادارية في كوردستان.

وفي الفصل الثالث يحاول الباحث عرض ودراسة انماط السياسات التي اتبعها العثمانيون لترسيخ سيطرتهم على كوردستان، فيبين أهم تلك السياسات واهدافها مع سبل تنفيذها والعوامل المساعدة لذلك، كما لا ينسى الباحث ان يذكر بعض النماذج التي طبقت فيها السلطات العثمانية تلك السياسات، و ذلك لكي يأخذ الموضوع إطاراً واقعياً.

ويشتمل الفصل الرابع على دراسة موقف الامارات الكوردية والدول المجاورة من السيادة العثمانية على كوردستان، وينقسم الى مبحثين: يتناول المبحث الاول الموقف الكوردي الذي أخذ شكلين: يتّسم الاول بالسلب، حيث انعكس على نظرة الكورد للعثمانيين. والثاني بالايجاب، لأنه تمثل بالحركات والانتفاضات الكوردية المسلحة التي اندلعت ضد السيادة العثمانية نتيجة جملة عوامل ذاتية و موضوعية. أما المبحث الثاني فيتناول سياسة الدولتين الايرانية والروسية في كوردستان التابعة للامبراطورية العثمانية. وفيما يتعلق بايران فحاولت الدراسة تحديد تلك السياسة التي كانت تحركها الاطماع الايرانية ودوافعها في اعادة هيمنتها على الجزء الذي فقدته من كوردستان في اعقاب معركة چالديران ١٥١٤. وأخذت السياسة المذكورة ثلاثة محاور، الاول: توجيه الحملات العسكرية عليها، والثاني: التدخل في شؤونها الداخلية، الثالث: قيامها بدعم

الشخصيات الكوردية الناقمة على السيادة العثمانية أو الطامعة في منصب الامارة. ثم يأتي المبحث الى مسألة استمرار الصراع العثماني الايراني على كوردستان والذي أخذ شكل معارك متقطعة تتخللها معاهدات تعقد بينهما لتنهي الصراع بشكل مؤقت. وأخيراً يتناول هذا الفصل سياسة روسيا في كوردستان، والتي تمثلت في محاولة استمالة زعماء الكورد والاستفادة من قواهم العسكرية ضد العثمانيين في الحروب التي كانت تنشب بين روسيا والامبراطورية العثمانية.

أما الفصل الخامس فمكرس للهجوم العثماني الشامل على كوردستان، والذي ادى الى اسقاط الامارات الكوردية. وكان الهجوم المذكور نتيجة من نتائج تلك الاصلاحات التي قامت بها السلطات العثمانية لإعادة هيبة الدولة وفرض السلطة المركزية على اقاليم الامبراطورية، وكانت الاقاليم الكوردية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر يعمها الاستياء العام والانتفاضات المسلحة ضد الدولة العثمانية، التي بلغت حالة سيئة من الفساد والظلم. وفي اعقاب الاصلاحات المذكورة جهزت الدولة العثمانية حملة واسعة النطاق بقيادة مصطفى رشيد باشا لاعادة اخضاع كوردستان، ولكن الاخير مات قبل ان يكمل المهمة، فحل محله حافظ باشا الذي كان اشد قسوة منه، فجاب كوردستان طولاً وعرضاً ناشراً الويلات والدمار فيها. وكان من نتائج ذلك الهجوم ان سقطت الامارات الكوردية واحدة تلو الاخرى؛ فسقطت سوران عام ١٨٣٦ بعد القضاء على انتفاضة أميرها محمد باشا الرواندوزي. فتلتها إمارة بادينان عام ١٨٣٧ بعد مقاومة عنيدة. وبعد ذلك سقطت امارة بوتان في عام ١٨٤٧،حين تمكن العثمانيون من الانتصار على انتفاضة الامير بدرخان بك الذي كان قد تمكن من تكوين تحالف كوردي للعمل المشترك، الا إنه أخفق في ذلك. وجاء بعد ذلك سقوط إمارة هكاري في عام ١٨٤٩، ثم امارة بدليس في العام نفسه،وبعد ذلك امارة بابان في عام ١٨٥١وذلك بصورة تدريجية. وبذلك انطوت صفحة الكيانات السياسية في تاريخ كوردستان. ثم يدرس الفصل العوامل التي أثرت في فشل المقاومة الكوردية، ويختم ببحث أهم الآثار والنتائج التي ترتبت على الهجوم الأخير.

لقد اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الاولية والثانوية التي تسنى للباحث الحصول عليها، ولكن هناك قلة من المصادر الاخرى التي لم يكن بالامكان الوصول اليها، لذلك تم الاعتماد اضطراراً على ماورد منها على صفحات مؤلفات اخرى متيسرة. تتنوع مصادر الدراسة من حيث الاهمية وكذلك اللغة المكتوبة بها، ولكن الوثائق التاريخية المنشورة تأتي في

مقدمة تلك المصادر. وعلى رأس تلك الوثائق يجب الاشارة الى الوثائق الموجودة في كتاب: (میرنشینی ئەردەلان بابان سۆران لە بەلگەنامەی قاجاریدا) ،فقد جمع فيه الباحث والمترجم (محمد حمه باقی) باقة من الوثائق القاجارية المتعلقة بتاريخ ثلاث امارات كوردية، ونشرها باللغة الكوردية مع نصوصها الاصلية الفارسية. وكانت تلك الوثائق كفيلة بالقاء الضوء على جوانب مهمة من تاريخ تلك الامارات وعلاقاتها بالدولتين العثمانية والقاجارية. كما توضح السياسة الايرانية تجاه المناطق الكوردية الخاضعة للدولة العثمانية. وكانت ذات أهمية استثنائية فيما يتعلق بحركات عبدالرحمن باشا البابابي وانتفاضة محمد باشا السوراني.

وأعتمد الباحث كذلك على عدد من الوثائق العثمانية الواردة في كتاب (مجموعة منشآت السلاطين) للمؤرخ العثماني الرسمي (فريدون بك) وذلك من خلال المؤرخ (د. زرار صديق توفيق) الذي نشر تلك الوثائق بعنوان (چوار بەلگەنامە لە بارەی سەرەتاکانی پێوەندی کورد و عوسمانییەکان- أربعة وثائق حول بدايات العلاقة بين الكورد والعثمانيين) في مجلة (رامان) العدد (٦٥) الصادر في (تشرين الثاني ٢٠٠١). و الوثائق المذكورة عبارة عن رسائل عدة مرسلة من السلطانين العثمانيين بايزيد الثاني وسليم الاول للامراء الكورد قبل معركة چالديران وبعدها. وفيما يتعلق بنصوص المعاهدات المعقودة بين الدولة العثمانية وايران تمت الاستفادة من المصدر الوثائقي الانگليزي (Diplomacy in the Near and Middle East/الدبلوماسية في الشرقين الادنى والاوسط) لمؤلفة (Huerewitz).

وتأتي المصادر التركية – العثمانية بعد تلك الوثائق من حيث الاهمية و الاصالة، وذلك لان اغلب تلك المصادر قد وضعت من قبل مؤلفين كانوا قريبين من الاحداث زمنياً، أو كانوا مؤرخين رسميين للدولة العثمانية، فأطلعوا على سجلاتها و وثائقها الرسمية. ورغم ان معظم تلك المصادر تمثل وجهة النظر العثمانية ازاء الحوادث السياسية والعسكرية، ولكنها لا يمكن الاستغناء عنها في أية دراسة تأريخية تتناول تلك الفترة المعنية بالدراسة. ومن اهم تلك المصادر يجب الاشارة اولاً الى كتاب (تأريخ جودت) لمؤلفة (احمد جودت) الذي يتناول فترة (ما بين سنتي ١٧٧٤-١٨٢٧م) في اثني عشر مجلداً. يتضمن الكتاب معلومات مفصلة وغزيرة عن معظم الحوادث التأريخية المتعلقة بكوردستان خلال الفترة التي يؤرخ لها، وخاصة حوادث إمارة بابان والصراع العثماني – الايراني الدائر في كوردستان.

أما كتاب (رسملي وخريطةلى عثمانلي تاريخي) للمؤرخ (احمد راسم) الذي يتكون من أربعة أجزاء، فيعد من التواريخ العثمانية العامة، ولكنه أفاد هذه الدراسة بمعلومات تتعلق بأحداث ما بعد معركة چالديران والصراع العثماني – الايراني. وفيما يتعلق بالصراع المذكور استعان الباحث بكتاب (گلشن معارف) للمؤرخ (محمد سعيد المدرس- توفي في ١٨٣٥م) والذي يتضمن حوادث الدولة العثمانية حتى عام ١٧٧٤م من خلال مجلدين ضخمين. وكذلك كتاب (روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين) المعروف بـ(تاريخ نعيما) للمؤرخ (مصطفى نعيما الحلبي- توفي عام ١٧١٥م)، وكتاب (تأريخ جلبي زاده) الذي يتناول أخبار الغزوات العثمانية في ايران خلال سنوات (١٧٢٢-١٧٢٨م). والكتاب الأخير ذو أهمية استثنائية لأحداث تلك الغزوات و دور الكورد فيها، وذلك لأن مؤلفه (اسماعيل عاصم كوچك جلبي زاده) كان معاصراً لتلك الاحداث، ويعد مؤرخاً رسمياً للدولة العثمانية خلال الفترة المذكورة، فأطلع على الوثائق الرسمية العثمانية المتعلقة بالموضوع.

وتنبغي الاشارة الى مصدر آخر ضمن المصادر التركية العثمانية وهو (دولت عثمانية تاريخي) للمؤرخ النمساوي (جوزيف هامر بورجشتال) وذلك لان الباحث اعتمد على الترجمة التركية للكتاب والتي قام بها (محمد عطا). يتناول هذا الكتاب تاريخ الامبراطورية العثمانية والبلاد التابعة لها بصورة مفصلة منذ تأسيس الدولة حتى أواخر القرن الثامن عشر في اثني عشر مجلداً. ورغم ان المؤرخ وضع هذا الكتاب في القرن التاسع عشر ولكنه اعتمد على المصادر الاولية المتعلقة بكل حقبة يتصدى لها. ولذلك احتوى الكتاب معلومات مفصلة ومهمة عن تاريخ كوردستان خلال ذلك العهد. فتم الاعتماد عليه بصورة رئيسة في الفصلين الاول والثاني من هذا الكتاب.

تأتي المصادر المكتوبة بالعربية والمترجمة اليها بعد المصادر التركية من حيث الاهمية، وفي مقدمة تلك المصادر يجب الاشارة الى كتاب (الشرفنامة) للامير شرفخان بن شمس الدين البدليسي (١٥٤٣-١٥٩٨م)، الذي كتب في أواخر القرن السادس عشر باللغة الفارسية فيتناول تأريخ الكورد والامارات الكوردية، ولا يمكن للباحث المتصدى لتأريخ الكورد الاستغناء عنه لأنه من الكتب النادرة والفريدة التي تبحث في تاريخ الكورد خلال تلك الحقبة من جهة، ومن جهة أخرى لان المؤلف كان قد عاش وشارك في احداث عهده لكونه أميراً لامارة بدليس الكوردية. وتميز بالحياد ازاء الحوادث التاريخية وبالنقد والتمحيص ازاء مصادره الاولية عند

الكتابة. أما فيما يتعلق بهذه الدراسة، فتكمن أهميته من حيث القائه الضوء على التوسعات العثمانية والصفوية في كوردستان خلال القرن السادس عشر، ولكون المؤلف أميراً كوردياً فإنه كان ذا علم و دراية بالعلاقة التي كانت قائمة بين السلطات العثمانية والامارات الكوردية، ولذلك كان الكتاب المذكور مصدراً مهماً في هذا الجانب أيضاً.

وثمة مصدر آخر من الضروري ذكره هنا وهو ما يسمى بـ(مذكرات مأمون بك بن بيگەبك)، وهي في الاصل رسالة باللغة التركية العثمانية قدمها أحد امراء اردلان المسمى: مأمون بك الى السلطان مراد الثالث بمناسبة جلوسه على العرش في سنة ١٥٧٤ بيّن فيه مظلوميته وطالباً العفو من السلطان. حيث كان المذكور تحت الاقامة الجبرية في استانبول. وتكمن أهمية هذه الرسالة أو المذكرات في كونها مصدراً مهماً في موضوع التوسع العثماني في شهرزور خلال عهد السلطان سليمان القانوني وما بعدها، ومقاومة امارة اردلان له. واستفادت دراستنا منها في هذا الجانب .

ومن المصادر المهمة أيضاً كتاب (گلشن خلفا) الذي الف من قبل نظمي زادة مرتضى افندي (توفي سنة ١٧٢٣م) باللغة التركية. يتناول الكتاب حوادث المنطقة منذ سقوط الدولة الاموية الى سنة ١٧١٧ مركزاً على حوادث الدولة العثمانية والعراق وايران ابتداءً من القرن السادس عشر. ويعطي الحوادث التي وقعت بين سنتي ١٦٣٨-١٧١٧ أهمية خاصة لأنه معاصر لها. ويحوي معلومات تاريخية عن معركة چالديران وفتوحات السلطان سليمان القانوني والحملات التي وجهها ولاة بغداد العثمانيون على الامارات الكوردية. والجدير بالذكر ان المؤلف يعبر عن وجهة النظر العثمانية.

وضمن قائمة تلك المصادر تجدر الاشارة الى كتاب الشيخ رسول حاوى الكركوكلى (توفي سنة ١٨٢٤) (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء)، والذي كتب اساساً بالتركية بأمر من داود باشا (والي بغداد ١٨١٦-١٨٣١م). و لذلك كان من الطبيعي ان يمثل وجهة النظر العثمانية الرسمية، لانه اعتمد في تدقيق مصادره و رواياته الشفوية على السجلات الرسمية. وقد عد المؤلف كتابه ذيلاً لـ(گلشن خلفا)، الا انه جاء اكثر إتقاناً و اكثر تنوعاً من حيث المصادر. ولذلك يعد الكتاب من المصادر المهمة عن تاريخ العراق و كوردستان الجنوبية فيما بين سنتي (١٧٢٠-١٨٢٢) حيث ركز على وقائع العراق و ايالة بغداد بالاضافة الى تناول حوادث الدولة

العثمانية و كوردستان وايران أيضاً. وقد رجعت اليه عند بحث انماط السياسات العثمانية في كوردستان والحملات التي كانت يشنها ولاة بغداد على الامارات الكوردية، وامارة بابان خاصة.

أما كتاب (تاريخ بغداد) أو مايسمى بـ(حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) للشيخ عبدالرحمن السويدي (١٧٢٢-١٨٠٥م) ـ الذي دون في عام ١٧٤٨ بطلب من احدى نساء المماليك ـ فيعد من التواريخ المحلية. حيث يتناول تاريخ العراق في النصف الاول من القرن الثامن عشر من خلال سيرة واليين حكما ولاية بغداد خلال الحقبة المذكورة. يتألف الكتاب من جزئين: يختص الجزء الاول بسيرة الوالي حسن باشا (١٧٠٤-١٧٢٣م)، وقد نشر هذا الجزء بتحقيق (د. صفاء خلوصي) في عام ١٩٦٢. أما الجزء الثاني الذي يتناول عهد الوالي احمد باشا (١٧٢٣-١٧٤٧م) فقد نشر ضمن كتاب (ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان) من قبل (محمد بهجة الاثري). ورغم ان المؤرخ يعبر عن وجهة النظر الرسمية لولاية بغداد، ولكن الكتاب يمتاز بأهمية واضحة، فالمؤلف كان معاصراً لمعظم الاحداث التي دونها، فافادني في الاطلاع على السياسات العثمانية ازاء كوردستان، وكذلك في معرفة أحداث هجمات نادرشاه على المناطق الكوردية.

وهناك مصدر آخر باللغة العربية بعنوان (مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داوود) للشيخ عثمان بن سند البصري (١٧٦٧-١٨٣٤م)، والذي وضع في عام ١٨٢٥ بتكليف من داوود باشا ايضاً. وبذلك يدخل أبن سند في جملة (مؤرخي البلاط) أيضاً. يتضمن هذا الكتاب أخباراً تاريخية هامة عن احداث العراق السياسية فيما بين سنتي (١٧٧٤-١٨٢٥). وقد رجعنا اليه عند الكلام على انتفاضات عبدالرحمن باشا البابانى، و سياسات ولاة بغداد تجاه الامارات الكوردية والسياسة الايرانية في كوردستان وامارة بابان خاصة .

كما اعتمدنا على مؤلفات ياسين بن خيرالله العمري (١٧٤٤-١٨١٦) وخاصة كتابه المعنون (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام) وكذلك (زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية) و (غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر) و (منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء). وتعد تلك المؤلفات من المصادر المحلية المهمة عن تاريخ العراق خلال العهد العثماني. فالمؤلف عاصر أحداث ذلك العهد ودون الكثير من أخباره، وقد استفدنا منها فيما يتعلق بأنماط السياسات العثمانية في كوردستان، حيث تتضمن تلك المؤلفات الكثير من النماذج عن تلك السياسات، ولكن يلحظ عليها الانحياز الى ولاة الموصل . لأنه كان يعيش في كنفهم.

أما المؤرخ العراقي المملوكي الاصل (سليمان فائق بك- توفي ١٨٩٦م) فقد وفّر معلومات تأريخية مهمة ومفيدة للدراسة من خلال مؤلفاته التي اعتمدنا عليها وهي: (مرآة الزوراء في أخبار الوزراء- المنشور بعنوان: تأريخ بغداد) و (تاريخ المماليك ((الكولهمند)) في بغداد) و (حروب الايرانيين في العراق). وتمتاز تلك المؤلفات بالدقة والموضوعية الى حدما، نظراً لأعتماد المؤرخ على السجلات الرسمية وروايات شهود عيان اضافة الى مشاهداته الشخصية.

ويحتوي كتاب (تاريخ الامارة البابانية) لمؤلفه (حسين ناظم بيگ) أخباراً مفصلة و دقيقة ـ الى حد كبير- عن احداث الامارة المذكورة، وعلاقات امراء بابان مع القوى المجاورة و خاصة السلطات العثمانية وايران. يجدر بالذكر ان المؤلف كوردي عاش في السليمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولكنه الف كتابه باللغة التركية العثمانية. فظل الكتاب مخطوطة معروفة الاسم[٢] ولكنها كانت مجهولة المصير لفترة طويلة من الزمن، حتى قام المترجمان (شكور مصطفى) و (محمد الملا عبدالكريم المدرس) بترجمتها الى العربية ونشرها في عام ٢٠٠١.

وقبل ان نترك الحديث عن المصادر العربية يجب ان نذكر بعض الكتب الحديثة نسبياً والتي احتوت آراء و وثائق و معلومات تأريخية لا يمكن تجاهلها. وخاصة مؤلفات (عباس العزاوي) المعنونة بـ (تاريخ العراق بين احتلالين) و(شهرزور ـ السليمانية/ اللواء والمدينة) و(العمادية في مختلف العصور). وتمتاز تلك المؤلفات بمعلوماتها الغنية ومصادرها الاصلية وآرائها الحيادية. وكان كتاب (العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران) للمؤلف (شاكر صابر الضابط) مصدراً مهماً للاطلاع على نصوص المعاهدات العثمانية ـ الايرانية، والتي كانت معظمها لها علاقة مباشرة بالكورد وتاريخهم.

أما المصادر التي كتبت باللغة الكوردية،والتي اعتمدنا عليها، فهي أربعة مصادر تجدر الاشارة اليها وهي اولاً: المصدر العثماني المشهور (أولياچلبى سياحتنامەسى) للرحالة العثماني (أولياچلبى) الذي ألف الكتاب في سنة ١٦٥٥م في ستة مجلدات. ورغم اننا قد استفدنا من الكتاب بلغته الاصلية (التركية) في بعض المواضع، ولكن أستفادتنا منها بالدرجة الاساس كانت من الترجمة الكوردية في اكثرالمواطن . حيث قام المترجم (ناكام) بأختيار الفصول المتعلقة بكوردستان من الكتاب فترجمها بعنوان (كورد لە مێژووی دراوسێکانیدا- الكورد في تواريخ جيرانهم). والكتاب في الاصل ملاحظات دونها الرحالة عن المناطق التي زارها، متناولاً الجوانب

---

(٢) أشار المؤرخ محمد امين زكي الى هذه المخطوطة مراراً في كتاب (تاريخ السليمانية).

الادارية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والسياسية. ولذلك فالكتاب يتضمن مادة غزيرة عن أوجه الحياة المختلفة في المنطقة. ورغم انحيازه وتمثيله للجانب العثماني في سرد الحوادث لكونه موظفاً عثمانياً، الا ان معاصرته لكثير من الحوادث التي دونها، واطلاعه على مصادر مهمة في عهده يعطيان الكتاب أهمية واضحة. وقد كان محلاً للاعتماد عند الحديث عن الاتفاق الكوردي- العثماني وتوسع العثمانيين في كوردستان في عهدي السلطان سليم الاول والسلطان سليمان القانوني والتنظيمات الادارية – السياسية العثمانية في كوردستان، كما شكل مصدراً أساسياً عند بحث الهجوم العثماني الذي قام به ملك احمد باشا (والي وان) على إمارة بدليس والقضاء على أميرها ابدال خان.

أما كتاب (مێژووی ئەردەلان- تأريخ اردلان) لمؤلفته (مستورة ماهشرفخانم) ابنة ابي الحسن بك بن محمد آغا ١٨١٤-١٨٤٨م)، والتي دونت الكتاب بالفارسية عن امارة اردلان التي تنتمي هي الى عائلتها الحاكمة، فيعد من المصادر المهمة لتاريخ الامارة المذكورة. وذلك بالرغم من بساطة اسلوب الكتاب وعدم دقته في ذكر الحوادث التاريخية وبالأخص حوادثها القديمة، وقد اعتمدنا على الكتاب عند تعلق الامر بإمارة أردلان.

أما المصدر الثالث فيتمثل في مصنفين صغيرين وهما ذيلان منفصلان لكتاب (الشرفنامة)، وقام الباحث الكوردي (أنور سلطاني) بجمعهما وترجمتهما الى الكوردية لينشرهما في كتاب واحد عنوانه (دوو ذەیلی شەرەفنامەی بدلیسی). كتب الذيل الاول بالتركية في عام ١٦٨٧م من قبل شخص يدعى (شمعي)، ويتحدث عن امراء إمارتي (اگيل) و (پالو) من التاريخ الذي انتهى عنده كتاب الشرفنامة حتى السنة المذكورة. أما الذيل الثاني فدون بالفارسية في عام ١٨١٠ من قبل (محمد ابراهيم الاردلاني) ويختص بتأريخ امارة اردلان في المدة مابين سنتي (١٥٩٠-١٨١٠م). ويمكننا ان نعد الذيلين المذكورين مصدرين أصليين لتاريخ الكورد خلال المدة التي يختصان بها، لأن المؤلفين كانا معاصرين لتلك الفترة وكانا قريبين أيضاً من الاحداث التي يرويانها. وذلك في الوقت الذي تفتقر فترة مابعد الشرفنامه الى مصنفات تاريخية مختصة بتأريخ الكورد الى حد كبير[3]. ولذلك كانا محل فائدة لهذه الدراسة، وخاصة في الفصل الثالث المتعلق بسياسة السلطات العثمانية ازاء الامارات الكوردية.

---

(٣) حول ذلك ينظر: سعدي عثمان، مێژوو نووسین لای کورد لە سەردەمی نوێدا (١٥٠٠-١٩٠٠)، گۆڤاری (رامان) ژ(٢٩) تشرینی دووەم ١٩٩٨، ل ١١٠.

أما المصدر الكوردي الرابع الجدير بالاشارة فهو كتاب (كورد له جەنگی روسیا لەگەڵ ئێران وتورکیادا) الذي كتب في الاصل بالروسية من قبل (پ. ی. أڤيريـانوڤ) وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. ويشكل الكتاب مصدراً وثائقياً مهماً عن السياسة الروسية إزاء كوردستان وعلاقات الكورد بروسيا القيصرية عموماً. لأنه كتب بتكليف رسمي من الحكومة، بهدف دراسة امكانيات الاستفادة من القوى الكوردية في الحرب ضد الدولتين العثمانية والقاجارية. كما اطلع الكاتب ـ وهو ضابط روسي ـ على الوثائق الروسية التي تتعلق بهذا الموضوع، ونشر جزءاً منها في ملحق الكتاب ومن هذا المنطلق كان هذا المصدر ذا فائدة عظيمة لهذه الدراسة.

أما فيما يتعلق بالمصادر الفارسية فمن الضروري الاشارة الى مخطوطة فارسية تم تحقيقها ونشرها مؤخراً في ايران عنوانها (سير الاكراد) و ينسب الى شخصية بابانية لا يعرف عنها سوى الاسم وهو (عبدالقادر ابن رستم باباني). تم تاليف المخطوطة في عام ١٨٧١، وتتناول تاريخ امارات اردلان و بابان و سوران، ومن الواضح ان المؤلف كان قريباً من الاحداث نظراً لانه يتناول بالتفصيل الحوادث التاريخية التي كان يعاصرها. كمان ينفرد بذكر دقائق الامور في بعض الحوادث، ولذلك فهي ذات أهمية كبيرة لتاريخ الامارات المذكورة.

وضمن قائمة المصادر الفارسية هناك عدد من المصادر التي افادتنا للاطلاع على وجهة النظر الايرانية ازاء الحوادث التاريخية الكوردية التي تتعلق بها. خاصة وان تلك المصادر قد كتبت من قبل مؤرخين رسميين عاصروا تلك الحوادث أو كانوا حاضرين في أثنائها في بعض الأحيان. وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين (اسكندر بيك تركمان المنشئ- توفي ١٦٣٣م) الذي كتب (تاريخ عالم آراي عباسي) بأمر الشاه عباس الاول الصفوي (١٥٨٧-١٦٢٩م). ثم (ميرزا مهدي خان استرابادي) الذي كان مؤرخاً لنادرشاه (١٧٣٦-١٧٤٧م) ومرافقاً له خلال أغلب حملاته، فأرخ لسيرته في كتاب (دره نادره). (ميرزا محمد صادق موسوي نامي اصفهاني) الذي مارس وظيفة مؤرخ كريم خان الزند (١٧٥٠-١٧٧٩م) الرسمي من خلال كتابه (تاريخ گيتي گشا).

وبالاضافة الى تلك المصادر اعتمد الباحث على كتب الرحالة الاوربين التي تحتوي مادة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها، فقد تناول هؤلاء الرحالة الاحداث التي صادفوها كما وصفوا الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في المناطق التي زاروها. ومن اوائل اولئك الرحالة الذين اعتمدنا على مصنفاتهم الرحالة الالماني الاصل والدانماركي الجنسية كارستن نيبور

(١٧٣٣-١٨١٥م) الذي زار كوردستان في اطار بعثة علمية شملت بعض بلدان الشرق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. دوّن نيبور معلومات غزيرة عن الاماكن التي زارها، ولكننا اعتمدنا على الترجمة العربية التي تناولت رحلته في العراق فقط وطبعت بعنوان (رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر).

ويأتي بعد نيبور في التسلسل الزمني الرحالة الانكيزي (جيمس بيكنغهام)، الذي قام برحلات عديدة زار خلالها ايران والعراق و كوردستان وبلاد الشام ومصر واماكن اخرى. ولكن مايهمنا منها الرحلة التي قام بها عام ١٨١٦ الى العراق عبر كوردستان. ومرّ خلالها بماردين ودياربكر واورفه ومدن اخرى، حيث دون ملاحظاته بعد ذلك في كتاب (رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦) و ترجم الكتاب الى العربية. وقد حفل الكتاب بملاحظات مهمة عن الكورد و كوردستان.

أما الرحالة البريطاني (كلوديوس جيمس ريج) الذي كان مقيماً بريطانياً في بغدا من سنة ١٨٠٨ الى ١٨٢١، فقد قام برحلة الى كوردستان فى عام ١٨٢٠ وزار اثنائها السليمانية وسنه وسقز و كركوك واربيل والموصل ومدناً اخرى، ثم كتب عن تلك الرحلة كتاباً عنوانه (حديث الاقامة في كوردستان و نينوى القديمة)، ضمنه مشاهداته و انطباعاته عن الاماكن التي زارها، ويعد الكتاب من المصادر المهمة عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كوردستان في تلك المدة. وقد اعتمدنا على الترجمة العربية للكتاب، والتي تناولت بعض فصوله وطبع بعنوان (رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠).

وهناك رحالة آخر وهو الانكليزي جيمس بيللي فريزر، الذي قام برحلات عدة عبر كوردستان، منها رحلته عام ١٨٣٣ التي كانت تأتي في اطار مهمة دبلوماسية بين استانبول وطهران. وبالرغم من تحامل الرحالة على الكورد، ولكن رحلاته ومؤلفاته تعد ذات أهمية خاصة، لسعة المناطق التي زارها وغزارة المعلومات التي ضمنها كتبه عن مشاهداته خلال تلك الرحلة. وقد اعتمدنا على مؤلفه المعنون:

(Awinters Journy ((TATAR)) From Constantinopole to Tehran)

والذي يتألف من جزئين ولكننا اعتمدنا على الجزء الاول الذي يتعلق بهذه الدراسة. وبالاضافة الى ذلك فللرحالة مصنف آخر مؤلف من جزئين أيضاً وقد ترجم بعض فصول الجزء الاول بعنوان (رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤). فأعتمدنا على تلك الترجمة أيضاً.

أما الرحالة البريطاني (جيمس برانت) فلرحلته أهمية استثنائية لانه قام بتلك الرحلة في عام ١٨٣٨، اي بعد حملتي رشيد باشا و حافظ باشا على كوردستان مباشرة. وقام الرحالة (وهو قنصل بريطانيا في ارضروم) برحلته بدءاً من مقره الى (بايزيد) مروراً بمدينة (وان) و (موش). ورغم موقفه السلبي من الكورد، فان برانت يمدح الكورد أحياناً، ولرحلته أهمية خاصة كما أسلفنا لان الملاحظات التي دونها اظهرت لنا آثار ونتائج هجمات القائدين العثمانيين المذكورين على كوردستان بصورة واضحة.

والى جانب الرحالة المذكورين استفدنا من مصنفات رحالة آخرين، ولكن على نطاق أضيق، ولذلك لم نر الاشارة اليهم ضرورياً هنا.

وضمن المصادر الانكليزية التي اعتمدت هذه الدراسة عليها كثيراً ينبغي ان نذكر كتاب (The Cambridge History of Islam) الذي زود هذه الدراسة بمعلومات لا يمكن الاستغناء عنها، وخاصة فيما يتعلق ببدايات السيطرة العثمانية على كوردستان ومعركة چالديران. واستفاد الباحث بالقدر نفسه من كتاب:

(A History of Ottoman Empire to 1730) الذي قام بتأليفه (J. Parry) مع باحثين آخرين. وكذلك كتاب:

(The Ottoman Empire (1300-1650)/ The Structure of Power) لمؤلفه: (Colin Imber).

بالاضافة الى تلك المصادر اعتمدت الدراسة على مؤلفات و مصادر أخرى عديدة كتبت باللغات التركية والعربية والكوردية والانكليزية اضافة الى الفارسية. ولكننا لانرى ضرورة لذكرها هنا حيث يمكن الرجوع اليها في قائمة المصادر في آخر الكتاب.

وأخيراً لابد من القول ان الكاتب يسعى من وراء هذا الجهد العلمي المتواضع ـ الذي لايخلو من الهفوات ،لان الكمال لله وحده ـ لأن يرد جزءاً صغيراً من الدين الكبير الذي عليه الى الوطن الام، وذلك عبر المساهمة في كتابة تاريخه الحديث.

ومن الله التوفيق

المؤلف

الفصل الاول

(كوردستان قبل الدخول في المجال العثماني)

أولاً: كوردستان في بدايات القرن السادس عشر:

أ- تمهيد جغرافي وتأريخي:

مما لاشك فيه ان العامل الجغرافي له تأثير كبير في المسيرة التأريخية، واذا أمعننا النظر في موقع كوردستان الجغرافي وطبوغرافيتها من جهة، واستعرضنا مسيرتها التأريخية من جهة أخرى، سيتبين لنا صحة هذا القول. فقد دفعت كوردستان ثمناً باهظاً نتيجة لموقعها الذي عرضها لحروب متواصلة بين الدول التي كانت تتنافس للسيطرة عليها، حيث كان اليونان والرومان والارمن والامبراطوريات الايرانية المتعاقبة في التأريخ القديم وكذلك الامبراطورية العثمانية والدول المتعاقبة على حكم ايران في التاريخ الحديث قد دخلوا في حروب دامية وصراعات مريرة بغية السيطرة على كوردستان أو على أجزاء منها. وفي غالب الاحيان كانت البلاد الكوردية تقع بين ذولتين قويتين، فتصبح هدفاً لمطامعهما التوسعية وساحة لصراعاتهما المستمرة[1]. وقد تنبه الشاعر الكوردي (احمدى خاني/ ١٦٥٠-١٧٠٧)[2] لهذه الحقيقة في العصور الحديثة حينما وجد بلاده محصورة بين الدولتين العثمانية والصفوية، واصبح الكورد هدفاً لسهام القضاء على أيديها حينما يقول:

ئەڤ روم و عەجەم بەوان حەسارن	كرمانج هەمی لەچار کەنارن
هەردوو تەرەفان قبیلی کرمانج	بوتیری قضا کرینه ئارمانج[3]

وقد أثر في هذه النتيجة ـ كما يؤكد أحد الكتاب المعاصرين ـ اعتبار كوردستان ساحة المواجهة وعلامة الاحتفاظ بالقوة في المنطقة، فجبال كوردستان كانت عبر العصور موانع طبيعية للدفاع ومواجهة الخصم، وعلامة القوة لمن يسيطر عليها. ولذلك يمكن القول بان فكرة السيطرة

---

(١) د. شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية، بغداد ١٩٥٩، ص٢١. فازل كەریم ئەحمەد، هۆی دروست نەبوونی دەولەتێکی سەرانسەری لە کوردستاندا، گۆڤاری (رووناکبیری) ژ(٢) س (١٩٩٢)، ستوكهولوم-سويد، ل٢١.

(٢) شاعر كوردي يعتبر رائداً للقصيدة الوطنية الكوردية، أشتهر بملحمته الخالدة (مەم و زين)، ولد في مدينة بايزيد وتوفي فيها. حول سيرته يراجع: ئەحمەدی خانی، مەم و زین، چ٣، هەولێر ١٩٦٨، ل٩.

(٣) هـ. س، ل ٣٥.

على كوردستان أو على اجزاء رئيسة منها من قبل الامبراطوريات القديمة والغزاة اللاحقين ترتبط كثيراً بفكرة خلق أو بناء حدود حصينة والاحتفاظ بالسيادة على المنطقة والبقاء قوياً[٤] و ذلك الى جانب العوامل الاقتصادية المتمثلة في غنى المنطقة بالموارد الاقتصادية، وأهمية مواردها البشرية واستخدامها في الجيوش والعمليات الحربية.

بالرغم من ذلك يمكن القول ان ما ناله الغزاة من كوردستان كان قليلاً نسبياً اذا ما أخذت جسامة الغزوات التي تعرضت لها، وتفرق كلمة الكورد بنظر الاهمية. ويرجع ذلك الى عاملين، أولهما: الطبيعة الجغرافية لكوردستان وخاصة طبوغرافيتها، حيث الجبال الشاهقة والممرات الضيقة، والوديان المحصورة ذات المرتفعات التي يصعب تسلقها والمواضع التي يسهل الدفاع عنها. والتي اعطت الكورد موقعاً دفاعياً متميزاً وأعانهم على عدم الخضوع للسلطات الاجنبية[٥]. وبذلك فقد لعب العامل الجغرافي دوراً مزدوجاً. أما العامل الثاني فكان حب الاستقلال والحرية لدى الكورد، فقد عرف الكورد بالتطلع الى الحرية، مما أدى الى صعوبة اخضاعهم لسلطة مركزية ولاسيما حينما تكون أجنبية[٦].

لذلك كانت البلاد الكوردية صعبة المنال لمن يريد غزوها كما يقول شرفخان البدليسي: ((واذا رام أحد الحكام والسلاطين التوغل في البلاد الكوردية فانه عاني في سبيل ذلك الشدائد وباء بالاخفاق ومني بالاندحار والهزيمة، حتى اذا استولى على شئ منها اعادها الى اصحابها الشرعيين))[٧].

وقد تعرضت كوردستان خلال تأريخها الطويل لكثير من الغزوات وخاصة في العصور الوسطى، حيث شهدت ثلاث غزوات كبيرة عانت الكثير منها وأثرت في تركيبها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. فالسلاجقة الاتراك الذين جاؤوا من أواسط اسيا وتوسعوا غرباً حتى

---

(٤) ينظر: ابراهيم محمود، صورة الاكراد عربياً بعد حرب الخليج، (د.م) ١٩٩٢، س ٢٣-٢٤.

(٥) جيمس بكنغهام، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ج١، ت: سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٦٨، ص١٠٩. صديق الدملوجي، امارة بهدينان الكردية، ط١، الموصل ١٩٥٢، ص١٤.

(٦) شرفخان البدليسي، الشرفنامه في تاريخ الدول والامارات الكردية، ت: ملا جميل بندي روژبیانی، بغداد ١٩٥٣، ص٢٨. محمد امين زكي، خلاصة تأريخ الكرد و كردستان، ت: محمد علي عوني، ط٢، بغداد ١٩٦١، ص١٤٠. جيمس بكنغهام، م. س، ص ١٠٩.

(٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٨.

استولوا على ايران والعراق والشام، تمكنوا في النصف الاول من القرن الحادي عشر من الاستيلاء على جزء كبير من كوردستان أيضاً[٨]. ثم تعرضت كوردستان في النصف الاول من القرن الثالث عشر لاجتياح المغول الذين جوبهوا بمقاومة كوردية عنيدة، لاسيما في محاولاتهم المتكررة للسيطرة على اربيل، التي استعصت عليهم مدة من الزمن[٩]. بالرغم من ذلك أصبحت كوردستان في النهاية جزءاً من الامبراطورية الايلخانية المغولية[١٠]. وواجهت المناطق الكوردية بعد ذلك غزوات تيمورلنك وذلك في بداية القرن الخامس عشر، ولكنها قاومت مقاومة عنيدة، حيث هزمت قوات تيمورلنك بالقرب من قلعة آميدي (العمادية)[١١]. فتوالت بعد ذلك غزوات القبيلتين التركمانيتين القره قوينلو والآق قوينلو على التوالي، واللتين ناصبتا الكورد عداءً شديداً[١٢].

وكانت تلك الغزوات المتتالية سبباً لأحتلال البلاد وتدميرها واساساً لخلق الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الجسيمة التي تركت آثارها في كوردستان على المدى البعيد[١٣].

لقد حاول الكورد جاهدين الاحتفاظ بحرياتهم واستقلالهم في خضم تلك الظروف، فدافعوا في سبيل ذلك كلما أمكن. وفي الواقع فانهم كانوا يفلحون في احيان كثيرة في تلك المحاولات، اذ كانت في معظم الفترات تسود كوردستان امارات محلية مستقلة أحياناً، وشبه مستقلة في أحيان اخرى. الامر الذي يدل على انها كانت تتمتع بكياناتها السياسية حتى في العهود التي كانت تخضع للسيطرة الاجنبية، وبذلك تسنى لها الحفاظ على كثير من مظاهر استقلالها في ظل تلك الكيانات السياسية المحلية.

---

(٨) ينظر: عزالدين ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، بيروت ١٩٧٨، صفحات ٤١-٤٢، ٤٥-٤٦، ٦٤، ٧٧-٧٩.

(٩) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، بيروت ١٩٥٨، ص ٢٤٩.

(١٠) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٥٥.

(١١) مينورسكى، الاكراد/ ملاحظات وانطباعات، ت: معروف خزندار، بغداد ١٩٦٨، ص٢٤.

(١٢) محمد امين زكي، خلاصة...، ص ١٦٢.

(١٣) د. عبدالرحمن قاسملو، كوردستان و كورد، و: عبدالله حسن زاده، (ب. ش) ١٩٧٣، ل٤١.

ب- الخارطة السياسية لكوردستان في بدايات القرن السادس عشر:

كانت كوردستان في بداية القرن السادس عشر تتألف من الكثير من الامارات الوراثية المتباينة من حيث النفوذ والمساحة وسلطة امرائها. اذ كان البعض منها ذات مساحة وسطوة محدودتين كإمارة (بانه) في الجزء الشرقي من كوردستان، التي لم تكن منطقة نفوذها تتجاوز مدينة (بانه) ونواحيها المجاورة[١٤]. في حين كانت إمارة اردلان تسيطر على اقليم شهرزور الى جانب الاقسام الوسطى من كوردستان الشرقية[١٥]. وكانت هذه الامارات تتباين من حيث القوة أيضاً، وذلك لاختلافها من حيث المساحة. اذ كانت قوة الامارات تقاس بسعة المناطق التي تحكمها على الاقل. ومن جهة اخرى فان بعض تلك الامارات كانت مستقلة استقلالاً تاماً كإمارة چمشگزك[١٦] الواقعة في أقصى شمال غربي كوردستان، وأظهر البعض الآخر منها ولاءها لدولة غازية كإمارة ساسون الواقعة في غربي بدليس، والتي كانت تابعة للدولة الآق قوينلية، ولكنها كانت تحكم من قبل حكامها المحليين[١٧].

يعد رسم خارطة سياسية دقيقة لكوردستان في بداية القرن السادس عشر من الامور الصعبة، نظراً لعدم استقرار الوضع السياسي فيها، وذلك لكثرة النزاعات بين الامارات الكوردية نفسها من جهة، و بين تلك الامارات و الدول المسيطرة على كوردستان- كدولة الآق قوينلو- من جهة آخرى[١٨]. يضاف الى ذلك ندرة المصادر التي تمدنا بمعلومات عن الوضع السياسي في كوردستان خلال تلك الفترة، ولذلك لايسعنا الا الاعتماد على كتاب (الشرفنامه) الذي يزودنا بمعلومات لا يمكن الاستغناء عنها لرسم خارطة سياسية تتضمن أهم الامارات الكوردية في القرن السادس عشر. ولكننا نستعين ببعض المراجع الحديثة أيضاً، والامارات الكوردية المذكورة هي كما ياتي حسب التقسيم الجغرافي:

---

(١٤) سالح قەفتان، مێژووی گەلی کورد لە کۆنەوە تاکو ئەمڕۆ، بەغدا ١٩٦٩، ل ٢٦٧.

(١٥) محمد امين زكى، خلاصەیەکی تاریخی کورد و کوردستان، ب٢، چ١، بەغدا ١٩٣٧ (اعيد اصداره في ايران من قبل ((انتشارات سيديان- مهاباد)))، ل ٣٢٨، و سنشير اليه فيما بعد بـ((تاریخی دەولەت و ئەماراتی کوردی)) لان هذا الجزء يتناول تاريخ الدول والامارات الكوردية.

(١٦) شرفخان البدليسى، م. س، ص ١٨٤.

(١٧) م. ن، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(١٨) محمد امين زكي، خلاصة...، ص ١٦٢.

أ- إمارات شمالي كوردستان:

١- إمارة پازوكي: كانت تلك الامارة تقع[١٩] شمال بحيرة وان مباشرة وبسطت حكمها على انحاء أرجيش[٢٠] وعاد لجواز[٢١] والشگرد[٢٢] وكيغى[٢٣] وكان يحكمها في هذه الفترة خالد بك بن شهسوار بك[٢٤]. أما مركز الامارة فكان في مدينة ملا زگرد[٢٥].

٢- چمشگزك: كانت هذه الامارة تقع شمالي ملاطية، وتضم في حكمها منطقة درسيم[٢٦] وما تجاورها من مناطق، بالاضافة الى چمشگزك نفسها التي كانت مركزاً للامارة[٢٧]. أما أميرها في تلك الفترة فكان حاجى رستم بك[٢٨].

٣- إمارة سيـڤديا (الامارة السويدية): أما هذه الامارة فكانت تقع في غربي موش. وكانت تحكم مدينة گنج[٢٩] التي كانت مركزاً للامارة، الى جانب

---

(١٩) أعتمدت في تحديد مواقع أغلب الامارات والمدن المذكورة على الاطلس التالي:
The Times Atlas of the World, Produced and Published by:
The Times Newspaper Limited, 6th Edition, London 1974, PP 32, 37.

(٢٠) تقع في الساحل الشمالي لبحيرة وان، وهي الان قضاء تابع لولاية وان الكوردية في تركيا.

(٢١) تقع في الساحل الشمالي لبحيرة وان، وتتبع حالياً ولاية بدليس الكوردية في تركيا.

(٢٢) مدينة كبيرة في شرقي ارضروم، تابعة حالياً لولاية (اگرى) من الناحية الادارية.

(٢٣) شرفخان البدليسى، م. س، ص ٣٥٨ و كيغى مدينة كوردية كانت تقع في الجنوب الغربي من ارضروم، وتبعد (١٣٢)كم عنها، وكانت تشتهر بصنع الفحم في العهد العثماني. ينظر: فەیسەل دەباغ (كۆكردنەوە و وەرگێران- جمع وترجمة)، كوردستان لە چاپكراوە عوسمانلییەكاندا، هەولێر ٢٠٠٤، ل ٢٢.

(٢٤) ينظر حوله: محمد امين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ج١، ت: سانحة محمد امين زكى، بغداد ١٩٤٥، ص ١٩٣.

(٢٥) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٦.

(٢٦) تقع بين الرافدين الذين يشكلان نهر الفرات وهما (فورات سو) و (موراد سو) وهي تابعة حالياً لولاية تونجلى الكوردية في تركيا في الوقت الحاضر.

(٢٧) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٦. چمشگزك: تقع الان في ولاية تونجلى الكوردية في تركيا، وقد انحصرت تسمية كوردستان بتلك المنطقة من قبل العثمانيين في وقت من الاوقات. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٥.

(٢٨) حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٢١.

(٢٩) تقع على نهر مراد التي تصب في بحيرة الازيك.

منطقتي (خان چوك) و (چپاقچور)[٣٠]. وفي هذه الفترة كان خان ابدال بك يحكم تلك الامارة[٣١].

٤- امارة سليڤانى (سليمانى): كانت واقعة فيما بين موش ودياربكر، وكانت تضم قولپ[٣٢] وجسقة[٣٣] وطاش[٣٤] وميافارقين[٣٥] ومناطق اخرى[٣٦] وكان يحكمها الامير ديادين (ضياءالدين)[٣٧] في بداية ذلك القرن.

٥- امارة أگيل: كانت هذه الامارة تقع شمالي دياربكر، وتضم قلعة أگيل[٣٨] الحصينة ونواحيها المجاورة. وكان يحكمها قاسم بك بن شاه محمد في تلك الفترة[٣٩].

---

(٣٠) ذكرها السائح العثماني (أولياچلبى) ضمن الامارات الوراثية التابعة لايالة دياربكر. ينظر: ئەولیاچەلەبی، سیاحەتنامەی ئەولیاچەلەبی/ کورد لە مێژووی دراوسێکاندا، و: ناکام، چ٢، بەغدا ١٩٧٨، ل٣٧. وچپاقچور تسمى الآن (بينگۆل).

(٣١) شرفخان البدليسى، م. س، ص ٢٦٠.

(٣٢) تقع بين مدينتي موش و دياربكر، وهى الان تابعة ادارياً لولاية دياربكر.

(٣٣) لم اعثر على معلومات حول موقعها الحالي.

(٣٤) لم اعثر على معلومات حول موقعها الحالي.

(٣٥) تبعد (٧٠)كم عن دياربكر وهي مركز قضاء سيلوان التابع لولاية دياربكر. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص ١٤.

(٣٦) م. ن، ص ٢٦٥.

(٣٧) حول ترجمته ينظر: محمد امين زكى، مشاهير...، ج١، ص٢٧٣.

(٣٨) بلدة صغيرة بمقاطعة أرغنى التابعة لدياربكر، وتبعد عنها (٣٢)كم من الشمال الغربي. شرفخان البدليسى، م. س، ح ص١٢.

(٣٩) م. ن، ص ٢٠٠.

٦- امارة پالو: كانت واقعة في شمال امارة أگيل وتمارس حكمها على مدينة پالو[٤٠] و انحائها المجاورة، اما منصب الامارة فكان يتبوؤه الامير جمشير بك بن رستم بك[٤١].

٧- امارة چرموك: تقع فيما بين دياربكر وملاطية، وكانت تحكم منطقة چرموك[٤٢] وكان أميرها الحاكم خلال تلك الفترة هو محمد بك بن بايندور بك[٤٣].

٨- إمارة محمودي: كان موقعها في شرقي بحيرة وان، وكانت تضم ناحية آشوت[٤٤] وخوشاب[٤٥] – مركز الامارة- وألباق[٤٦]، أما حاكمها في بداية ذلك القرن فكان عوض بك بن الامير حامد[٤٧].

٩- إمارة بدليس: كانت تقع في جنوب غربي بحيرة وان وتضم في حكمها مدينة بدليس وتوابعها الصغيرة، وكان يحكمها في هذه الفترة الامير ابراهيم[٤٨].

---

(٤٠) مدينة كبيرة تقع الى شمال دياربكر بمسافة (٩٥) كم منها، وكانت في اواخر العهد العثماني تشكل مركز قضاء تابع لسنجق (ارغني معدني) التابع بدوره لولاية دياربكر، وكان عدد سكانها يتراوح مابين (٧-٨) الف نسمة يمارس اغلبهم الزراعة. ، ينظر: فەيسەل دەباغ، س. پ، ل٤٢. اما الآن فهي تتبع ولاية الازيك الكردية في تركيا.

(٤١) شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٠٢.

(٤٢) تقع الى الشمال الغربي من دياربكر بمسافة (٥٠)كم بعداً عنها ومشهورة بحماماتها المعدنية وكثرة بساتينها. فەيسەل دەباغ، س. پ، ل٥٦.

(٤٣) م. ن، ص ٢٠٧.

(٤٤) لم اهتدي الى تحديد موقعها.

(٤٥) تبعد عن مدينة وان بمسافة (٥٠)كم الى الشرق منها، وتابعة لها من الناحية الادارية أيضاً.

(٤٦) أحد الاقضية التابعة لولاية هكاري وتقع الى الشمال منها.

(٤٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٣١٤-٣١٥.

(٤٨) م. ن، ص ٤٢٥.

١٠- امارة ساسون: كانت واقعة في غربي بدليس وكانت تضم مدينة ساسون[٤٩] -المركز- والمناطق المجاورة بالاضافة الى ناحية هرزن[٥٠] أو گارزن[٥١]، وكانت تحت حكم الامير على بك بن أبي بكر[٥٢].

١١- إمارة خيزان: كان موقع هذه الامارة في جنوب غرب بحيرة وان، أما نطاق نفوذها فكان يشمل مدينة خيزان[٥٣] والمناطق المجاورة لها، وكان يحكم من قبل الامير داود بن ملك في بداية القرن السادس عشر[٥٤].

١٢- إمارة موكس: كانت هذه الامارة واقعة في جنوبي بحيرة وان، وكانت تحتوي على مدينة موكس[٥٥] وتوابعها الصغيرة، وكان الامير ابدال يجلس على كرسي الحكم في الامارة خلال تلك الفترة[٥٦].

١٣- إمارة اسپايرد (سپاروت): تقع الى الجنوب من مدينة بدليس وكانت تشتمل على مدينة اسپايرد[٥٧] وحواليها، أما الامير الحاكم فيها خلال تلك الفترة فكان الامير محمد بك[٥٨].

---

(٤٩) تقع الى الشرق من جبل ساسون والى الغرب من بدليس، وتتبع ادارياً ولاية سعرد في الوقت الحاضر.

(٥٠) كانت مدينة كبيرة و متحكمة بقرب مدينة أخلات الى الشمال الغربي من وان. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص٢٠٨.

(٥١) مأمون بك، مذكرات مأمون بك بن بيگه بك، ت: محمد جميل الروژبيانى و شكر مصطفى، بغداد ١٩٨٠، (المقدمة) ص ٧.

(٥٢) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٥٣) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٦. خيزان: تابعة حالياً لولاية دياربكر.

(٥٤) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٢٣.

(٥٥) تبعد (٩٩)كم عن مدينة وان من جهتها الجنوبية الغربية، وكانت تشكل أحد الاقضية التابعة لولاية وان في أواخر العهد العثماني، فەيسەل دەباغ، س. پ، ل١٦٦.

(٥٦) م. ن، ص ٢٢٦.

(٥٧) منطقة ضمن ولاية وان.

(٥٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٢٨.

١٤- امارة شيروان: كانت واقعة في شمالي مدينة سعرد، وتضم مدينة كفرا[٥٩] -مركز الامارة- وقلاعاً اخرى في المنطقة[٦٠]، وكان يحكمها خلال تلك الفترة الامير شاه محمد بن أبدال[٦١].

١٥- إمارة هكارى: كان موقع هذه الامارة في الجنوب الشرقي من امارة شيروان حيث اقليم هكاري[٦٢] الذي يحمل الاسم نفسه، وكان حدود الامارة يشمل جميع اقليم هكاري وشمدينان وجوليرك[٦٣] التي كانت مركزاً للامارة[٦٤]. أما الامير الحاكم فيها خلال المدة المعنية فكان الامير زاهد بن عزالدين شير[٦٥].

١٦- امارة حصن كيفا: كانت هذه الامارة كائنة في شرقي دياربكر وتحكم مدينة حصن كيفا (حسن كيف)[٦٦] -مركز الامارة-[٦٧] و مدينة سعرد ونواحيها، وكانت في هذه الفترة تحت حكم الملك خليل بن سليمان[٦٨].

١٧- امارة بوتان: كانت تقع الى الغرب من امارة هكاري وتمارس الحكم على مدينة جزيرة (جزيرة ابن عمر)[٦٩] -مركز الامارة- وبعض القلاع المجاورة الاخرى، كقلعة آروخ[٧٠] وكان الامير شرف بن بدر يحكم الامارة في ذلك الوقت[٧١].

---

(٥٩) ناحية كبيرة في منطقة سعرد في كوردستان الشمالية.

(٦٠) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٦.

(٦١) شرفخان البدليسى، م. س، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٦٢) يقع في أقصى جنوب شرقي تركيا، وتشكل حالياً ولاية كوردية في تركيا.

(٦٣) كانت ومازالت قصبة أقليم هكاري.

(٦٤) محمد امين زكى، تاريخى دەولەت و ئەماراتى كوردى، ل ٣٧٥.

(٦٥) شرفخان البدليسي، م. س، ص ١٣٠.

(٦٦) بلدة كوردية كانت لها شأن كبير خلال التاريخ الاسلامي (العصور الوسطى)، تقع فيما بين مدينتي سعرد و ماردين، وحالياً تابعة للمدينة الأخيرة.

(٦٧) سالح قەفتان، س، پ، ل ٢٦٦.

(٦٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص ١٧٧.

(٦٩) هي جزيرة ابن عمر المدينة القديمة التي تقع على دجلة بين الموصل ودياربكر.

(٧٠) تقع الى الغرب من جبل هركول وحالياً قضاء تابع لولاية سعرد.

(٧١) شرفخان البدليسي، م. س، صفحات ١٤٨-١٤٩، ١٥٣.

١٨- امارة زراكى (زرقي): أما هذه الامارة فكانت تقع بين دياربكر وماردين. وكانت منقسمة في تلك الفترة الى ثلاث امارات صغيرة وهي:

أ- امارة درزيني: وكانت تشمل قلعة درزيني[٧٢] و انحائها المجاورة، أما أميرها الحاكم فكان حمزة بن خليل بن غازي في تلك الفترة[٧٣].
ب- امارة هتاخ (أتاق): كانت تتكون من مدينة هتاخ[٧٤] ونواحيها المجاورة، وكان يحكمها الامير احمد بن محمد الزراكي[٧٥].
ج- امارة ترجيل: كانت تقع على مقربة من دياربكر وكانت تضم قلعة ترجيل[٧٦] وما يجاورها. وفي بداية القرن السادس عشر كانت تحت إمرة احمد بك بن بوداق بك[٧٧].

١٩- إمارة كليس: كانت واقعة في شمال حلب، وتحكم ناحية القصير[٧٨] ومناطق اخرى اضافة الى مركز الامارة (كليس)[٧٩]. وفي اوائل القرن السادس عشر كان يحكمها الامير قاسم بك[٨٠].

---

(٧٢) كانت مقر منطقة زراكى المذكورة.

(٧٣) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٤٥.

(٧٤) هي الآن مدينة ليجة التابعة لولاية دياربكر، م. ن، ح ص٣١. وتبعد (٧٠)كم عنها من الجهة الشمالية الشرقية، وكانت في أواخر العهد العثماني تحوي (٣٦٨٨) نسمة وتشكل أحد الاقضية التابعة لولاية دياربكر. فەیسەل دەباغ، س. پ، ل١٣٩.

(٧٥) م. ن، ص ٢٤٩.

(٧٦) بلدة صغيرة تقع بالقرب من دياربكر.

(٧٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٧٨) كانت تقع بالقرب من انطاكية. م. ن، ص ٢٣٠.

(٧٩) بلدة بشمالي حلب على مسافة (٥٠)كم منها. م. ن، ح ص ١٣.

(٨٠) م. ن، ص٢٣٠-٢٣١.

ب- امارات شرقي كوردستان:

٢٠- امارة دنبلي: كانت هذه الامارة كائنة في شمال غربي بحيرة ورمى (اورمية) وكانت تضم مناطق خوى[٨١] وسلماس[٨٢] والمناطق المجاورة، وذلك بالاضافة الى مدينة (خوى) التي كانت مركزاً للامارة[٨٣]. اما الامير الحاكم في هذه الفترة فكان الامير بهروز[٨٤].

٢١- امارة برادوست: كانت تقع غرب بحيرة ورمى، حيث كان امراؤها يتولون حكم مدينة ورمى[٨٥]. ومنهم الامير غازي قران بن السلطان احمد الذي كان يحكمها خلال الفترة المعنية[٨٦].

٢٢- امارة موكريان[٨٧]: من الامارات الكوردية في كوردستان الشرقية، وكانت تحكم المنطقة المعروفة بالاسم نفسه، وكان صارم بن سيف الدين موكري يحكم فيها في بداية القرن السادس عشر[٨٨].

٢٣- امارة بانه: كانت امارة صغيرة تقع الى الجنوب من امارة موكريان وتشمل مدينة بانه[٨٩] وبعض المناطق المجاورة لها، وكان يحكمها الامير ميرزا بك في بداية القرن المذكور[٩٠].

---

(٨١) تقع في شمال بحيرة ورمى وهي الان تابعة ادارياً لولاية آذربيجان الايرانية.

(٨٢) تقع في غربي بحيرة ورمى، وتتبع حالياً ولاية آذربيجان الايرانية.

(٨٣) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٧.

(٨٤) محمد امين زكى، تاريخى دەولەت و...، ل ٣٨٠.

(٨٥) تطلق عليها (رضائية) في الوقت الحاضر، وتتبع ولاية اذربيجان الايرانية.

(٨٦) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٣٠٧.

(٨٧) احدى الاقاليم المعروفة في كوردستان الشمالية، وتقع في جنوب بحيرة ورمى.

(٨٨) محمد امين زكى، تاريخى دەولەت و ...، ل ٣٨٤-٣٨٥.

(٨٩) تقع الان في أقصى غرب ايران وتابعة ادارياً لولاية كوردستان في ايران.

(٩٠) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٣٤٣.

٢٤- امارة كلهور: كانت تقع الى الشمال من لورستان، ومن قلاعها المهمة پالنگان[٩١] و درتنگ[٩٢] وما هيدشت[٩٣].وفي كل قلعة من هذه القلاع كان يحكم أمير يستقل بأمورها، وفي تلك الفترة كان يحكم الامير غيب الله بك في پالنگان، ويحكم زوراب بك في درتنگ[٩٤]، أما حكم ماهيدشت فكان في أيدي الامير ابراهيم سلطان خان[٩٥].

٢٥- امارة لورستان: من الامارات الكوردية العريقة، وكانت كائنة في لورستان الصغرى[٩٦] وتضم في اطار حكمها معظم أقسام ذلك الاقليم بضمنها مدينة خرم آباد[٩٧] التي كانت مركزاً للامارة[٩٨]. وفي تلك الفترة كان يحكم الامير رستم بن حسين المعروف بـ(شاه رستم اللوري)[٩٩].

جَ- امارات جنوبي كوردستان:

٢٦- امارة بادينان: كانت هذه الامارة تقع الى الجنوب من امارة هكاري وكانت تضم ئاكرى (عقره) و دهوك ومدناً اخرى في المنطقة، بالاضافة الى مركز الامارة وهي قلعة ئاميدي (العمادية) المحصنة، وكان يحكم في تلك الفترة سلطان حسن بن سيف الدين[١٠٠].

٢٧- امارة سوران: كانت هذه الامارة تقع الى الجنوب من امارة بادينان، حيث كانت تحكم معظم المناطق الواقعة بين الزابين الاعلى والاسفل، وخاصة شقلاوه التي كانت مركزاً للامارة

---

(٩١) من المناطق التابعة لولاية كوردستان في ايران.

(٩٢) تقع بالقرب من زهاو في كوردستان الشرقية.

(٩٣) كانت تقع فيما بين زهاو وكرمنشاه . المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي ت: عباس العزاوي، بغداد ١٩٤٨، ص ٤٣، ٤٧.

(٩٤) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص ٢٤٦.

(٩٥) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٣٣٩، ٣٤٢.

(٩٦) اقليم كوردي يقع في شمال لورستان الكبرى الواقعة في جنوب غربي ايران.

(٩٧) قصبة اقليم لورستان الصغرى، تقع فيما بين دزفول وبروجرد في غربي ايران.

(٩٨) سالح قەفتان، س. پ، ل ٢٦٥.

(٩٩) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٦٨.

(١٠٠) م. ن، ص ١٣٩-١٤٠.

وهرير (حرير) ومنطقة بالكيان و رواندوز ومناطق اخرى[١٠١]. وكان الامير پير بوداق ابن شاه على بيك يتولى حكم الامارة في ذلك الوقت[١٠٢].

٢٨- امارة بابان: كان البابانيون يحكمون امارة صغيرة تقع الى الشرق من امارة سوران في هذه الفترة. وكان الامير بوداق بن ابدال يحكم تلك الامارة[١٠٣]. ولكنْ حدود حكم البابانيين و مناطق نفوذهم كانت غير معروفة في تلك الفترة. ولكن شرفخان البدليسي يذكر ان الامير البابانى المذكور قد وسع حدود امارته لتضم مناطق لارجان (لاهيجان)[١٠٤] و سيوى[١٠٥] وسلدوز[١٠٦] وقلعة ماران[١٠٧] مما يعني ان امارة بابان كانت تقع في كوردستان الشرقية خلال تلك الفترة.

٢٩- امارة اردلان: كانت هذه الامارة تحكم في تلك الفترة بعض أقسام شهرزور، منها قلعة زلم[١٠٨] -مركز الامارة- وشميران[١٠٩] و هاوار[١١٠] و گلعنبر[١١١] وقلاع اخرى. وكانت تحت

---

(١٠١) تقع تلك المناطق في شمال شرقي اربيل، وتقع ضمن حدودها الادارية ايضاً.

(١٠٢) حسين حزني موكرياني، موجز تاريخ امراء سوران، ت: محمد الملا عبدالكريم، بغداد، د. ت، ص ٧.

(١٠٣) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٨٩.

(١٠٤) احدى نواحي موكريان في كوردستان الشرقية.

(١٠٥) لم اهتدِ الى تحديد موقعها الحالي.

(١٠٦) احدى نواحي موكريان وتقع في شمال غربي مهاباد في كوردستان الشرقية.

(١٠٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(١٠٨) كانت تقع في وادي زلم على بعد (٩)كم من ناحية خورمال التابعة لقضاء حلبجة الحالية، وتعرف خرائبها باسم (قەلای خان احمد خان) مأمون بك، م. س، ح ص ٨.

(١٠٩) كانت تقع على نهر زلم في المنطقة الجبلية الكائنة في شرقي حلبجة. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص١٠٨.

(١١٠) لا تزال قرية معروفة في قضاء حلبجة (هلبجه) الحالية وتسكنها عشيرة (أو طائفة) كاكەيى، عباس العزاوي، شهرزور- السليمانية/ اللواء والمدينة، تحقيق: محمد علي القرەداغي، ط١، بغداد ٢٠٠٠، ص٧٨.

(١١١) كانت واقعة على بعد (١٨)كم من شمال غرب بلدة حلبجة الحالية، وبنيت على خرائبها قرية خورمال الحالية. ينظر: جمال بابان، اصول اسماء المدن و المواقع العراقية، ط٢، بغداد ١٩٨٦، ص ١٠٤.

إمرة بيگەبك بن مأمون بك، حيث ان والده عمد الى تقسيم امارته في حياته بين أولاده الثلاثة، وكانت المناطق المذكورة من حصة بيگەبك[112].

٣٠- امارة داستي[113]: رغم ان شرفخان البدليسي قد اورد اسم هذه الامارة وهو بصدد التبويب للشرفنامه، ولكنه تجنب البحث عنها في مكانها[114]، وقد يعود ذلك الى عدم حصوله على معلومات تاريخية عنها. ولكن (محمد امين زكي) يذكر تلك الامارة ويشير الى انها كانت تسيطر على مدينة دهوك ومناطقها المجاورة، ولكنها دخلت في صراع مع امارة بادينان، ومن جراء ذلك فقدت تلك المدينة في أوائل القرن السادس عشر[115].و نستخلص من ذلك ان الامارة الداسنية كانت قائمة في بداية ذلك القرن، وانها كانت امارة صغيرة للكورد الايزديين تقع الى جوار امارة بادينان.

نستنتج من عرض قائمة تلك الامارات بان كوردستان كانت تتمتع بكياناتها السياسية المحلية في تلك الفترة. ويدل ذلك على حرص الكورد على استقلالهم الذاتي وعدم رضوخهم بسهولة للغزاة والفاتحين.

ج- كوردستان في مواجهة الهجمات الصفوية:

١- التوسع الصفوي في كوردستان:

تأثرت كوردستان في بدايات القرن السادس عشر بالاحداث التي كانت تجري في شمال غرب ايران، والتي تمثلت في الحركات العسكرية التي كان يقودها اسماعيل الصفوي[116] في تلك الانحاء، ففي اعقاب انتصاره على فرخ يسار- وهو حاكم منطقة شيروان الواقعة غربي بحر قزوين- في ايلول

---

(١١٢) ماهشەرەفخانم، مەستورەی کوردستانی، مێژووی ئەردەلان، و: د. حسن جاف و شکور مستەفا، چ ١، بەغدا ١٩٨٩، ل ٢٥-٢٦.

(١١٣) هي عشيرة كوردية ايزدية عرفت بالداسني نسبة الى جبل (داسن) التي تقع في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي، عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مج٥، بغداد ١٩٥٣، ص ٤٣.

(١١٤) ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص ١٥.

(١١٥) محمد امين زكى، تاريخى دەولەت و...، ل ٣٩٣.

(١١٦) حول ترجمته ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، مادة: اسماعيل الصفوي.

١٥٠٠، دخل اسماعيل الصفوي معركة فاصلة مع حاكم دولة الآق قوينلو[١١٧] على اقليم اذربيجان المسمى (الوند ميرزا). فأسفرت المعركة عن فوز ساحق للقوات الصفوية واستولى اسماعيل الصفوي على آذربيجان، حيث دخل تبريز في عام ١٥٠١ وتوج نفسه شاهاً على الدولة الصفوية التي اعلن تأسيسها. وفي السنوات القليلة التالية حقق الشاه الجديد سلسلة من الانتصارات مكنته من مد حكمه على معظم أرجاء ايران[١١٨].

دخلت الدولة الصفوية بعد تأسيسها في صراع مع دولة الآق قوينلو التركمانية، وذلك نتيجة محاولات الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤) التوسعية. ولكن ذلك الصراع قد وصل الى نهايته عندما غزا الشاه بغداد واستولى عليها في عام ١٥٠٨. وبذلك قضى على دولة الآق قوينلو الى الابد[١١٩].

وكان الحاق كوردستان بالدولة الصفوية يأتي ضمن تلك المحاولات التوسعية، فقد اعتبر الشاه اسماعيل المناطق الكوردية مجالاً حيوياً لدولته الفتية، اذ تمتعت كوردستان ـ اضافة الى أهميتها الاقتصادية والعسكرية ـ بموقع استراتيجي مهم، يتمثل في وقوعها على الطرق التجارية الرئيسة التي تصل إيران بالبحر المتوسط[١٢٠]. حيث كان الحرير الايراني- وهو المصدّر الرئيسي لإيران في تلك الفترة- يصدر بهذا الطريق الى اوروبا[١٢١].

كان التوسع في كوردستان يبدو مهمة سهلة بالنسبة للشاه اسماعيل، فرغم ان بعض أقسامها كانت تابعة اسمياً لدولة الآق قوينلو، لكنها كانت على العموم تفتقر الى قوة مركزية تقف بوجه الشاه. حيث كانت كوردستان- كما اسلفنا- تتألف من العديد من الامارات المتنافرة والمتناحرة وكل

---

(١١٧) حول تأسيس تلك الدولة يراجع: دائرة المعارف الاسلامية، مج ٤، مادة: آق قوينلي: د. عماد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي، موصل ١٩٩٠، ص ٣١-٣٢.

(١١٨) دائرة المعارف الاسلامية، مج ٣، مادة: اسماعيل الصفوي. راجر سيوري، ايران عصر صفوي، ت: كامبيز عزيزي، چاپ اول، تهران ١٣٧٢ش، ص٢٤-٢٥، ٣٣. وحول اصل الصفويين وتأسيس دولتهم يراجع المصدر الاخير.

(١١٩) عماد الجواهري، م. س، ص ٥٥-٥٧.

(١٢٠) كان هذا الطريق يتمتع بأهمية كبيرة قبل فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩.

(١٢١) The Cambridge History of Islam, Vol. 1A, Cambridge 1970, p.316

عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الجديث، ج١، القاهرة ١٩٦٨، ص ٢٨-٢٩.

واحدة من تلك الامارات كانت تعد نفسها مسؤولة عن حدودها فقط[١٢٢]، لذلك كانت تحاول جاهدة الحفاظ على موقعها وامتيازاتها الاقطاعية بأية طريقة، كما سيتوضح ذلك فيما بعد.

بالرغم من ذلك بدأ الشاه بداية غير موفقة في كوردستان، حيث ارسل في سنة ١٥٠٦ حملات عدة لاحتلال امارة موكرى، ولكن أميرها صارم بن سيف الدين موكري تمكن من الدفاع عن امارته وهزم القوات الصفوية مرتين متتاليتين[١٢٣]. الا ان الشاه تمكن فيما بعد من تحقيق عدد من الانتصارات في كوردستان، وذلك في عام ١٥٠٧ عندما قاد الجيوش عبر المناطق الكوردية نحو ارزنجان و دياربكر، ثم عطف على الموصل ومنها توجه الى بغداد في عام ١٥٠٨، ورجع عن طريق لورستان الى تبريز العاصمة[١٢٤].

لقد حقق الشاه في تلك الحملة مكتسبات عدة، فقد أظهرت عدد من الامارات الطاعة له بالترهيب أو الترغيب، منها امارة هكاري وامارة چمشگزك وامارة اگيل التي سيطر عليها الشاه بالقوة وسلم ادارتها الى أحد الامراء القزلباش. وكذلك امارة پالنگان وامارة پازوكى. كما سيطر على مدينتي وان ودياربكر التي سلمها اليه حاكم المدينة أمير بك موصللو[١٢٥] غير انه جوبه بمقاومة باسلة من قبل امارات اخرى رفضت الخضوع للشاه، منها على سبيل المثال امارة بوتان التي انتصرت في كافة المواجهات التي خاضتها ضد القوات الصفوية، وخسر الجانب الصفوي جرائها حوالي ٧٠٠ من رجاله[١٢٦]. ولكن الشاه عندما وصل الى لورستان في عام ١٥٠٨، فانه حاز على ولاء الشاه رستم اللوري بعد اضطرار الاخير الى ذلك عقب محاصرة الصفويين له[١٢٧]. كما أخذ ولاء امارة بدليس[١٢٨]. ولكن الشاه اسماعيل الصفوي لم يكتف بهذا القدر من النفوذ والمكاسب في

---

(١٢٢) محمود ملا عزت، ديبلوماسيتى بزووتنەوەى كوردايەتى، سلێمانى ١٩٧٣، ل٦.

جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، ط٢، بيروت ١٩٧١، ص٦٧.

(١٢٣) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٢٩٩. محەمەد جەميل رۆژبەيانى، فەرمانڕەوايى موكريان، بەغدا ١٩٩٢، ل٤٢.

(١٢٤) سالح محمدامين، كورد و عەجەم/ مێژووى سياسى كوردەكانى ئێران، چ١، (ب.ش) ١٩٩٢، ل٢٤.

(١٢٥) شرفخان البدليسي، م. س، صفحات ١٣٠، ١٨٦، ٢٠٠، ٣٣٩، ٣٥٩، ٤١٥، ٤٢٦.

(١٢٦) م. ن، ص ١٥٤.

(١٢٧) محمد امين زكى، تاريخى دەولەت و...، ل ٣١٧.

(١٢٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٤٢٦.

كوردستان، بل أرسل ثلاث حملات الى اراضي وممتلكات امارة بوتان بغية الانتقام منها، ولكن النتيجة كانت فشل تلك الحملات في انجاز مهماتها[١٢٩].

ومن جانب آخر فان تلك الولاءات الشكلية التي قدمها بعض الامراء الكورد لم ترق للشاه اسماعيل الذي اراد ان يحكم الامارات والمناطق الكوردية حكماً مباشراً عن طريق رجاله المعتمدين من القبائل التركمانية[١٣٠]. ولذلك فلا عجب ان يأمر بزج الامراء الكورد الاحد عشر في السجن، حينما وفدوا اليه في مدينة خوى كي يعرضوا الولاء والطاعة. وكان بين اولئك الامراء من لم تدخل امارته في دائرة النفوذ الصفوي حتى تلك الفترة، كأمير بوتان (شاه علي بك). ومنهم من سبق له ان عرض طاعته كأمير بدليس (الامير شرف بك)[١٣١]. الامر الذي يدل على اصرار الشاه اسماعيل على قراره السالف الذكر، الى درجة انه لم يميز بين عدوه وصديقه، حيث عد جميع الامراء الكورد في الخندق المعادي. ولذلك بادر الى ارسال القوات الصفوية الى كوردستان مرة اخرى. فأرسل جابان سلطان استاجلو على رأس قوة عسكرية الى بدليس و ديو سلطان روملو الى هكاري و يكان بك تكهلو الى امارة بوتان و عبدي خان و سارو علي شاملو الى عشائر موكري و محمودي[١٣٢].

وبذلك سيطر الصفويون في عهد الشاه اسماعيل على جميع بلاد ايران و ارمينيه والعراق و كوردستان. حيث كان بامكانهم ان يدعوا بولاء جميع الامارات الكوردية ولاءً اسمياً لهم حسب تعبير لونكريك[١٣٣].

٢- سياسة الصفويين تجاه كوردستان:

فيما يتعلق بسياسة الصفويين تجاه كوردستان يذكر أحد الباحثين: ((وقد سارت سياسة الحكومة الايرانية في البدء على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل

---

(١٢٩) م. ن، ص١٥٤.

(١٣٠) د. شەمسی محەممەد ئیسکەندەر، مێژووی کورد لە سەدەی ١٦ هەمدا، و: شوکور مستەفا، چ١، هەولێر ١٩٩٨، ل ٧١. گروه ازمستشرقين، كرد در دائرة المعارف اسلام، ت: اسماعيل فتاح، چاپ اول، اروميه ، ايران ١٣٦٧ ش، ص٧٦.

(١٣١) شرفخان البدليسي، م. س، ص ٤٢٨.

(١٣٢) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل ١٢٨. سالح محمد امين، س. پ، ل ٢٥.

(١٣٣) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط٦، بغداد ١٩٨٥، ص٣٢.

الكردية))[١٣٤]. وقد يكون في هذا الرأي قدر كبير من الحقيقة اذ أننا لو تتبعنا سير الخطوات الاولى للشاه اسماعيل في كوردستان نجده يقرّ للامير الكوردي الذي يعلن الولاء للدولة الصفوية بأمارته، كما فعل مع أمير هكاري زاهد بك بن عزالدين شير الذي أعلن الطاعة له، فأعترف الشاه بحكمه ومنحه عهداً بالامارة الوراثية[١٣٥]. كما اعترف الشاه بحكم الامير شرف على بدليس عندما عرض الأخير فروض الولاء والطاعة له[١٣٦].

غير ان ذلك لا يعني ان تلك السياسة كانت شاملة، حيث لم يحدث ذلك مع امراء كورد آخرين؛ فعندما أعلن أمير چمشگزك حاجى رستم بك خضوعه للشاه و سلم جميع قلاعه له طواعية. عزله عن حكم امارته وعينه على منطقة أخرى خارج كوردستان، حيث تم تعينه في بعض المناطق التابعة لولاية العراق عوضاً عن امارته الوراثية (چمشگزك)[١٣٧]. بالرغم من ذلك لم تستمر تلك السياسة، ويمكن تلمس بداية التغيير في هذه السياسة في حادثه زج الامراء الكورد في السجن كما مر بيان ذلك، حيث أناط الشاه مهمة ادارة مناطقهم بالقادة القزلباش.

ويمكننا تحديد السياسة الصفوية ازاء كوردستان على العموم بالنقاط الآتية:

١- الاعتماد على القبائل التركمانية القزلباشية[١٣٨] في الادارة عوضاً عن الكورد، وكان ذلك يعني عزل الزعامات الكوردية و احلال الزعامات التركمانية محلها[١٣٩].

٢- اجبار الكورد في المناطق المحتلة من كوردستان على ترك المذهب السني واعتناق المذهب الشيعي، وذلك في اطار سياسة مذهبية شاملة تم اتباعها في كافة انحاء الدولة الصفوية[١٤٠].

---

(١٣٤) شاكر خضباك، الكرد والمسألة...، ص٢٢.

(١٣٥) شرفخان البدليسي، م. س، ص ١٣٤.

(١٣٦) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل ١٢٨.

(١٣٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص ١٨٦.

(١٣٨) نقصد بها القبائل التركمانية السبع (استاجلو، شاملو، تكەلو، بهارلو، ذوالقدر، قاجار وافشار) التي انحازت الى جانب الشاه اسماعيل، فألف الشاه جيشاً يسمى (قزلباش) كان يتكون من تلك القبائل الى جانب أتباع والده. حول ذلك ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، مج٣، مادة اسماعيل الصفوي.

(١٣٩) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل ٧١، ٨٢. گروه از مستشرقين، م. س، ص ٧٥-٧٦.

(١٤٠) عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٤١. سيار كوكب الجميل، دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل وأقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ وبدايات الصراع العثماني الايراني في عهد السلطان سليم الاول، ق١، مجلة (بين النهرين) ع (٣٠) س (١٩٨٠) ص ١٩٦.

٣- استعمال أعلى درجات القسوة لارهاب السكان والقمع الوحشي لكافة حركات التمرد والعصيان[١٤١].

٤- تسخير الامكانيات المادية والعسكرية الكوردية لصالح الدولة الصفوية ومطامعها التوسعية[١٤٢].

يجدر بالذكر ان معظم الباحثين يعزون هذه السياسة الى التعصب المذهبي للشاه اسماعيل الصفوي، خاصة وان الكورد كان اغلبهم على المذهب السني[١٤٣]. وفي الوقت الذي لا ننفي دور هذا العامل، نعتقد بوجود عوامل اخرى دفعت بالشاه الى انتهاج السياسة المذكورة، منها:

١- ان نزوع الكورد الدائم الى الحرية وعدم خضوعهم خضوعاً تاماً للسلطة الاجنبية- كما بيننا سابقاً- قد ولد لدى الشاه شعوراً بعدم الارتياح مادام الكورد يتمسكون بسلطاتهم في مناطقهم. ولاسيما ان الشاه قد لقي مقاومة عنيدة من قبل الكورد في بعض المناطق وخاصة في امارة بوتان[١٤٤].

٢- كانت كوردستان منطقة حدودية بالنسبة للدولة الصفوية الفتية، يضاف الى ذلك انها كانت تواجه الدولة العثمانية القوية التي لاجدال كان الشاه يعتقد أنه سوف يصطدم بها عاجلاً أو آجلاً[١٤٥]. و حينها تشكل كوردستان الحلقة الاضعف في جبهته، حيث لم يكن يأمن ولاءاتهم الجديدة خاصة وان غالبيتهم العظمى كانوا سنة كالعثمانيين ولا تربطهم بالدولة الصفوية أية رابطة. ولذلك حاول الشاه اسماعيل تأمين جبهته الغربية درءاً للتهديد العثماني.

ثالثاً: الصراع العثماني الصفوي على كوردستان:

حينما كانت الدولة الصفوية تمارس نشاطاتها التوسعية في كوردستان وآسيا الصغرى، كانت الدولة العثمانية منشغلة بحروبها في اوربا، ولكنها بالرغم من ذلك كانت تراقب التطورات السياسية

---

(١٤١) سالح محمدامين، س. پ، ل ٢٤.

(١٤٢) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٨٢. وللتفصيل في السياسة الصفوية تجاه كوردستان ينظر نفس المصدر، صفحات ٧٩-٩٠.

(١٤٣) محمد امين زكي، خلاصة...، ص ١٦٤. گروه ازمستشرقين، م. س، ص ٧٥.

(١٤٤) ينظر الصفحات السابقة من هذا الموضوع.

(١٤٥) يذكر عماد الجواهري بصدد ذلك ((ان العلاقات بين الدولتين كانت كالنار تحت الرماد، حيث كانت هناك اكثر من سبب تحتم هذا النزاع)). ينظر: صراع القوى السياسية...، ص ٦٧. وسيتبين ذلك فيما بعد.

والعسكرية الجارية في المنطقة عن كثب[١٤٦]. ولم يستمر الصمت العثماني وقتاً طويلاً، فسرعان ما قرر العثمانيون الدخول في حلبة الصراع، عندما شعروا بخطر التوسعات الصفوية على حدودهم الشرقية. ويعد ذلك أحد العوامل التي تفسر ذلك الانقلاب المفاجيء الذي حدث في توجهات التوسع العثماني من الجهة الغربية صوب الشرق.

تعود بدايات الصراع العثماني الصفوي الى عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢)[١٤٧]، وبالتحديد الى تلك التحركات العسكرية الصفوية للسيطرة على المناطق الاستراتيجية المهمة في خط جغرافي يمتد من أرمينيا الى كوردستان واناضول الشرقية عموماً حتى العراق[١٤٨]. وكذلك الى المحاولات الصفوية الرامية الى كسب مناطق النفوذ و المؤيدين بين العناصر السكانية القاطنة في شرقي الاناضول ووسطها. فقد استطاع الشاه اسماعيل استمالة بعض تلك العناصر، فناصروا الحركة الصفوية قبل تأسيس أركان دولته في آذربيجان. وذلك عن طريق ارسال الدعاة والمريدين الى تلك الجهات. وكانت تلك العملية تجري على قدم وساق بعد تأسيس الدولة الصفوية أيضاً. الامر الذي شكل خطراً واضحاً على الحدود العثمانية الشرقية[١٤٩]. ويبدو ان السلطان بايزيد شعر بذلك الخطر ولذلك وجه رسالة الى أحد الامراء الكورد في عام ١٥٠٢ يستفسر فيها عن نتائج الحرب الصفوية – الآق قوينلية التي كانت قائمة آنذاك[١٥٠]. كما أقدم على إجلاء الكثير من السكان الشيعة الساكنين في الاناضول الى بلاد المورة[١٥١] في عام ١٥٠٢ أيضاً[١٥٢].

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، حيث بدأ الصفويون تحرشاتهم المتعمدة على حدود الدولة العثمانية الشرقية في نقاط متعددة من الاناضول. منها على سبيل المثال تلك الغارة التي شنها

---

(١٤٦) عماد الجواهري، م. س، ص ٦٥.

(١٤٧) حول سيرته يراجع: دائرة المعارف الاسلامية، مج٦، مادة: بايزيد الثاني.

(١٤٨) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق١، ص ١٩٣.

(١٤٩) راجر سيوري، م. س، ص ٣٨.

(١٥٠) فريدون بك، مجموعة منشآت السلاطين، استانبول ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، ج١، نقلاً عن: د. زرار صديق توفيق، چوار بەڵگەنامە لە بارەی سەرەتاکانی پێوەندی نێوان کورد و عوسمانییەکان. گۆڤاری (رامان) ژ (٦٥) تشرینی دووەمی ٢٠٠١، ل ٢٤٧-٢٤٨. وانظر نص الرسالة المذكورة وجوابها في الملحق.

(١٥١) انها جزء من بلاد اليونان واسمها الاصلي بيلوبونيز.

(١٥٢) راجر سيوري، م. س، ص ٣٨.

القوة العسكرية المؤلفة من مريديي الطريقة الصفوية على شرقي الاناضول في عام ١٥١٢[١٥٣]. ودعى ذلك (سليم) الابن الاصغر للسلطان بايزيد- وكان حاكماً على طرابزون آنذاك- للاغارة على المقاطعات الصفوية في أرزنجان و بايبورد[١٥٤]. وبقي الحال بين مدّ و جزر خلال عهد بايزيد الثاني[١٥٥]. ولكن عندما اعتلى السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) عرش الامبراطورية العثمانية، تغيرت استراتيجية الدولة العثمانية ودخل الصراع مرحلة حاسمة. ولذلك يعد عهد سليم الاول البداية الحقيقية للصراع العثماني- الايراني[١٥٦].

أ- اسباب الصراع:

تتباين آراء المؤرخين حول اسباب الصراع العثماني الايراني الذي استمر طوال قرون عدة، فيشير معظم المؤرخين الى الاختلاف المذهبي بين الدولتين، حيث ان تعصب الصفويين للمذهب الشيعي، ومحاولاتهم نشر هذا المذهب في المنطقة، والمذبحة التي قام بها الشاه اسماعيل للسنة في بغداد، دعت الى عدّ الدولة العثمانية نفسها حامية للسنة[١٥٧].

وهناك من يذكر الحقد الشخصي بين الشاه اسماعيل والسلطان سليم، على اعتبار ان الشاه لم يقدم التهنئة المعتادة للسلطان عندما اعتلى العرش، الامر الذي اثار ضغينة السلطان[١٥٨]. ويذكر آخرون

---

(١٥٣) راجر سيوري، م. س، ص ٣٨. وانظر أيضاً:

Imber, Colin: The Ottoman Empire (1300-1650)/The Structure of Power, First Pub., by Palgrave, Great Britain, 2002, P45.

(١٥٤) مدينتان في شمال شرقي الاناضول.

(١٥٥) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق١، ص ١٩٣.

(١٥٦) سيار كوكب الجميل، استراتيجية العراق واثرها في نشوء الصراع العثماني الايراني، مجلة (آفاق عربية) ع (١٠) س (١٩٨١)، ص١٦.

(١٥٧) ينظر على سبيل المثال: Imber, op. cit, P45.

عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨، ص٥.

(١٥٨) ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، جامعة الموصل ١٩٨٦، ص٢٤.

ان إيواء الشاه اسماعيل للامراء العثمانيين المعارضين الطامعين في السلطة يعد أيضاً من عوامل ذلك الصراع[١٥٩].

ولكن يمكن القول ان العاملين الاخيرين ضعيفان ولا يكفيان لحمل الدولتين على الدخول في تلك الحرب الطويلة المدمرة، أما العامل المذهبي فلا شك انه لم يكن سبباً كافياً للصراع، وانما يمكن ان يرد ذلك الى موافقة سياسة التعصب المذهبي للنوايا التوسعية لكل من الشاه اسماعيل والسلطان سليم، فالأخير يقول في رسالة كتبها الى سلطان المماليك في مصر والشام (طومان باي)[١٦٠] مايفيد بانه ((يرغب ان يصبح حاكم الشرق والغرب على غرار اسكندر الكبير))[١٦١]. ثم ان الشاه اسماعيل قد تعاون مع الدولة المملوكية وامارة ذو القدر وهما دولتان سنيتان[١٦٢]. ولكننا يجب ان لاننسى ان السياسة المذهبية التي اتبعها الشاه قد آلم علماء الدين الكورد والعرب الكبار الذين أرسلوا الوفود و الرسائل الى الدولة العثمانية يحثونها على محاربة الدولة الصفوية[١٦٣]. الامر الذي زود السلطان سليم بالحجة التي يتذرع بها لأصباغ الحرب بصبغة دينية. ففي مستهل الرسالة التي كتبت باسم السلطان سليم الى الشاه اسماعيل ينعت السلطان نفسه بـ((قاتل الكفرة والمشركين، قامع اعداء الدين، مرغم انوف الفراعين... سلطان الغزاة والمجاهدين))[١٦٤]. وفيما يتعلق بالاسباب الداعية الى الحرب من وجهة النظر العثمانية فقد جاء في الرسالة الأخيرة ان الشاه اسماعيل قام بـ: ((فتح ابواب الظلم والاستبداد امام المسلمين، مزج الزندقة بالالحاد، اشاعة الفتنة والفساد... اراقة الدماء الكريمة وتخريب المساجد والمنابر واحراق المراقد والمقابر واهانة العلماء والسادات والقاء المصاحف الكريمة في الاوساخ وسب الشيخين الكريمين...))[١٦٥]. وبذلك يمكننا القول ان العامل الديني- المذهبي قد لعب دوراً مساعداً في اذكاء نار الحرب.

---

(١٥٩) راجع سيوري، م. س، ص ٣٨-٣٩. Imber, op. cit, P45

محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ١٩٧٧، ص٧٣.

(١٦٠) حول ترجمته يراجع: خيرالدين الزركلي، الاعلام، مج٣، ط٤، بيروت ١٩٧٩، ص٢٣٣.

(١٦١) The Cambridge Hist., Vol. 1A, P315 .

(١٦٢) ابراهيم خليل احمد، م. س، ص٢٤.

(١٦٣) سالح محمد امين، س. پ، ل٢٥.

(١٦٤) ينظر نص الرسالة في: هامەر، دولت عثمانية تاريخي، مترجمي: محمد عطا، ج٤، استانبول ١٣٣٠ رومي، ص١٢٤-١٢٦.

(١٦٥) ينظر نص الرسالة المذكورة في: م. ن. الصفحات نفسها.

أما السبب الرئيس في ذلك فيتمثل في وجود تلك المنطقة الاستراتيجية الواقعة بين الدولتين، وبالأخص كوردستان التي دار حولها وفيها معظم مراحل ذلك الصراع، حيث اراد كل منهما ضمها الى دولته لأهميتها الاقتصادية وغناها بالموارد الزراعية[١٦٦]. ولأهميتها التجارية لكونها واقعة على الطرق التجارية التي تصل ايران بالبحرين المتوسط والاسود[١٦٧]. بالاضافة الى أهميتها العسكرية المتمثلة في الاستفادة من مواقعها الحصينة وقواها البشرية.

ب- معركة چالديران:

بدأ عهد من العلاقات السلمية والدبلوماسية بين الدولة العثمانية و الدول الاوربية مع بداية حكم السلطان سليم الاول، وبذلك وجد السلطان نفسه آمناً من جهة اوربا، فحول آلته الحربية الى الشرق ليحسم الموقف مع الدولة الصفوية[١٦٨].

لقد أعلن السلطان الحرب على الصفويين بعدما استصدر فتوى من شيخ الاسلام[١٦٩]، وضع بموجبها محاربة الشاه اسماعيل في دائرة الجهاد بوصفه كافراً وزنديقاً[١٧٠]، وبذلك أعطى الحرب صبغة دينية. ولكي يأمن خلفية الجيش الذي اعده لقتال الصفويين قرر ان يمحو وجود الشيعة في أناضول الشرقية. فأمر بحصر عددهم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعاً، ويقال ان عددهم كان يبلغ أربعين الفاً[١٧١]. ومن الواضح ان هذا الرقم مبالغ فيه ولكنه يدل على ضخامة المذبحة بدون شك. ويشير أحد المستشرقين الى ان ادريس البدليسي[١٧٢]- الشخصية الكوردية المعروفة آنذاك- كان قد شارك في هذه العملية أيضاً وخاصة في منطقة ماردين[١٧٣].

---

(١٦٦) ابراهيم خليل احمد، م. س، ص٢٣-٢٤.

(١٦٧) The Cambridge Hist., Vol. 1A. P316.

(١٦٨) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق١، ص١٩٤.

(١٦٩) اعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، لانه يترأس المؤسسة الدينية في الدولة.

(١٧٠) The Cambridge Hist., Vol. 1A, P315; Imber, op. cit, P45.

(١٧١) هامر، م. س، ج٤، ص١٢٢. راجر سيوري، م. س، ص٣٩. محمد فريد بك، م. س، ص٧٤.

(١٧٢) ستبرز ادوار هذه الشخصية في الفصل الثاني.

(١٧٣) گرد ليفسكي، الاعمال المختارة، مج١، موسكو ١٩٦٠ (باللغة الروسية) نقلاً عن: د. كمال مظهر، چەند لاپەرەیەك لە میژووی گەلی کورد، ب١، بەغدا ١٩٨٥، ل٥٣.

بدأ السلطان سليم زحفه الطويل نحو الشرق في (٢٤) نيسان ١٥١٤، وسار في طريقه حتى وصل الى ارزنجان، حيث ابتدأت الصعاب في الرحلة، وذلك لأن الجيش العثماني أصبح يعاني نقصاً كبيراً في المؤن والعلوف نتيجة (خطة الارض المحروقة) التي اتبعها الصفويون لمجابهة الحملة العثمانية[١٧٤]. فعندما انحسب (محمد خان استاجلو)[١٧٥] من دياربكر، و (نور علي خليفة روملو)[١٧٦] من ارزنجان للانضمام الى جانب الشاه في حربه ضد العثمانيين، فانهما خرّبا وأحرقا كل ما قد يستفيد منه العدو من ذخائر[١٧٧]. وذلك لاستنزاف قواه واحباط معنوياته. ولكن السلطان سليم واصل تقدمه داخل الاراضي الصفوية رغم تذمر الانكشاريين[١٧٨]، حيث حاول الشاه استدراجه الى المناطق الجبلية الجرداء، وذلك بالانسحاب امامه آملاً في هزيمته هناك. أما سليم فقد ارسل اليه رسائل استفزازية محاولاً اجباره على ملاقاته[١٧٩].

لابد من الوقوف هنا للاشارة الى محاولات كل من الطرفين لاستمالة الكورد الى معسكره، وفيما يتعلق بذلك يبدو ان الصفويين لم يوفقوا كثيراً، حيث حارب عدد قليل من الامراء الكورد الى جانبهم، وكان بينهم الامير حاجي رستم بك (امير چمشگزك)[١٨٠]، وذلك بسبب سياستهم الجائرة ازاء الكورد. أما العثمانيون فقد قطعوا شوطاً كبيراً في هذا المجال، حيث استفادوا من العلاقات الاقطاعية السائدة آنذاك في كوردستان واستحالوا الامراء الكورد الى جانبهم بوعودهم المعسولة[١٨١]. ومن المرجح ان الامراء الكورد قرروا من جانبهم الميل الى أحد المعسكرين أيضاً، ولكن بفضل الطرق الدبلوماسية التي اتبعها ادريس البدليسي مستغلاً مكانته الدينية بين الكورد من جهة، واستياء الكورد من السياسة الصفوية الغادرة من جهة أخرى، مال معظم الامراء

---

(١٧٤) Parry,J. and others, A History of Ottoman Empire to 1730, London 1976, P70.

(١٧٥) كان والياً للدولة الصفوية على دياربكر. ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١.

(١٧٦) كان والياً للدولة الصفوية على ازرنجان والاصقاع الشمالية من كوردستان.

(١٧٧) سالح محمد امين، س. پ، ل٢٥. وانظر أيضاً: راجر سيوري، م. س، ص٣٩.

(١٧٨) القوات الانكشارية كانت تؤلف القوة العثمانية الضاربة في تلك الفترة.

(١٧٩) هامر، م. س، ج٤، ص١٢٧-١٣٢. The Cambridge Hist., Vol. 1A, P315

(١٨٠) شرفخان البدليسي، م. س، ص١٨٦.

(١٨١) گروه ازمستشرقين، م. س، ص٥٦. ف. ئەسەسەرد، گەشەكردنی سەرمایەداری لە كوردستاندا و زەمینەی ئابووریانەی بزووتنەوەی نەتەوایەتی، چ١، (ب. ش) ١٩٨٦، ل٢٠.

والزعماء الكورد الى المعسكر العثماني[١٨٢]. منهم على سبيل المثال جمشيد بك أمير پالو، الذي شارك في معركة چالديران[١٨٣]. وكذلك أمير بدليس شرف بك الذي أنضم الى جانب السلطان سليم محاولاً استعادة امارته من الصفويين[١٨٤]. ولكن بعض الامراء الآخرين قد ترددوا في مد يد العون للعثمانيين لعدم تأكدهم من انتصار العثمانيين[١٨٥].

بعد تلك الاستعدادات وقع اللقاء أخيراً في سهل چالديران الواقع الى الشمال الشرقي من بحيرة وان و ذلك في الثالث والعشرين من آب ١٥١٤[١٨٦]. وكان العثمانيون الذين قد أنهكت قواهم خلال مسيرتهم الشاقة، أمام حشد عظيم من قوى الصفويين. ورغم ان عدد فرسان الشاه اسماعيل لم يكن اقل من نظيرتها العثمانية، الا انهم كانوا يفتقرون الى سلاح المدفعية، ولم تكن المشاة الصفويون بستوى الانكشارية العثمانية من حيث القوة[١٨٧].

عند بداية المعركة هاجم الشاه اسماعيل بفرسانه على أقصى يمين ويسار الجيش العثماني آملاً اكتساح حملة البنادق العثمانيين وتطويق الانكشاريين، لكنهم لم ينجحوا في مسعاهم واصبحوا على وشك الابادة على أيدي حملة البنادق العثمانيين، الذين واجهوهم بكتلة من النار في الجناح الأيمن[١٨٨]. وذلك بالرغم من انهم كانوا قد أحرزوا انتصاراً مبكراً على الجناح الايسر العثماني في هجومهم[١٨٩]. و حاول الشاه اسماعيل جمع قواته وأغار بها على المواقع العثمانية، لكنه دون جدوى، فالمدافع العثمانية كانت تقذف الحمم نحو الفرسان الصفويين من المواقع الخلفية. في الوقت الذي لم يكن لدى الجانب الصفوي ما يقابل بها تلك المدافع[١٩٠]. وادى الامر الى كارثة للجانب الصفوي، وانهزم

---

(١٨٢) ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١، Imber,op.cit, P54.

(١٨٣) Uzunçarşili, Ismail Hakki: Buyuk Osmanli Tarihi, cilt. 2, Ankara, 1995, S.275.

(١٨٤) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١. Imber, op. cit, P45

(١٨٥) گروه ازستشرقين، م. س، ص٧٦ وكذلك: محفوظ العباسي، امارة بهدينان العباسية، الموصل ١٩٦٩، ص٥٣.

(١٨٦) هامر، م.س، ج٤، ص١٣٤. The Cambridge Hist, vol. 1A, p315

(١٨٧) Parry, op. cit, P70.

(١٨٨) Ibid, P70.

(١٨٩) راجر سيوري، م. س، ص٤٠. The Cambrige Hist. Vol. 1A, P315

(١٩٠) راجر سيوري، م. س، ص٤٠.

الشاه مجروحاً من ساحة المعركة بعد ان نجا بأعجوبة[191]. وانتصرت الجيوش العثمانية وخسر الشاه عدداً كبيراً من قواده ورجاله في المعركة[192]. كان بينهم قائد الجناح الايسر (محمد خان استاجلو)[193].

رغم تأكيد معظم المصادر على ان المدفعية العثمانية قد لعبت دوراً رئيساً في نتيجة المعركة، ولكن يمكن القول انه كان للكورد أيضاً دورهم في جعل كفة القوى تميل لصالح العثمانيين، وذلك لان ستة عشر أميراً كوردياً كانوا قد التحقوا بالجيش العثماني في المعركة[194]. ونستدل على ذلك ايضاً من الـ(استمالت نامه) التي ارسلها السلطان بعد المعركة مباشرة الى أهالي تبريز، والتي يطلق فيها على (زاهد بك) امير هكاري لقب ((فخر الامراء الكورد))[195]. و من كتابته (فتح نامه) خاصة لـ((ديار شرق بگلرى... وسائر امراء اكراد وعشائر وقبائل سردار لرى/ أي: بگوات بلدان الشرق... وسائر امراء الكورد وزعماء العشائر والقبائل)). والتي يبشر فيها بنصره على الشاه اسماعيل. بل ان السلطان ارسل رسالة خاصة الى أمير لورستان (شاه رستم بيك) عقب معركة چالديران،شاكراً له للخدمات التي قدمها للعثمانيين في مجابهة الدولة الصفوية[196].

بعد الانتصار في چالديران انفتح طريق تبريز امام السلطان سليم الذي ارسل ادريس البدليسي ليتسلّمها ويقوم باعداد الترتيبات الرسمية لاستقبال السلطان[197]. فدخل السلطان الى تبريز في اعقاب ذلك واعلن الامان لأهاليها، حيث اراد اعادة تنظيم قواته لغرض ملاحقة الشاه الفار نحو

---

(١٩١) احمد عبدالرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط١، بيروت ١٩٨٢، ص٨١.

(١٩٢) نظمي زاده مرتضى افندي، گلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، النجف ١٩٧١، ص١٨٥.

(١٩٣) راجر سيوري، م. س، ص٤٠.

(١٩٤) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٦٦. يجدر بالذكر ان عدد الامراء الكورد المشاركين في المعركة يرتفع في مصدر آخر الى (٤٦) أميراً، ينظر: د. شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٢. ولكن الرقم الأخير بعيد عن الواقع ولا يستبعد ان يكون خطأ مطبعياً.

(١٩٥) سالح محمد امين، س. پ، ل٦٨.

(١٩٦) فريدون بك، م. س، ج١، ص٩٠-٩١، نقلاً عن: د. زرار صديق، س. پ، ل٢٤٩-٢٥٠ وحول نص الفتح نامه وكذلك الرسالة المذكورة ينظرملحق هذا الكتاب.

(١٩٧) هامەر، م. س، ج٤، ص١٢٠. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٥ وتضمنت تلك الترتيبات استتباب الامن في تبريز ومحاولة استمالة السكان عبر الخطبة فيهم في المسجد الجامع بالمدينة. محمد بايراقدار، ئيدريسي بدليسي، و: شكور مستەفا، ج١، كوردستان ١٩٩٩، ل١٦.

دركزين[١٩٨]. لكن تمرد الانكشارية ونقص المؤن الى جانب برودة الشتاء منعته من ذلك، وأجبرته على ترك تبريز والانسحاب منها[١٩٩]. ورغم ان الشاه اسماعيل عاد اليها فيما بعد، ولكن نتائج الهزيمة كانت بادية على الدولة الصفوية التي فقدت سيطرتها على غرب جبال زاگروس[٢٠٠].

أما فيما يخص الدولة العثمانية فقد ادت المعركة الى انضمام الجزء الاكبر من كوردستان اليها، وذلك عقب التطورات التي أعقبتها- كما سنأتي الى ذلك فيما بعد- وبذلك سيطرت على الممرات الاستراتيجية المفضية من الاناضول الى القفقاس و سوريا وايران[٢٠١]. كما أكتسبت سوراً طبيعياً ضد الاخطار الآتية من الشرق أيضاً[٢٠٢].

ج- نتائج المعركة على كوردستان:

كانت معركة چالديران والانتصار العثماني فيها نقطة تحول مهمة للشرق الاوسط عامة و لكوردستان بشكل خاص، فقد ادى قبل كل شيء الى تقسيم بلاد الكورد عملياً بين الدولتين العثمانية والصفوية، حيث دخل القسم الاكبر منها في مجال النفوذ العثماني، وبقيت المناطق الباقية الاخرى خاضعة للنفوذ الصفوي[٢٠٣]. وهذا ما جعل أحد الباحثين يصف سنة ١٥١٤ بـ((السنة المشؤومة للكورد))[٢٠٤]. ولكن باحثاً آخر يذهب الى ان الكورد قد تنفسوا الصعداء بالأنتصار العثماني في چالديران، حيث انهم تخلصوا من سياسة الابادة الصفوية على حد قوله[٢٠٥].

و هذان الرأيان نابعان من نظرتين مختلفتين: فالرأي الاول ينظر للموضوع من زاوية المستقبل والنتائج، اما الرأي الثاني فيقيّم الحدث في اطار الاوضاع السائدة في كوردستان حينذاك. ولا شك في ان الباحث لو أخذ السياسة الصفوية الجائرة ازاء الكورد بنظر الاعتبار، ووقف على الظروف التي

---

(١٩٨) تقع في شمال ايران.

(١٩٩) راجر سيوري، م. س، ص٤١. سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق١، ص٢٠٠.

(٢٠٠) گروه از مستشرقين، م. س، ص٧٦.

(٢٠١) احمد عبدالرحيم مصطفى، م. س، ص٨٦.

(٢٠٢) The Cambridge Hist. Vol. 1A, P316.

(٢٠٣) م. س. لازاريف، كێشەی كورد ١٨٩٦-١٩١٧، و: د. كاوس قەفتان، بەغدا ١٩٨٩، ل٤٣.

(٢٠٤) عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٤٢.

(٢٠٥) سالح قەفتان، س. پ، ل٣٤٠.

قبل الكورد بتأثيرها الدخول في المجال العثماني- والتي سنأتي على تفاصيلها في الفصل التالي ـ وتتبع حوادث كوردستان فيما بعد معركة چالديران لأخذ بوجهة النظر الثانية.

ففي اعقاب معركة چالديران قام في كوردستان ما يشبه انتفاضة شعبية عارمة، فقد ثار الكورد على القوات الصفوية الباقية في كوردستان في معظم المناطق، محاولين اجبارهم على الجلاء بالقوة(٢٠٦) وذلك في الوقت الذي لم تمتد السيطرة العثمانية الى مناطقهم حتى ذلك الوقت، حيث ان جيوش السلطان سليم كانت تعود راجعة على خط في شمالي الاناضول. ولكن السلطان ارسل ادريس البدليسي مرات عدة الى كوردستان من معسكره في آماسية، ليعمل على اثارة الكورد عن طريق امرائهم وزعمائهم، حسب قول فون هامر(٢٠٧). وفي الواقع ان الكورد لم يكونوا بحاجة الى المزيد من الاثارة نتيجةً للمعاملة الصفوية القاسية التي تلقوها. وكان من الطبيعي ان يستغلوا الهزيمة الصفوية كفرصة سانحة للانتقام منهم واستعادة حقوقهم المغتصبة.

مهما كان الامر فقد حدث ما كان متوقعاً بالفعل، حيث ثار أهالي دياربكر وطردوا نائب مدينتهم الصفوي، وفي بدليس خلع شرف بك(٢٠٨) أحد الامراء القزلباش المنصوبين على إمارته(٢٠٩). وثار الملك خليل- وهو الامير المخلوع لامارة حصن كيفا- على الصفويين في مدينتي حصن كيفا وسعرد، ولكنه لم يفلح في استرجاعهما(٢١٠) من (قرەخان) الذي كان مكلفاً من الشاه اسماعيل بالدفاع عن الوجود الصفوي في كوردستان عقب مقتل أخيه (محمد خان استاجلو) في معركة چالديران(٢١١). وفي بلاد هرزن (أو- گارزن) استطاع أمير ساسون (محمد بك) ان يسترد ممتلكاته من الصفويين بالقوة. و استولى جمشير بك المرداسي على پالو، كما استطاع قاسم بك ان يسترجع قلعة أگيل. وقد ساعد الديار بكريون السيد احمد الزراكي لاسترداد بلدتي (هتاخ) و (ميافارقين). كما

(٢٠٦) د. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد ١٩٨٥، ص ٢٣٠. يطلق المستشرق السوفياتي (نيقولاى ايڤانوڤ) تسمية ((الانتفاضة)) على تلك الحركات التطهيرية فعلاً. ينظر: الفتح العثماني للاقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ت: يوسف عطا الله، ط١، بيروت ١٩٨٨، ص٨٤.

(٢٠٧) دولت عثمانية تاريخي، ج٤، ص١٥٤. ينظر أيضاً: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، مجلة (بين النهرين) ع(٣١) س (١٩٨٠)، ص٣٢٦.

(٢٠٨) جاء اسمه في بعض المصادر بصيغة (شريف). ينظر: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٥٢.

(٢٠٩) هو (كرد بك شرفلو). شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣٠.

(٢١٠) يذكر سيار الجميل بانه قد افلح في استرجاعهما. ينظر: دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٧.

(٢١١) يذكر شرفخان بأن الشاه عهد اليه منصب ولاية دياربكر بعد مقتل أخيه. ينظر: الشرفنامه، ص ٤٣١.

شاركت امارة بوتان في تلك الحركات العسكرية المناوئة للصفويين ولقواتهم الباقية في كوردستان[٢١٢]. وامتدت آثار تلك الحركات التطهيرية الى كركوك واربيل، اذ أستطاع أمير سوران (سيدي بك بن شاه علي) ان يسترجعهما[٢١٣]. ولكن بعض المدن والقلاع الكوردية قد عصت نظراً لفاعلية الحاميات الايرانية فيها[٢١٤].

وتعد تلك الحركات التطهيرية بداية لتحرير جزء كبير من كوردستان من السيطرة الصفوية، لكنها كانت في الوقت نفسه بمثابة تمهيد لدخول تلك المناطق مع مناطق اخرى من كوردستان الى دائرة النفوذ العثماني.

---

(٢١٢) يذكر (سيار الجميل) بأن ((بختي بك قد لاحق قائد جزيرة ابن عمر وطارده)) ينظر: دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٧. ويذكر (محمد امين زكي) ذلك ايضاً. ينظر: خلاصة...، ص١٦٦. في الوقت الذي لايمكن العثور على هذا الاسم بين امراء بوتان في تلك الفترة. والحقيقة ان المؤرخين المذكورين أخطئا في فهم مصدرهما وهو (هامر) الذي ذكر ((بختي و جزيرة العمر قوماندانى))، والتعبير المذكور يعني (قائد بوتان و جزيرة العمر) ويقصد به أمير بوتان. ينظر: دولت عثمانية تاريخي، ج٤، ص١٥٤.

(٢١٣) هامر، م. س، ج٤، ص١٥٤-١٥٥. ينظر أيضاً: محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٦٥-١٦٦. سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٧.

(٢١٤) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٨.

الفصل الثاني

(دخول كوردستان في دائرة النفوذ العثماني)

أولاً: التوسعات العثمانية فى كوردستان و ادريس البدليسي:

هناك شخصية كوردية مارست تأثيراً مباشراً في الاحداث في كوردستان خلال العقد الثاني من القرن السادس عشر. وذلك من خلال الدور الذي كلفها به السلطان سليم الاول، حيث مثلت دور الوسيط بين الامراء الكورد والسلطان العثماني عشية معركة چالديران وما بعدها. وهذه الشخصية هو ادريس البدليسي الذي استغل مكانته الدينية لدى الكورد، واستعمل الطرق الدبلوماسية لحث زعمائهم على مساعدة الدولة العثمانية خلال صراعها مع الدولة الصفوية. ولعب بعد ذلك دوراً فعلياً في الحوادث التالية كما سنرى. ولذلك من الضروري ان نعرف شيئاً عن سيرة تلك الشخصية تمهيداً لعرض الاحداث التي كانت لها الدور المؤثر فيها.

أ- ادريس البدليسي.. سيرته و شخصيته:

هو ادريس بن حسام الدين بن علي، عرف بالبدليسي نسبة الى مدينة بدليس، كان يقال له (مولانا) و (حكيم الدين)[1]، واتخذ لنفسه لقب (أميرك) ليوقع به ماكان ينشره من قصائد[2].

ليست لدينا فكرة واضحة عن نشأته وسيرته لما قبل بروزه على مسرح الاحداث، بيد انه من الممكن القول انه نشأ في بيئة دينية وعلمية، فقد كان أبوه (حسام الدين) من خلفاء الطريقة النوربخشية[3]. وكتب مؤلفات عدة عن الدين والتصوف باللغة العربية[4]. ولنا ان نستنتج بانه تأثر بأبيه، حيث كان من الطبيعي ان يوجهه والده نحو تعلم القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية، مج٦، مادة: ادريس البدليسي. محەمەد بایراقدار، س. پ، ل٩. يجدر بالذكر ان اسم (حسام الدين) جاء في الصفحة المذكورة من المصدر الاخير بصيغة (هشام الدين) ولكن الاسم قد صحح في الصفحات الاخرى من نفس المصدر.

(٢) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٤.

(٣) شرفخان البدليسي، م. س، ح ص٣٧١. والطريقة النور بخشية تنسب الى السيد محمد نور بخش المتوفي في عام ١٤٦٥م الذي اسس تلك الطريقة التي يقال عنها بانها مذهب وسط بين تعاليم الشيعة والسنة، وله كتاب (الرسالة الاعتقادية). المنجد في الاعلام، ط١٢، لبنان ١٩٨٢، مادة نور بخش.

(٤) ينظر: محەمەد بایراقدار، س. پ، ل١١.

الدين، بل ساهم في تعليمه أيضاً[٥]. ويبدو انه واصل دراسته في مدينته ثم انتقل الى ايران ليكمل تعليمه[٦]. ورغم اننا لا نعرف تفصيلات دراسته ولا شيوخه الا أن تضلعه باللغات الفارسية والعربية والتركية[٧] يعطي مؤشراً بأنه أخذ عن شيوخ ذلك العصر آداب اللغات المشار اليها.

وكان والد البدليسي له باع في الانشاء والكتابات الرسمية الى جانب الدين و التصوف، اذ كان يعمل كاتباً في ديوان الآق قوينلو[٨]. فترك أثراً في ابنه في هذا المجال أيضاً. فالبدليسي كان يمتاز بمعرفته بأصول المكاتبات الرسمية، حيث انه كتب العديد من تلك الرسائل باسم الامراء والملوك الذين أشتغل في بلاطاتهم في منصب الكاتب. مما اكسبه سمعة أدبية واسعة. ومن الدلائل التي تبرهن على ذلك تلك الرسالة التي كتبها باسم السلطان يعقوب بن حسن الطويل الآق قوينلي (١٤٧٩-١٤٩٠)[٩] للسلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) ليهنئه بانتصاره، حيث افتتن السلطان بايزيد بأسلوبه البارع وحاول استمالته الى بلاطه[١٠].

يقول (گردليفسكى) عن ادريس البدليسي انه كان ((رجل دولة))[١١] وهو قول صائب، فقد أشغل المذكور العديد من المناصب المهمة في بلاطات دولة الآق قوينلو، و الدولتين الصفوية والعثمانية على التوالي. حيث دخل في المناصب الحكومية لأول مرة بوصفه كاتباً خاصاً للسطان يعقوب بن حسن الطويل الآق قوينلي، ثم تدرج في الوظائف فحصل على مناصب مهمة في عهد سلاطين الآق قوينلو الآخرين[١٢]. منها منصب (نيشانچى) أي حامل الختم الذي كان منصباً

---

(٥) هـ. س، ل١٢.

(٦) محمد امين زكي، مشاهير...، ص١٠٦.

(٧) م. ن، ص١٠٤.

(٨) محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١١.

(٩) عن ترجمته ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج١٠، رقم ١١١٠، ص٢٨٣.

(١٠) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٤. دائرة المعارف الاسلامية، مج٦، مادة: ادريس البدليسي، المقال الثاني.

(١١) گردليفسكى، الاعمال المختارة، مج١، ص٣٩١ (باللغة الروسية)، نقلاً عن: د. كمال مەزهەر، چەند لاپەڕەیەك...، ل٥٣.

(١٢) شرفخان البدليسي، م. س، ح ص ٣٧٢. محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٣. يجدر بالذكر ان المصدر الأول يشير الى ان المذكور قد وصل أخيراً الى منصب الوزير.

رفيعاً في ذلك الوقت[١٣]. وقد ظل المذكور في بلاط الآق قوينلو في تبريز حتى انهيار سلطتهم في آذربيجان عام ١٥٠١ على يد الشاه اسماعيل الصفوي[١٤]. ويبدو انه تحول بعد ذلك الى البلاط الصفوي، حيث شغل منصب (مهردار) ويعني حامل الختم أيضاً، ولكنه لم يطل به المقام هناك[١٥]. فألتجأ الى الدولة العثمانية وذلك لانه لم يتحمل سياسة الشاه اسماعيل المذهبية المتطرفة[١٦].

لقي البدليسي ترحيباً حاراً لدى السلطان بايزيد الثاني واوكل اليه الاخير مهمة كتابة تاريخ الدولة العثمانية في عام ١٥٠٢. فأتم البدليسي المهمة بنجاح وذلك في كتاب سماه (هشت بهشت/ أي: الجنات الثمان)[١٧] كما عهد اليه السلطان مناصب رسمية في الدولة أيضاً[١٨]. واستمر البدليسي في تقديم خدماته للعثمانيين حتى مجئ السلطان سليم الاول الى الحكم، حيث برز شأنه في ذلك العهد، وجعله السلطان مستشاراً له واصطحبه في حملته على ايران و في حملة الشام ومصر، وشغل منصب (قاضي العسكر) لمدة. وكان السلطان يستشيره ويتصل به ويستدعيه في أخطر شؤون الدولة ليأخذ رأيه في شؤونها الادارية والعسكرية والسياسية[١٩]. واستفاد منه للاتصال بالزعماء والامراء الكورد الذين قبلوا النفوذ العثماني بطريقة سلمية، وذلك باستغلال البدليسي لمكانته الدينية والادبية لدى الكورد[٢٠]، الذين كانوا يؤمنون إيماناً قوياً بالشخصيات الدينية الى درجة ان قسماً منهم لم يكن يقدم على عمل الا بعد

---

(١٣) يضاهي ذلك المنصب حالياً منصب الوزارة.

(١٤) محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٣.

(١٥) شرفخان البدليسي، م. س، ح ص٣٧٢.

(١٦) محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٤.

(١٧) ان هذا الكتاب الذي يضم تواريخ السلاطين العثمانيين الثمان الأوائل قد ألف بالفارسية بأمر من السلطان بايزيد الثاني، وكان كما يقول عبدالكريم المدرس نقلاً عن الشقائق النعمانية ((عديمة النظير فاقدة القرين)). عبدالكريم المدرس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، بغداد ١٩٨٣، ص٨٧.

(١٨) محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٤.

(١٩) عبدالفتاح علي يحيى، ادريس البدليسي/ دوره وأثره في التاريخ الكردي، مجلة (كاروان) ع(٢٤) س(١٩٨٤) ص١٥٧. محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٦-١٧.

(٢٠) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٥. شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٧١.

استشارته[٢١]. كما أظهر البدليسي مواهب واضحة في الاعمال العسكرية التي أوكل اليها، كما سيتبين فيما بعد.

بالاضافة الى ذلك كان البدليسي له مؤلفات تاريخية وادبية ودينية عدة، فالى جانب كتاب (هشت بهشت) المذكور يقال ان له كتاباً تاريخياً آخر باسم (تاريخ أدريس البدليسي)، وترجم كتاب (حياة الحيوان) للدميري الى التركية، وكتب أيضاً (سليم نامه) بالنثر والشعر عن حياة السلطان سليم الاول ولكنه لم يكملها[٢٢]. اضافة الى عدد من الكتب الاخرى في مجالات مختلفة[٢٣].

وبعد حياة مليئة بالنشاط شعر البدليسي باليأس والغبن نتيجة طموحاته الكثيرة، حيث يظهر ذلك الشعور من تلك القصيدة التي كتبها في مصر شاكياً مظلوميته الى السلطان سليم، ومهدداً أياه بالالتجاء الى الشاه اسماعيل الصفوي[٢٤]. وقد غضب السلطان عليه جراء ذلك وأمر بأبعاده عن مصر الى استانبول في سفينة حربية من سفن الاسطول العثماني، حيث عاش فيها بقية حياته لا حول له ولا قوة[٢٥]، حتى توفي في سنة ١٥٢٠ بعد وفاة السلطان سليم بفترة قصيرة، ودفن في مقبرة أبى أيوب الانصاري. ولايزال ضريحه واضحاً للعيان في مسجد أقامته زوجته زينب خاتون[٢٦]. وسنأتي الى ذكر دوره في الصفحات اللاحقة.

ب- انتقال الصراع العثماني الصفوي الى عمق كوردستان:

كنا قد ذكرنا أن الكورد قد ثاروا على الحكم الصفوي في كثير من المدن والمناطق، وطردوا من بعضها الحاميات الصفوية. وذلك باستغلال الظروف الجديدة التي تهيأت بعد معركة چالديران، الى جانب تأثير الدعاية العثمانية التي كان يقوم بها ادريس البدليسي. ومما يبين فاعلية وقوة تلك الحركات الانتقامية انها قامت في وقت لم يتدخل فيها القوات العثمانية حتى

---

(٢١) عبالفتاح علي، ادريس...، ص١٥٧.

(٢٢) دائرة المعارف الاسلامية، مج٦، مادة: ادريس البدليسي (المقال الثاني).

(٢٣) حول مؤلفات البدليسي يراجع: محەمەد بايراقدار، س. پ، ل٤١-٦١.

(٢٤) حول القصيدة المكتوبة بالفارسية وترجمتها ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢٥) عبدالفتاح علي، ادريس...، ص١٦٤.

(٢٦) محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٨-١٩. وللمزيد من المعلومات حول المذكور يراجع: م. ن.

ذلك الوقت[٢٧]. وبالرغم من ذلك ارسل السلطان سليم الاول ادريس البدليسي الى كوردستان مرة أخرى، وحول المهام المكلف بها يقول البدليسي : ((إن السلطان سليم الاول الشهير بياوز أمرني لدى عودتنا من فتح تبريز بان أسعى لدى جميع الامراء الاكراد المنبثين في كردستان... لا دخالهم في الطاعة قاطعاً لهم العهود والمواثيق الاسلامية بالعمل على تأليف ملوك وامراء كردستان وانضوائهم تحت اللواء العثماني))[٢٨]. وفي الواقع ان مساعي البدليسي لم تكن عقيمة، اذ كان بعض الامراء الكورد مترددين في قبول السيادة العثمانية، وباقين على ولائهم للدولة الصفوية، الا انه تمكن من كسب خمسة وعشرين أميراً منهم (من ضمنهم الامراء السابقون) عند اول لقائه بهم[٢٩].

١- عودة الصفويين الى حلبة الصراع:

بدأ الشاه اسماعيل الصفوي بعد عودته الى تبريز في أعقاب مغادرة العثمانيين منها، يعد العدة لاسترجاع ما فقده من سلطات في كوردستان. فعين (قرەخان) حاكماً على كوردستان[٣٠] وجهز حملة بقيادته ليخترق المناطق الكوردية متوجهةً نحو دياربكر، وقد اصطحب الاخير معه حاميات ماردين وأورفه وحصن كيفا، فحاصر دياربكر حصاراً شديداً، وقد دافع اهالي المدينة دفاعاً مستميتاً واستنجدوا بالسلطان سليم الذي كان معسكراً في آماسية، فأرسل اليهم قوة يقودها حاجي يكتا احمد، الذي وصل دياربكر فشق صفوف المحاصرين لها ودخل القلعة مؤيداً سكانها[٣١]. ومقابل ذلك ارسل الشاه الامدادات لقائد جيشه (قرەخان). وبينما كانت النجدة الايرانية سائرة في اطراف أرجيش وعاد لجواز تمكن البدليسي ـ وكان بمعيته قوات امراء (بدليس

---

(٢٧) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٨.

(٢٨) ادريس البدليسي، سليم نامه (بالفارسية) نقلاً عن: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٧. شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٢-٧٣ Imber, op. cit, P45 .

(٢٩) گروه از مستشرقين، م. س، ص٧٦. محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٧. Imber, op. cit, P45.

(٣٠) احمد راسم، رسملى وخريطەلى عثمانلي تاريخى، ط١، استانبول ١٣٢٦ رومي، ج١، ص١٩٢.

(٣١) هامەر، م. س، ج٤، ص١٥٥.

وخيزان و موكس و ساسون) ـ من مباغتة هذه القوات والانتصار عليها فتبعثرت هذه القوة الايرانية[٣٢].

ما ان انتهى السلطان سليم من غزو علاء الدولة وقضى على امارته[٣٣] حتى وجه محمد بيقلي باشا[٣٤] من بايبورد[٣٥] بعدة الاف جنود ليعمل الى جانب البدليسي لرفع الحصار عن دياربكر[٣٦]. وكان بيقلي باشا هو الذي استولى على بايبورد وكيغي بعد الانتصار في چالديران، فأقامه السلطان حاكماً على ارزنجان. وفي اولى حملاته في عام ١٥١٥ فرض الحصار على قلعة (كماخ) المهمة في أعالي الفرات، والتي سقطت في مايس من ذلك العام[٣٧]. كما كلف السلطان والي سيواس (شادي باشا) ليقوم بمعاونة بيقلي باشا[٣٨].

لقد ارسل السلطان رسالة الى البدليسي يعلمه فيها بالنجدة التي تم ارسالها، فتسلّمه البدليسي وهو في حصن كيفا، ثم كتب الاخير من جانبه رسالة الى محمد بيقلي باشا ليحدد اللقاء في حصن كيفا، التي أنضم فيها القوات المذكورة الى ادريس البدليسي الذي كان تحت امرته جيش كوردي مؤلف من عشرة الآف مقاتل على رأسها ثلاثة قواد هم: قاسم بك (امير اگيل) وجمشير بك (امير پالو) وحسين بك[٣٩] (أمير خربوت). كما وصلت قوات امارة بادينان

---

(٣٢) م. ن، ج٤، ص١٥٥. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٦٦-١٦٧.

(٣٣) هي امارة (ذي القدر) التركمانية التي تم القضاء عليها في عام ١٥١٥ بسبب تعاونها مع الصفويين. عماد الجواهري، م. س، ص٧٠.

(٣٤) من القواد العثمانيين، عهد اليه مهمة تصفية الحاميات الصفوية في كوردستان بعد چالديران ثم نصب والياً على ولاية دياربكر. شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣٢.

(٣٥) مدينة كبيرة تقع على بعد ١٠٠كم من الشمال الغربي لأرضروم. للمزيد من المعلومات حولها ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، مج٦، مادة: بايبورد.

(٣٦) هامەر، م. س، ج٤، ص١٥٥. شەمسى ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٢.

(٣٧) Parry, op. cit, P71. Imber, op. cit, P45.

(٣٨) هامەر، م. س، ج٤، ص١٥٦. Uzunçarşili, op. cit, cilt. 2, s. 274

(٣٩) هامەر، م. س، ج٤، ص١٥٦. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٦٧.

البالغة خمسة آلاف مقاتل[٤٠]. وعندما توجهت تلك القوات نحو دياربكر، ادرك قرهخان عجزه عن الوقوف في وجهها، لذلك ترك محاصرة دياربكر و هرب بجيشه الى ماردين، مما فسح المجال للقوات الكوردية والعثمانية لدخول المدينة[٤١] في تشرين الاول عام ١٥١٥[٤٢].

وبعد ان تم عقد مجلس حربي تقرر الزحف الى ماردين، الا انهم فضلوا الاساليب الدبلوماسية، فقام البدليسي بتوجيه رسالة الى أهالي ماردين ، كي يحثهم على تسليم المدينة طوعاً للقوات الكوردية والعثمانية المشتركة، مستعيناً فيها بآيات قرآنية [٤٣]، وقد جاءت رسالة البدليسي بنتيجة مهمة، إذ بدأت المفاوضات بعدها بين ممثل أهالي ماردين المدعو (سيد علي) وبين البدليسي والملك خليل (ملك حصن كيفا المخلوع من قبل الصفويين) من الجانب العثماني. وتوصل الطرفان الى اتفاق يقضي بفتح اهالي ماردين لابواب مدينتهم، ومما سهل المهمة ذهاب قرهخان في هذه الاثناء الى اطراف سنجار. وقد ذهبت قوة كوردية بقيادة البدليسي ومعه الملك خليل لتسلم المدينة، الا ان الحامية الصفوية قد تحصنت بقلعتها المنيعة وابت التسليم. يجدر بالذكر ان تلك القلعة كانت من الحصانة بحيث لم يقدر تيمورلنك على فتحها رغم انه حاصرها مرتين[٤٤].

وكان قبل فتح ماردين قد نشأ خلاف بين القائدين العثمانيين شادي باشا وبيقلي باشا حول قيادة الحملة، وترك الاول المنطقة قاصداً الاناضول. مما جعل ادريس البدليسي يطلب المزيد من القوات من السلطان الذي ارسل قوة مؤلفة من عشرين الف مقاتل بقيادة والي قرهمان (خسرو

---

(٤٠) محمد ظلي بن درويش أولياچلبي، أولياچلبى سياحتنامەسى، ج٤، استانبول ١٣١٤هـ، ص٢٦، ٥٨. عباس العزاوي، العمادية في مختلف العصور، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي وعبدالكريم فندي، ط١، هەولێر ١٩٩٨، ص٣٧.

(٤١) هامەر، م. س، ج٤، ص١٥٦. Uzunçarşili, op. cit, cilt. 2, s. 274

(٤٢) Parry, op. cit, P71.

وجاء في مصد آخر بأن رفع الحصار كان في شهر ايلول ينظر: Imber, op. cit, p45

(٤٣) المقصود بها الآية التالية: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين))[البقرة:٢٠٨]. هامەر، م. س، ج٤، ح ص ١٦١.

(٤٤) هامەر، م. س، ج٤، ص ١٦١-١٦٢. محمد امين زكي، خلاصة..، ص١٦٨.

باشا). فانضمت تلك القوة في ربيع ١٥١٦ الى قوات البيقلي والبدليسي[٤٥]. وقد استفاد الصفويون من تلك الفرصة، فحاول قره خان تقوية حامية ماردين بقوة من الحرس الشاهاني مؤلفة من (٦٠٠) مقاتل كانت بقيادة حاكم همدان و گلشهر. فألتقت تلك القوة التي ارسلها الشاه اسماعيل بالقوات الكوردية التي كانت تحت امرة ابن أدريس البدليسي المسمى (أبى المواهب چلبى). ولم يفلح الاخير في صدّ القوة الصفوية عندما التقى الطرفان قرب سنجار فآثر الانسحاب امامها، وانفتح الطريق للقوة الايرانية لتصل الى ماردين[٤٦].

٢- معركة قوچ حصار ١٥١٦:

عندما توحدت جيوش خسرو باشا و بيقلي باشا والبدليسي تهيأ جيش عثماني قوى قادر على خوض المعركة الحاسمة، الامر الذي دفع البدليسي الى الاقتراح بالهجوم ومباغتة الجانب المقابل، ولكن محمد بيقلي باشا ـ الذي كان قائداً عاماً للقوات العثمانية والكردية المشتركة ـ حاول جس نبض أعدائه عن طريق ارسال قوة عسكرية قوامها اربعة آلاف مقاتل تحت قيادة حسين بك (امير خربوت). فالتقت هذه القوة التي كانت مهمتها استطلاعية أيضاً بالقوات الصفوية، فدارت رحى معارك ضارية بحيث لم يسلم من القوة العثمانية الا ألف جندي تمكنوا من النجاة بصعوبة وعادوا الى المعسكر العثماني[٤٧].

بعد هذه المناورة العسكرية الفاشلة التقى الجيشان الصفوي بقيادة قره خان والعثماني بقيادة بيقلي باشا على مقربة من (قوچ حصار) الواقعة بين نصيبين واورفه[٤٨]. وكان الجيش العثماني يتكون من الفرق والاجنحة الآتية: قوات خسرو باشا في الميمنة والقوات الكوردية بقيادة البدليسي كانت في الميسرة وكانت مكونة من قوات الامراء: الملك خليل (أمير حصن كيفا المخلوع) ومحمد بك (امير ساسون) وامراء شيروان وقاسم بك (امير أگيل) وشرف بك (امير بدليس) و داود بك (حاكم نميران) واحمد بك الزراكي (حاكم هتاخ) وشاه ولد بك (أمير

---

(٤٥) هامەر، م. س، ج٤، ص١٦٤. محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٦-١٧. شەمسی نیسکەندەر، س. پ، ل٧٤.

(٤٦) هامەر، م. س، ج٤، ص١٦٥.

(٤٧) م. ن، ج٤، ص١٦٥-١٦٦.

(٤٨) گروه از مستشرقين، م. س، ص٧٧.

سليڤاني). أما محمد بيقلي باشا فكان في القلب، وآخرين[٤٩]. وقعت المعركة في مايس ١٥١٦ وكانت معركة عنيفة، وظهر الوهن والضعف في صفوف الصفويين خاصة بعد اصابة قره خان برصاصة طائشة أردته قتيلاً فأنهزم الصفويون[٥٠]، بعد ان قدم الكورد كثيراً من الضحايا في تلك المعركة[٥١]. وارسل بيقلي باشا رأس قره خان المقطوع الى السلطان مرفقاً برسالة جاء فيها ((تعاوننا مع الامراء الكورد فانتصرنا على العدو....))[٥٢].

لقد قضت هذه المعركة على المواقف المتأرجحة بين الدولتين لصالح العثمانيين[٥٣]، ولم تكن أقل أهمية من معركة چالديران المذكورة فيمايخص كوردستان بل يمكن اعتبارها مكملاً لها. وذلك نظراً للنتائج المهمة التي ترتبت عليها، حيث أستولى المنتصرون على مدن و قلاع: أرغني[٥٤] وسنجار وتلعفر[٥٥] وچرموك وسيڤريك[٥٦] وبيرەجك[٥٧]. كما استولوا على ماردين، الا ان الحامية الصفوية التي كانت بقيادة سليمان خان (أخي قره خان) لم تستسلم، فدام حصار خسرو باشا لها سنة كاملة دون جدوى. ولكن السلطان سليم ارسل اليها بعد فتح حلب في عام ١٥١٦ قوة كبيرة يقودها محمد بيقلي باشا، فسقطت القلعة الحصينة بعد معركة طاحنة[٥٨]. وتقدمت القوة المذكورة بعدها نحو الموصل التي سقطت أيضاً في العام نفسه[٥٩]. كما أرسل السلطان قوة أخرى قوامها عشرة آلاف

---

(٤٩) هامەر، م. س، ج٤، ص١٦٦. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٦٩.

(٥٠) هامەر، م. س، ج٤، ص١٦٧. سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٣٣. ينظر ايضاً: احمد راسم، م. س، ج١، ص١٩٢.

(٥١) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٣.

(٥٢) فريدون بك، م. س، ص٤١٨-٤١٩ نقلاً عن: شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٧.

(٥٣) سيار الجميل، استراتيجية العراق...، ص١٧.

(٥٤) تقع الى الشمال الغربي من دياربكر، وتشكل حالياً أحد الاقضية التابعة لها.

(٥٥) قضاء كبير تابع لمحافظة نينوى في العراق حالياً، وتقع الى الغرب من الموصل.

(٥٦) تقع في منتصف الطريق الرئيسي بين دياربكر واورفه، وهي تابعة حالياً لولاية اورفه في تركيا.

(٥٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٠. ويشير مصدر آخر الى (اورفه) اضافة الى تلك المناطق ولكنه يهمل ذكر تلعفر وچرموك، (ينظر: Imber, op. cit, P46.) أما (فون هامر) فيشير الى المدن المذكورة في المتن دون ذكر لمدينتي (تلعفر) و (سيڤريك). ينظر: دولت عثمانية تاريخي، ج٤، ص١٦٧.

(٥٨) هامەر، م. س، ج٤، ص١٦٧.

(٥٩) نيقولاي ايڤانوڤ، م. س، ص٨٥.

مقاتل بقيادة والي طرابزون (مصطفى باشا) نحو ارزنجان وچمشگزك لمجابهة القوات الصفوية التي كانت تحت إمرة (نور علي خليفة روملو). فأنهزم الاخير وقتل على يد القوات الكوردية التي كانت ترافق مصطفى باشا بقيادة امير كوردي يدعى (پير حسين)[٦٠].

لقد أدت العمليات العسكرية الاخيرة الى فتح المدن و القلاع التي لم تفتح حتى ذلك الحين. وذلك لان الحاميات الصفوية في هذه المدن و القلاع لم تتمكن من المقاومة، خاصة بعد ان اندحرت قوتهم الرئيسة في قوچ حصار. وبذلك دخل الجزء الاكبر من كوردستان في مجال النفوذ العثماني. حيث شمل النفوذ العثماني حتى ذلك الوقت المدن و القلاع الكوردية الآتية: دياربكر، ماردين، بدليس، سعرد، كركوك، اربيل، أرغني، سنجار، بيرەجك، نصيبين، اورفه[٦١]، هتاخ، آميدى، ورمى، جزيرة بوتان، أگيل، خيزان، پالو، حصن كيفا، ميافارقين[٦٢]، ملاطية، بهسني، خوشاب[٦٣]، وكذلك سيڤريك وچرموك وخربوت[٦٤] والموصل[٦٥]. بالاضافة الى ذلك اعلنت القبائل الكوردية - بدون عناء - ولائهما للدولة العثمانية بشرط بقائهما تحت حكم رؤسائهما[٦٦]. ومن هذه القبائل : الروشنى والحريري والسنجاري والجزيري[٦٧].

وبذلك دخل معظم أقاليم الجزء الغربي والشمالي و المركزي من كوردستان في المجال العثماني، أما الاجزاء الباقية الاخرى فقد بقيت تحت النفوذ الصفوي[٦٨].

---

(٦٠) شەمسی ئیسكەندەر، س. پ، ل٧٣.

(٦١) احمد راسم، م. س، ج١، ص١٩٢-١٩٤. وكذلك جاء اسم بعض تلك المناطق في (نظمي زاده، م. س، ص١٩٧). والمناطق الباقية المذكورة في (سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٣٤).

(٦٢) Uzunçarşili, op. cit, cilt.2, S. 275.

وكذلك: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٣٤.

(٦٣) نظمي زاده، م. س، ص١٩٧.

(٦٤) مدينة كوردية تقع على الساحل الشرقي من بحيرة الازيك وهي تابعة حالياً لولاية آلازيك في تركيا.

(٦٥) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٣٤.

(٦٦) محمد فريد بك، م. س، ص٧٥.

(٦٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٠. والقبائل المذكورة هي قبائل كوردية كانت تقطن شمالي كوردستان ووسطها.

(٦٨)م.س. لازاریف، س. پ، ل٤٣.

ثانياً: التنظيمات السياسية- الادارية العثمانية في كوردستان في عهد السلطان سليم الاول:

أ- اسباب عدم الاحتلال المباشر لكوردستان:

بعد الوقوف على وقائع امتداد السيطرة العثمانية الى كوردستان، يتبادر الى الذهن السؤال الآتي: لماذا لم يلجأ السلطان سليم الاول الى الهجوم المباشر على كوردستان لاحتلالها بالقوة، في حين كانت الدولة العثمانية وصلت في عهده الى درجة عالية من الازدهار والقوة، حيث امتدت الفتوحات العثمانية الى أواسط اوربا[٦٩]، وكانت قد انتصرت لتوها على أقوى دولة في الشرق الاوسط وهي الدولة الصفوية التي هزمت في معركة چالديران المذكورة .

هناك وجهة نظر ترى ان الدولة العثمانية كانت تعرف ان فرض سيطرتها على الكورد ((كبقية الشعوب التي حكمتها ضرب من الخيال))[٧٠]. الا اننا لو أخذنا قوة الدولة العثمانية والوضع السياسي في كوردستان حينذاك بنظر الاعتبار، فسوف ندرك ان الرأي المذكور فيه نوع من المبالغة. ولعل أفضل جواب على هذا السؤال ما ذكره (ستانفورد شو) حين يذكر: ((أعتقد سليم بان أية جهود لفتح بلادهم تتطلب على الارجح قوات أكبر من القوة التي يستطيع تكليفها بالمهمة))[٧١]. وذلك لصعوبة الأتصال بهذا البلد[٧٢]، وصعوبة الحركات العسكرية فيها، نظراً لمناعة المنطقة ووعورة مسالكها[٧٣] بالاضافة الى سلوك سكانها الحريصين على استقلالهم[٧٤]، فكل ذلك كان يكلف السلطان سليم كثيراً من المال والجنود، ولذلك لجأ الى

---

(٦٩) حول امتداد النفوذ العثماني خلال تلك الفترة ينظر: Imber, op. cit, P40-41

(٧٠) صديق الدملوجي، م. س، ص١٧.

(٧١) Show, Stanford J:History of Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. 1, Cambrigde Univ. Press-Britain, 7th pub. 1988, P.82.

يجدر بالذكر رأي هذا المؤرخ له أهمية كبيرة لانه مؤرخ مختص بالتاريخ العثماني.

(٧٢) جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الاوسط، ت: عمر الاسكندري، مصر (د.س)، ص٩١.

(٧٣) كندال وعصمت شريف وانلي و مصطفى نازدار، كردها، ت: ابراهيم يونسي، ج٢، تهران ١٣٧٢ش، ص٥٢.

(٧٤) Parry, op. cit, P71.

الاساليب الدبلوماسية أو الى ((السياسة الخادعة)) كما يصفها البعض[٧٥]. ويؤيد أحد المؤرخين المعاصرين هذا الرأي أيضاً عندما يذكر: ((ان الدولة العثمانية وجدت نفسها ولأول مرة في تأريخها امام كيانات قبلية لها وزنها العسكري والاجتماعي و الاقتصادي، ربما كانت تجهل الشيئ الكثير عنها، لذا اضطرت الى الاستعانة بأحد أصحاب الخبرة المتراكمة في شؤون المنطقة، وهو ادريس البدليسي))[٧٦]. وقد قام البدليسي ـ الذي كان متسشاراً للسلطان ـ بوضع خطة تمكنه من كسب تأييد الزعماء الكورد للدولة العثمانية[٧٧]. و استفاد السلطان من ذلك التأييد مرتين؛ في المرة الاولى عندما عاضده الامراء الكورد في حربه مع الدولة الصفوية خلال معركة چالديران، وفي المرة الثانية عندما عاضدوه لطرد القوات الصفوية الباقية في كوردستان وادخال كوردستان في المجال العثماني كما مربنا سابقاً.

وقد ساعد بعض الامراء الكورد السلطان سليم على اتخاذ ذلك القرار وتبني تلك السياسة، حيث ان بعض الامراء الذين استولى الصفويون على ممتلكاتهم راسلوا السلطان واعلنوا ولاءهم له، كما شجعوه على ضرورة التصدي للصفويين. مما يعني الالتفات نحو كوردستان والتفكير فيها. وقد لعب البدليسي دور الوسيط بين اولئك الامراء وبين السلطان[٧٨]. ويرجح ان تكون تلك الخطوة التي اتخذها الامراء المذكورون بتأثير البدليسي وتشجيعه لهم أيضاً. خاصة وانه كان مكلفاً من قبل السلطان للقيام بذلك الدور كما يذكر ذلك بنفسه[٧٩]. وقد افاد السلطان من البدليسي في هذا المجال فائدة كبرى، واستفاد البدليسي بدوره من مكانته الدينية والطرق الدبلوماسية التي أتبعها[٨٠]، وذلك اضافة الى استياء الامراء الكورد من سياسة الشاه اسماعيل الصفوي وتعامله معهم[٨١].اضافة الى ان تلك الطريقة كانت أقل كلفة، فنتيجة لتلك

---

(٧٥) جلال الطالباني، م. س، ص٣٧.

(٧٦) علي شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر/ دراسة في اوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب/ جامعة الموصل ١٩٩٢، ص٩٣-٩٤.

(٧٧) شاكر خصباك، الكرد والمسألة...، ص٢٣، محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٥.

(٧٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١.

(٧٩) ينظر: سليم نامه، نقلاً عن: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٧.

(٨٠) Pitcher, D.E:A Historical Geography of the Ottoman Empire, London 1972, P103.

وكذلك: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٧.

(٨١) علي شاكر، ولاية الموصل...، ص٩٤.

الجهود شارك الامراء الكورد بانفسهم الى جانب القوات العثمانية لادخال كوردستان في المجال العثماني كما رأينا. وتضاءلت بذلك الحاجة الى قوات عثمانية كثيرة. كما أنها كانت أضمن طريقة ، فالمعلوم ان دخول البيت بموافقة صاحبه أحسن من رفضه.

ب- دوافع قبول الامراء الكورد بالنفوذ العثماني:

عرف الشعب الكوردي بحبه لحريته واستقلاله، ولذلك قاوم بعناد كل الغزاة والفاتحين الذين تعرضوا لكوردستان وارادوا احتلالها كما ذكرنا ذلك . وقد اشار الى هذه الظاهرة معظم الذين كتبوا عن الشعب الكوردي من ضمنهم الرحالة الاجانب الذين زاروا كوردستان خلال المراحل التاريخية المختلفة(٨٢). فاذا كانت تلك سمات ذلك الشعب ومميزاته فمن حق الباحث ان يتعجب عندما يلحظ ان الامراء والزعماء الكورد قبلوا بالنفوذ العثماني عن طواعية ورضى.

ولكننا اذا تعمقنا في الموضوع واطلعنا على المصادر المتعلقة به فسوف نتفهم ذلك، اذ كان الشعور الديني- المذهبي طاغياً في تلك الفترة، فاستغله العثمانيون لاستمالة الكورد الى جانبهم. حيث استغل البدليسي ذلك العامل بمهارة حينما ارسله السلطان ليتجول في كوردستان ويتصل بأمراء الكورد وزعمائهم فنفخ فيهم روحاً مذهبياً ودينياً قوياً(٨٣). حتى ظنّ الكورد انه سوف يقوم الدين بالعثمانيين(٨٤). وساعد على ذلك نفور الكورد من السياسة التي اتبعها الشاه اسماعيل الصفوي ازاء الكورد، عندما هيمن على معظم المناطق الكوردية في بدايات القرن السادس عشر. فبالاضافة الى انتصاره للمذهب الشيعي ومحاولته نشر هذا المذهب بالقوة، مارس الشاه سياسة جائرة تجاه الكورد، حيث لم يكن يثق بهم وكان يحاول ضرب سلطانهم واحلال الزعماء القزلباش محل زعمائهم كما مربنا سابقاً(٨٥) لذلك كان الكورد ينتظرون ساعة الخلاص من الحكم الصفوي بفارغ الصبر. وازدادوا نفوراً منه عندما قطع البدليسي لهم ((العهود والمواثيق الاسلامية بالعمل على تأليف ملوك وامراء كردستان وانضوائهم تحت اللواء

---

(٨٢) خواجه سعدالدين، تاج التواريخ، نقلاً عن: شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٦. هامر، م. س، ج٤، ص١٧٧. جيمس بيكنغهام، م. س، ص١٠٩. Parry, op. cit, P71

(٨٣) سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٢٧. جلال الطالباني، م. س، ص٦٩.

(٨٤) معروف جياووك، القضية الكردية، ط٢، بغداد ١٩٣٩، ص٥٤.

(٨٥) يراجع موضوع (سياسة الصفويين تجاه كوردستان) في الفصل الاول.

العثماني)) كما ذكرنا سابقاً. وحاول البدليسي بكل ما لديه من وسائل لاقناع الامراء الكورد بقبول النفوذ العثماني. حتى استطاع ان يقنعهم بأنهم لن يخسروا شيئاً بالموافقة على مشروعه الذي لا يؤثر في حريات و استقلال اماراتهم شيئاً، حيث ان التبعية ستكون اسمية فقط[٨٦].

ومما لاشك فيه ان مكانة البدليسي لدى الزعماء الكورد ـ وخاصة مكانته الدينية ـ كانت لها تأثيرها ايضاً، وذلك لإيمان الكورد الشديد بالشخصيات الدينية[٨٧]. ويعترف البدليسي نفسه بالدور الذي لعبه عندما يقول: ((وجعلت ملوك وامراء جميع ممالك كردستان... يبايعون سلطان الاسلام [السلطان العثماني] بالعهود المؤكدة))[٨٨].

ولابد من الاشارة أخيراً الى ان قبول الامراء الكورد الدخول في المجال العثماني كان بموجب اتفاق ضمن بعض مصالح الامارات الكوردية وامرائها كما سنأتي على ذكر تفاصيله فيما بعد.

ولكننا يجب ان لا ننسى ان بعض المناطق الكوردية قد اتخذت موقفاً سلبياً من محاولات البدليسي ومن السيادة العثمانية عموماً، وخاصة منطقة درسيم الواقعة في أقصى شمال غربي كوردستان، حيث تتكون غالبية سكانها من الكورد العلويين والإيزديين[٨٩]، وهذا ما يفسر اتخاذهم الموقف المذكور. اذ ان العامل الديني- المذهبي كان ضعيفاً فيهم. ويجدر بالذكر ان أمير امارة چمشگزك التي كانت تضم درسيم ضمن مناطقها الرئيسة قد وقف موقفاً مضاداً من الدولة العثمانية منذ البداية، حيث مال الى جانب الشاه اسماعيل الصفوي ضد السلطان سليم في معركة چالديران كما ذكرنا سابقاً[٩٠].

---

(٨٦) شاكر خصباك، الكرد و المسألة..، ص٢٣. آية الله مردوخی کوردستانی، سەرەتایەك لە مێژووی میللەتی کورد، و: محمد توفیق ووردی، ب١، بەغدا ١٩٥٧، ل٨.

(٨٧) د. شاكر خصباك، الاكراد/ دراسة جغرافية اثنوغرافية، بغداد ١٩٧٢، ص٤٨٦.

(٨٨) ادريس البدليسي، سليم نامه، نقلاً عن: مأمون بك، م. س، ص٧.

(٨٩) ينظر: د. نوری دەرسیمی، دەرسیم لە مێژووی کوردستاندا، و: د. ئەحمەد فەتاح دزەیی، چ١، هەولێر ٢٠٠١، ل١٠٤-١٠٥. وللمزيد من المعلومات حول المنطقة يراجع: هـ. س.

(٩٠) راجع موضوع (معركة چالديران) في هذا الكتاب.

ج- الاتفاق الكوردي- العثماني ١٥١٤م:

يتحدث معظم المؤرخين والباحثين الذين تصدوا للموضوع عن اتفاق[٩١] عقد بين السلطان سليم الاول من جهة وبين الامراء الكورد من جهة اخرى، وذلك بتوسط ادريس البدليسي الذي مثل السلطان في هذا الاتفاق[٩٢]. في الوقت الذي لايوجد ذكر لكلمة ((الاتفاق)) نصاً في المصادر التاريخية الاصلية. وانما يرد بصيغة (تعهد من طرف واحد) أو (مواثيق سياسية) قطعها البدليسي للامراء الكورد[٩٣]. كما أننا لا نعثر على نص ذلك الاتفاق في تلك المصادر أيضاً. حيث ان المؤرخ الكوردي محمد امين زكي ذكر بنوداً خمسة للاتفاق المعني، ولكن ذلك كان وفقاً لاجتهاده[٩٤]. أما سيار الجميل فانه عندما يذكر في بحثه[٩٥] بنود ذلك الاتفاق لا يشير الى أي مصدر تأريخي لذلك، في حين انه اعتمد في بحثه على مصادر اصلية عدة[٩٦]. أما المؤرخين الآخرين فأنهم اما قد اعتمدوا على المؤرخين السابقين[٩٧] أو لم يشيروا الى البنود بصورة دقيقة، مع اغفالهم الاشارة الى المصادر التي استقوا منها معلوماتهم[٩٨].

---

(٩١) يستخدم (نيقولاي ايڤانوڤ) صيغة ((اتفاق شرف)). ينظر: الفتح العثماني...، ص٨٤.

(٩٢) ينظر على سبيل المثال: محەمەد بايراقدار، س. پ، ل١٧، شەمسى ئيسكەندەر، س. پ، ل٧٥، باسيل نيكيتين، الاكراد، بيروت ١٩٦٧، ص١٦٩، د. بله ج شيركو، كێشەی مێژینه و ئێستای كورد، و: محمد حمه باقى، چ٣، (ب.ش) ١٩٩١، ل٣١، وكذلك: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٤١.

(٩٣) ادريس البدليسي، سليم نامه، نقلاً عن: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٧. هامەر، م. س، ج٤، ص١٧٦-١٧٨. يجدر بالذكر ان المصدر الاخير قد اعتمد اعتماداً كبيراً على مصدر اصلي وهو (منشآت السلاطين) لـ(فريدون بك).

(٩٤) ينظر: خلاصة تاريخ الكرد و كردستان، ص١٧١.

(٩٥) دراسات في السيطرة ...، ق٢، ص٣٤٠.

(٩٦) من هذه المصادر: (مجموعة منشآت السلاطين) لمؤلفه (فريدون بك) و كتاب (تاج التواريخ) لسعدالدين خواجه، والمصدر الأخير يعد من أقدم التواريخ العثمانية، ثم المصادر التركية والايرانية الاخرى مثل كتاب (أحسن التواريخ) لمؤلفه (حسن روملو) ولذلك فمن المرجح ان يكون المذكور قد اقتبس تلك البنود من (محمد امين زكي) دون ان يشير اليه. ينظر: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٤١.

(٩٧) ينظر: عبدالفتاح علي يحيى، ادريس البدليسي...، ص١٦٠.

(٩٨) مثل: شاكر خصباك، الكرد و المسألة...، ص٢٣ وكذلك: كندال و...، م. س، ص٥٢.

بالرغم من ذلك يمكننا التأكيد على وجود اتفاق عقد بين الامراء والزعماء الكورد من جهة وبين ادريس البدليسي الذي مثل السلطان العثماني من جهة اخرى، حيث يذكر شرفخان البدليسي على لسان ادريس البدليسي مانصه: ((ان امراء كردستان يلتمسون من الطاف السلطان وانعام العاهل العظيم ان يمنحوا ولاياتهم الوراثية...))[٩٩]. ونستخلص من هذا النص ان الامراء الكورد قد اشترطوا على ادريس البدليسي الاحتفاظ بامارتهم الوراثية كما يؤكد بعض المصادر الاخرى ايضاً[١٠٠]. حيث ان صيغة الرجاء في قول ادريس البدليسي كان أمر لابد منه وهو يخاطب السلطان. ومن المؤكد ان السلطان سليم كان قد وافق على الشرط المذكور، فالفرمان الذي بعثه فيما بعد الى ادريس البدليسي دليل على ذلك[١٠١]، وكذلك فان الأخير كان قد قطع لهم العهود بالعمل على تأليف ملوك وامراء كوردستان كما أسلفنا. بالاضافة الى ذلك فان السائح العثماني (اوليا‌چلبى) يذكر ما يؤيد ذلك عندما يصف حكومة اگيل بقوله: ((الا ان بيگها ليس بيگ عثماني لذلك لايمكن عزله، و عندما يموت يرثه ابنه في الامارة، لأنها حكومة مستقلة... واذا مات البيك ولم يكن له ابن يعطي منصبه الى شخص آخر من العائلة الحاكمة))[١٠٢]. وعندما يأتي الى تعداد الحكومات المستقلة في إيالة دياربكر يقول: ((رغم ان حكام تلك الحكومات مستقلون ويحملون لقب أمير الامراء، ولكنهم مكلفون بالمساهمة مع الوزير [والي دياربكر] في الحروب))[١٠٣]. والجدير بالذكر ان السائح المذكور قام برحلته في النصف الثاني من القرن السابع عشر، مما يعني ان الامارات الكوردية قد تمتعت بتلك الامتيازات في ظل الحكم العثماني حتى تلك الفترة، الامر الذي يبرهن بوضوح على وجود اتفاق حدد تلك الامتيازات التي استمرت تلك المدة الطويلة.

كما يؤكد عدد من المصادر الاخرى على ان المناطق الكوردية لم تكن خاضعة للادارة العثمانية المباشرة، بل كانت تحت حكم الزعماء والامراء المحليين الذين كانوا مرتبطين بالولاء

---

(٩٩) الشرفنامه، ص٤٣١.

(١٠٠) محمد فريد بك، م. س، ص٧٥. احمد بن السيد زيني دحلان، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج٢، ط١، مصر ١٩٠٤، ص٨٨.

(١٠١) ينظر: نص الفرمان المذكور في الملحق.

(١٠٢) سياحه‌تنامه‌ى ئه‌ولياچه‌له‌بى، ل٢٨.

(١٠٣) هـ. س، ل٣٦.

للدولـة العثمانيـة فقـط[١٠٤]. زد علـى ذلـك ان الـسلطات العثمانيـة اطلقـت رسميـاً تـسمية الـ((حكومـت)) علـى الكيانـات الكورديـة المهمـة[١٠٥]، وتـسمية ((سربـست مـير مـيران)) أي البگلربگوات الاحرار على الامراء الكورد[١٠٦].

اما فيما يتعلق ببنود ذلك الاتفاق فيمكن استقاء البعض منها من النصوص السابقة ومن معلومات المصادر التاريخية الاخرى وهي كما ياتي:

١- الحفاظ على حرية واستقلال الامارات الكوردية. اذ ان فرمان السلطان سليم الذي ارسـل الى البدليسي يؤكد على ذلك[١٠٧]. كما يؤكد (اولياچلبى) علـى ذلـك ايـضاً في صـفحات عـدة من كتابه[١٠٨].

٢- الاعتراف العثماني بالحق الوراثي للأمراء الكورد في حكم اماراتهم، ولكن كلمـا نـصب أمير جديد على الامارة يجب ان يتم صدور فرمـان سـلطاني يعـترف بحكـم ذلـك الامـير. فيـشير أولياچـلبى الى ذلـك الاجـراء الواجـب اتخـاذه عنـدما يـأتي الى ذكـر الحكومـات المـستقلة في كوردستان[١٠٩] كما تبرهن الحوادث المقبلة في تاريخ الامارات الكوردية على ذلك أيضاً[١١٠].

---

(١٠٤) هامەر، م. س، ج٤، ص١٧٧. هاملتون جيب و هارولد بوين، المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ط١، دمشق ١٩٩٧، ج١، ق١، ص٢٠١-٢٠٣.

Creasy, Edward S.: History of the Ottoman Turks, London 1878, new pub. (Khayats Beirut 1961), P. 447 ; Imber, op. cit, P179.

ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤، نيقولاي ايڤانوڤ، م. س، ص٨٤.

(١٠٥) ينظر: ئەولياچەلەبى، س. پ، ل٢٨، ٣٥.

Sahillioglu, Halil: Osmanli Doneminde Irak' in Idari Taksimati, ceviren: Mustafa Ozturk, Belleten, Ankara, citl. Iiv, Sayi: 211, 1990, S. 1234.

(١٠٦) Uzunçarşili, op. cit, citl. 2, S. 580.

(١٠٧) ينظر نص الفرمان في الملحق.

(١٠٨) سياحەتنامەی...، ل٢٨، ٣٥-٣٦، ٩٥، ١٠٥، ٣١٦. وجاء ذكر ذلك البند في مـصادر اخـرى منهـا: احمد عبدالرحيم مصطفى، م. س، ص٨٦، شاكر خصباك، الكرد والمسألة...، ص٢٣.

(١٠٩) سياحەتنامەی...، ل٢٨-٣٥ وصفحات اخرى.

(١١٠) ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٤٤-١٤٥.

٣- على الامراء الكورد مساعدة الدولة العثمانية في حروبها. فقد أكد أولياچلبى على ذلك الواجب الملقاة على كاهل الامراء والزعماء الكورد في أكثر من موضع في كتابه[١١١]، كما أشار أيضاً الى حق السلطات العثمانية في عزل الامير الكوردي الذي يتخلف عن اداء ذلك الواجب[١١٢]. كما تؤكد الحوادث المقبلة على ذلك أيضاً[١١٣].

٤- وبما ان المناطق الكوردية قد أصبحت في ظل الحماية العثمانية، لذلك كان من البديهي ان تساعد الدولة العثمانية الامارات الكوردية اذا داهمتها الاخطار الخارجية[١١٤].

٥- وكان لزاماً على الامارات والزعامات الكوردية من جراء تلك التبعية ان تدفع الرسوم والضرائب للسطات العثمانية[١١٥]. اذ ان ذلك كان من علامات التبعية. ولكن يبدو ان الدولة العثمانية كانت تتغاضى من مطالبة الامارات الكوردية بتلك الضرائب والرسوم في بداية سيطرتها على المناطق الكوردية كما يؤكد أحد المؤرخين على ذلك أيضاً. بدليل ان دفتر الطابو الخاص بولاية دياربكر لعام ١٩١٨ لم يتضمن الاشارة الى واردات الدولة من الامارات الكوردية. وذلك لان العثمانيين فضلوا الولاء السياسي والعسكري على أخذ الضرائب من الكورد في تلك الفترة المبكرة[١١٦].

وبذلك تكون تلك البنود التي ذكرها محمد امين زكي[١١٧] وفق اجتهاده، بنوداً مقاربة جداً للواقع، بل يمكن عدها بنوداً حقيقية للاتفاق المذكور. و بالاضافة الى تلك البنود هناك من يذكر بنوداً أخرى لذلك الاتفاق، في الوقت الذي يهمل ذكر المصدر الذي استند اليه في ذلك. لذلك من الضروري الأخذ بها بتحفظ وهي كما ياتي:

---

(١١١) سياحةتنامەی...، ل٣٦، ٢١١.

(١١٢) هـ. س، ل٣٥. ينظر أيضاً: هاملتون جيب وهارولد بوين، م. س، ج١، ق١، ص٢٠٣.

(١١٣) ينظر موضوع (تعيين الامراء الكورد وعزلهم) في الفصل التالي.

(١١٤) وقد جاء ذكر ذلك البند في (بلە ج شيركو، س. پ، ل٣١) أيضاً.

(١١٥) وقد ورد هذا البند في مصادر اخرى أيضاً ينظر: احمد عبدالرحيم مصطفى، م. س، ص٨١. شاكر خصباك، الكرد و المسألة...، ص٢٣.

(١١٦) ينظر: علي شاكر، ولاية الموصل...، ص٩٦.

(١١٧) ينظر: خلاصة...، ص١٧١. وجاء محتوى تلك البنود في مرجع آخر أيضاً ولكن في ثلاثة نقاط بدلاً من خمسة. ينظر: شەمسى ئیسکەندەر، س. پ، ل٧٥-٧٦.

١- تعهد الامراء الكورد بعدم تمردهم على الدولة العثمانية[١١٨]. وفيما يتعلق بذلك البند يمكن القول انه قد يكون غير وارد في الاتفاق، ولكنه يرجح ان يكون بنداً ضمنياً له، فعندما وافق الامراء الكورد على قبول التبعية العثمانية كان من البديهي ان يفقدوا حق التراجع.

٢- تعهد الامراء الكورد بعدم تغيير حدود إماراتهم بغية أتساعها[١١٩]. وقد أكد السلطان سليم في الفرمان الذي بعثه الى البدليسي على مسألة عدم الاخلال بالحدود القديمة للامارات الكوردية، وذلك في عملية التنظيمات التي كلف البدليسي بها. فإذا كان السلطان العثماني يوصي بالتمسك بتلك الحدود، فمن المرجح ان الاتفاق قد شمل ذلك البند أيضاً.

ومن المؤكد ان الاتفاق المذكور كان قد جاوز مستوى الاتفاق الشفهي، نظراً لبقاء مفعوله هذه المدة الطويلة من جهة، ولأن السلطان كان يأمر بتدوين هذه الامور من جهة أخرى. ونستدل على ذلك من نص الفرمان المذكور، حيث يأمر السلطان البدليسي بتدوين ((البراءات السلطانية عن أحوال السناجق التي خصصت لكل أمير وكيفية توجيهها... في دفتر خاص وارساله الى سدتي السعيدة [قصر السلطان] ليحفظ هنا))[١٢٠]. ولذلك يمكننا القول ان البدليسي عندما اتفق مع الامراء الكورد، فلابد وانه دون بنود ذلك الاتفاق وارسلها الى دار السلطنة للحفظ.

وقد تم عقد ذلك الاتفاق في عام ١٥١٤ كما يذكر محمد امين زكي[١٢١]، حيث عرض البدليسي ما اشترطه الامراء الكورد على السلطان في الوقت الذي كان السلطان ينسحب من تبريز [١٢٢] بعد معركة چالديران التي وقعت في ٢٣ آب ١٥١٤.

وبنظرة سريعة للبنود المذكورة يتبين لنا ما كان عليه الاتفاق من عدم التكافؤ لصالح العثمانيين، اذ كان النفوذ العثماني على كوردستان واضحاً فيها، وخاصة في البند الثاني والبندين الثالث والخامس. ففيما يتعلق بالبند الثاني نلحظ ان ضرورة صدور الفرمان السلطاني في حالة تنصيب الامراء الجدد كان امتيازاً استغله العثمانيون فيما بعد لتحقيق مآربهم في ضرب

---

(١١٨) كندال و...، م. س، ص٥٢.

(١١٩) م. ن، ص٥٢.

(١٢٠) يراجع نص الفرمان في الملحق.

(١٢١) خلاصة...، ص١٧١.

(١٢٢) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١.

الامراء الذين يناؤونهم وتنصيب الذين يسايرون السياسة العثمانية في محلهم، كما سنأتي الى ذلك في الفصل التالي. ولكننا يجب ان لا ننظر الى الاتفاق نظرة مجردة بعيدة عن الواقع، ذلك الواقع الذي يتمثل في ان هذا الاتفاق قد أبرم بين قوتين غير متكافئتين من جميع النواحي.

د- حالة كوردستان الادارية في ظل الدولة العثمانية:

١- فرمان السلطان سليم:

عندما كان البدليسي يساهم بالقوات الكوردية التي كانت تحت إمرته الى جانب محمد بيقلي باشا لقطع دابر الصفويين عن المناطق الكوردية - وكانوا قد قطعوا شوطاً لا بأس به في هذا المجال - جاءه الفرمان الشهير من السلطان سليم في عام ١٥١٥، حيث يفوضه مسؤولية التنظيم الاداري و السياسي في المناطق الكوردية المكتسبة حديثاً[١٢٣]، ونظراً لأهمية الفرمان بوصفه وثيقة عثمانية مهمة تتعلق بموضوع هذه الدراسة، فقد أدرجنا نص ترجمته العربية في الملحق. ولكننا نحاول دراسته وعرض أهم النقاط التي وردت فيه:

بعد قراءة دقيقة لنص الفرمان بمقدور الباحث استخلاص جملة امور منه، وعلى الاخص فيما يتعلق بشؤون كوردستان؛ حيث يحيط فيه السلطان البدليسي علماً بأنه أرسل مراسيم ملكية على البياض مختومة بالختم السلطاني الى محمد بيقلي باشا الذي اصبح أميراً لأمراء دياربكر، ليحرر البدليسي فيها البراءات السلطانية للامراء الكورد الذين اعلنوا ولاءهم للدولة العثمانية، مدوناً فيها مقدار ما خصص لكل واحد منهم من اقطاعات وسناجق ونوعية هذا التوجيه أو التخصيص، أي مستوى علاقتهم بالدولة ودرجة استقلالهم، بالاضافة الى بيان القابهم. وذلك استناداً الى علمه السالف بسلطاتهم السابقة والقابهم واماراتهم وكيفية قبولهم بالنفوذ العثماني. وكان عليه ان يقوم بعد ذلك بتدوين تلك البراءات السلطانية بصورة تفصيلية في دفتر خاص ويرسلها الى دار السلطنة للعلم والحفظ. كما يأمره أيضاً بان يكتب مذكرة تفصيلية عن التنظيمات التي يقوم بها، شارحاً كيفية تشكيل تلك السناجق والامارات الكوردية وكيفية كتابة القابهم في المراسلات الرسمية معهم ومستوى صلاحياتهم واستقلالهم عن الادارة العثمانية.

---

(١٢٣) سعدالدين خواجه، تاج التواريخ، نقلاً عن: سيار الجميل، دراسات في السيطرة...، ق٢، ص٣٣٩.

والجدير بالذكر ان السلطان يحذر البدليسي في هذا الفرمان من ان يخل في اجراءاته بالتنظيمات القديمة أو حدود الامارات التي كانت قائمة، عند تخصيص الاقطاعات للامراء الكورد. ويشرح السلطان سبب حرصه قائلاً: ((يؤدي الى تزلزل ما بينهم من اسس الارتباط))، الا اننا نفهم من ذلك التحذير ان السلطان كان حريصاً على ان لا يخل ببنود الاتفاق الذي عقده مع الامراء الكورد.

وبذلك نلحظ ان العملية بكاملها لم تكن تتعدى تزويد الامراء الكورد باعتراف السلطان بما كان تحت أيديهم من امارات ومناطق نفوذ، واحاطة السلطان علماً بأحوال تلك الامارات والامراء والقابهم ونفوذهم السياسي لتأخذ طابعها الرسمي عندما تسجل في السجلات المركزية. وبالاضافة الى بعض الاستثناءات، حيث تم تأسيس الحكم العثماني المباشر في بعض المناطق كما سنرى في الصفحات التالية. وارسل السلطان مع هذا الفرمان فرمانات أخرى عديدة على البياض ((أوراق بيضاء متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية)) ليملأها البدليسي بمعرفته على شكل الـ(استمالت نامه/ أي: كتاب الاستمالة) ويوزعها على الامراء والزعماء الكورد. على ان يسجلها في دفتر خاص ويرسلها الى استانبول. ويدل ذلك على سمو مكانة البدليسي لدى السلطان وسعة صلاحياته.

وهناك من يرى بأن السلطان ارسل الى البدليسي سبعة عشر علماً وخمس مئة خلعة من الخلع السلطانية الفاخرة لغرض توزيعها على رؤساء الحكومات والامارات الكوردية. كما ارسل اليه هدية خاصة ثمينة عبارة عن خمسة وعشرين الف دوقة ذهب[(١٢٤)]. وذلك مكافأة له على ما قدمه للدولة العثمانية من خدمات كثيرة[(١٢٥)]. في الوقت الذي يرى آخرون ان هذه الاشياء

---

(١٢٤) الدوقة: نوع من العملة الذهبية يعود اصلها الى (البندقية) ولذلك كانت تسمى بـ(البندقي) أيضاً، وشاعت في الدولة العثمانية خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر. ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية، بغداد ١٩٥٨، ص١٢٩-١٣٠.

(١٢٥) هاممر، م. س، ج٤، ص١٧٧. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧١. شەمسی نیسکەندەر، س. پ، ل٧٥. يجدر بالذكر ان المصدر الأخير يذكر (١٢) الف بدلاً من (٢٥) الف دوقة ذهب.

(الاعلام والخلع والدوقات) قد أرسلت الى محمد بيقلي باشا (ليوزعها على الامراء الكورد) وليس الى البدليسي، استناداً الى عدم ذكر تلك الاشياء في الفرمان المذكور[١٢٦].

ويرجح ان يكون الرأي الأخير هو الأقرب الى الصواب، حيث نلحظ ـ اضافة الى الدليل المذكور ـ ان البدليسي كان قد أخذ مكافأته التي كانت عبارة عن الفي جنيه ذهب[١٢٧] مع البسة فاخرة، كما مذكور في بداية الفرمان. فاذا كان السلطان قد ذكر في فرمانه تلك الاشياء التي تعد تافهة قياساً الى خمسة وعشرين الف دوقة ذهب، فلماذا لم يأت على ذكر الاشياء الاخرى في هذا الفرمان اذا كانت الاشياء المعنية قد ارسلت الى البدليسي كما يقولون؟. وليس من المألوف ان يكافأ الشخص مرتين (سراً في إحداهما وعلانية في المرة الاخرى) على شئ واحد. واضافة الى ذلك فان محمد بيقلي باشا كان اعلى رتبة من البدليسي، لذلك فمن المعقول ان تكون تلك الاشياء قد ارسلت اليه ايضاً، كما ارسلت اليه المراسيم الملكية البيضاء ليملأها البدليسي، كما ذكرنا سابقاً. وأخيراً فان أحد اصحاب ذلك الرأي هو سعدالدين خواجه الذي كان مؤرخاً عثمانياً قريباً من الاحداث.

٢- التنظيمات الادارية- السياسية في كوردستان:

وفقاً للفرمان المذكور عهد السلطان سليم مهمة تحديد الوضع المستقبلي للمناطق الكوردية المكتسبة حديثاً الى ادريس البدليسي. وحاول الأخير بحكمته ان يجنبها السيطرة العثمانية قدر الاستطاعة[١٢٨]، كما سنرى فيما بعد. حتى انه اطلق اسم الحكومات الكوردية على بعض الامارات الكوردية رسمياً[١٢٩]. يجدر بالذكر ان البدليسي كان معنياً بتحديد علاقة الكيانات

---

(١٢٦) سعدالدين خواجه، تاج التواريخ، جلد٢، ص٣٢١، نقلاً عن: هامر، م. س، ج٤، ص١٧٧ هامش المترجم. وكذلك: محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧١ هامش المترجم.

(١٢٧) ذكر في الفرمان بصيغة ((فلوري)) وهو نقد ذهبي ضرب أصلاً في (فلورنسه) بأيطاليا ومن هنا جاءت تسميته. ثم عرف في معظم البلدان الاوربية وكذلك في الدولة العثمانية وبلدان الشرق. وكانت التسمية تطلق على الدنانير الذهبية غالباً، وتغيرت قيمتها من فترة الى اخرى. ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود...، ص١٣٠-١٣١.

(١٢٨) Parry, op. cit, p71.

(١٢٩) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٥. Sahillioglu, op. cit, S. 1234

الكوردية بالسلطات العثمانية فحسب، أما الاطار الشامل للتنظيمات الادارية في المنطقة فكان يحدده المسؤولون العثمانيون. وذلك بالاستناد الى التنظيمات الادارية العثمانيـة المتبعـة في تلك الفترة.

ان اولى التنظيمات الادارية- السياسية العثمانية في كوردستان قد بدأت بمدينة آمد (دياربكر)، حيث اصبحت تلك المدينة مركزاً لولاية[١٣٠] عثمانيـة مترامية الاطراف. فقد ورد اسم ولاية دياربكر في أحد السجلات العثمانية العائدة لعام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م[١٣١]. كما كانت الولاية المذكورة ضمن قائمة تضم الولايات العثمانية في عام ١٥٢٧م[١٣٢]. أما فيما يتعلق بتقسيمات تلك الولاية فليست لدينا نظرة واضحة ومحددة حولها في تلك المرحلة المبكرة التي كانت تتميز بعدم الاستقرار. إذ يشير سجل عام ١٥٢٠ المذكور الى تسعة سناجق اعتيادية تابعة لها، اضافة الى (٢٨) كياناً كوردياً كانت بمثابة سناجق في تلك الولاية[١٣٣]. في الوقت الذي يذكر المؤرخ التركي (اسماعيل حقي اوزون چارشلى) انه عندما اعلن الزعماء الكورد ولاءهم للدولة العثمانية واعترف العثمانيون بحقوقهم الوراثية في حكم إماراتهم، كانت ولاية دياربكر تضم ستة سناجق كبيرة تعود للبكوات الكورد وهي: (جزيرة (بوتان)، بدليس، سوران، حصن كيفا، عمادية (امارة بادينان)، چمشگزك). الى جانب (١١) سنجقاً صغيراً عائدة

وحول طبيعة الادارة العثمانية في كوردستان يراجع: د. سعدي عثمان حسين، كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، اربيل ٢٠٠٦، ص٧٨-٨٥.

(١٣٠) الولاية هي اكبر وحدة ادارية في الدولة العثمانية، وتغيرت مسمياتها خلال الفترات التاريخية، اذ دخلت كلمة الـ(إيالة) في الاستخدام ابتداءً من عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م. واستمر المصطلح الأخير في الاستعمال حتى عام ١٨٦٤م حينها عاد العثمانيون الى اعتماد مصطلح الـ(ولاية) مرة اخرى. كما كانت التنظيمات والتقسيمات الادارية معرضة للتغيير على الدوام في الدولة العثمانية. حول ذلك ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، مج٥، مادة إيالة، ص٢٦٤ وما بعدها.

(١٣١) م. ن، ص٢٦٧.

(١٣٢) Imber, op. cit, p179.

يجدر بالذكر ان القائمة المذكورة تتضمن ولاية كوردية اخرى باسم (ولاية كوردستان). ولكن المقصود بها على الارجح نفس ولاية دياربكر التي كانت تضم غالبية مناطق كوردستان التابعة للدولة العثمانية آنذاك.

(١٣٣) ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، مج٥، مادة ايالة، ص٢٦٧.

للبكوات الكورد ايضاً وهي: (خيزان، ساسون، پالو، چپاقچور،أگيل، سنجار، ايلوك، چرموك، زيريك(زراكي)،سيڤريك، حزو)[١٣٤]. وهناك قائمة أخرى مختلفة لسناجق تلك الولاية تعود لعام ١٥٣٠[١٣٥].

ولكن السائح والمؤرخ التركي (أولياچلبى) يعطينا معلومات مفصلة ودقيقة حول التنظيمات والتقسيمات الادارية في ولاية دياربكر وفقاً للترتيبات التي فرضتها قوانين السلطان سليمان القانوني[١٣٦] حيث تم تقسيم هذه الولاية الى تسعة عشر سنجقاً، احدى عشر من هذه السناجق طبق عليها نظام الحكم المباشر، حيث أصبحت سناجق عثمانية اعتيادية، يعين حكامها من العثمانيين[١٣٧]. وكانت تلك السناجق هي: خربوت، أرغني، سيڤريك، نصيبين، حصن كيفا، چمشگزك، سعرد، ميافارقين، خاپوور، آقچه قلعة نصيبين وسنجار[١٣٨]. أما السناجق الثمانية الاخرى فكانت تحت حكم الامراء الكورد المحليين مع الاحتفاظ بحق الاشراف لموظفين عثمانيين[١٣٩]. وكان المقصود بهذا الاشراف سلطة تلقي الالتزامات المفروضة على تلك الامارات الكوردية والتي كانت تشمل الواجبات المالية والعسكرية، وكان لأمراء تلك الامارات (أو السناجق) حق الوراثة، ولكن اذا مات الامير ولم يكن له خلف تصبح ممتلكاته حينئذ ملكاً للدولة العثمانية[١٤٠]. وكانت هذه السناجق الثمانية هي: صمغان، قولپ، مهرانية، ترجيل،

---

(١٣٤) Uzunçarşili, op. cit, cilt. 2, S. 276.

(١٣٥) Sahillioglu, op. cit, S. 1238.

(١٣٦) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٥. يجدر بالذكر ان (هامەر) وكذلك (محمد امين زكي) الذي نقل عنه يعتقدان ان ذلك الترتيب المقصود كان من عمل ادريس البدليسي، ولكن الواضح انها هفوة منهما, فالسائح التركي (أولياچلبى) أقدم عهداً منهما وكان أقرب منهما الى الوثائق العثمانية ايضاً. وهو يذكر صراحة ان ذلك التقسيم او الترتيب انما كان بموجب قانون السلطان سليمان القانوني. ينظر: هامەر، م. س، ج٤، ص١٧٧ وكذلك محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧١-١٧٣.

(١٣٧) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٥. وانظر أيضاً: گروه أز مستشرقين، م. س، ص٧٧.

(١٣٨) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٦.

(١٣٩) هاملتون جيب وهارولد بوين، م. س، ج١، ق١، ص٢٠٣. Parry, op. cit, p72

(١٤٠) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٦.

هتاخ، پرتك، چپاقچور و چرموك[١٤١]. وقد ذكر الرحالة الفرنسي (أوليفييه) تلك السناجق الثمانية و وضعيتهما في أثناء رحلته للمنطقة، والتي كانت في أواخر القرن الثامن عشر[١٤٢]. مما يدل على استمرار الوضعية الشبه مستقلة التي تمتعت بها الامارات الكوردية لفترة طويلة من الزمن.

بالاضافة الى تلك السناجق كانت هناك في تلك الولاية خمس حكومات كوردية تابعة للحكومة العثمانية مباشرة[١٤٣] وهي حكومات: اگيل و پالو و بوتان وحزو[١٤٤] و گنج. وزيدت على تلك الحكومات أخيراً حكومتان هما:حكومة الخابور، وحكومة الشگرد. فكان رؤساو تلك الحكومات التابعة برتبة ميرميران (أمير الامراء) وكانوا مستقلين في جميع امورهم الداخلية[١٤٥]. حيث تركت تلك الحكومات على حالتها السابقة بشكل تحافظ على حكامها الوراثيين[١٤٦]. وبذلك يتبين لنا ان الامارات والكيانات الكوردية لم تتمتع جميعها بالقدر نفسه من الاستقلال والاحتفاظ بثقلها السياسي المحلي ضمن التنظيمات الادارية العثمانية، وإن كان اغلبها بمنأىً عن الادارة العثمانية المباشرة.

وقد طبقت الترتيبات الادارية العثمانية في المناطق الكوردية الاخرى، كمناطق أورفه والموصل[١٤٧] و ماردين، حيث كان يتم تنصيب الحكام العثمانيين عليها[١٤٨] في أغلب الفترات. ولكننا نجد عدداً من الشخصيات الكوردية بين حكام مدينتي الموصل وماردين خلال ذلك

---

(١٤١) هـ. س، ل٣٦، وانظر أيضاً: محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٣.

(١٤٢) رحلة أوليفييه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ت: د. يوسف حبى، بغداد ١٩٨٨، ص١٢٧.

(١٤٣) نقصد بذلك ان تلك الحكومات لم تكن تابعة لوالي دياربكر رغم وقوعها في اطار تلك الولاية من الناحية الجغرافية.

(١٤٤) هي امارة ساسون المذكورة في الفصل الاول.

(١٤٥) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣٦. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٤-١٧٥.

(١٤٦) گروه أز مستشرقين، م. س، ص٧٧.

(١٤٧) هامەر، م. س، ج٤، ص١٧٧. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧١.

(١٤٨)ستيفن لونكريك، م. س. ص٣٣.

العهد. الامر الذي يوضح ان حكم المقاطعتين لم يكن يقتصر على الشخصيات العثمانية فقط[١٤٩].

بالرغم من ذلك يمكننا القول ان البدليسي حرص قدر الامكان -كما رأينا- على بقاء الامارات الكوردية المستقلة وارتباطها أسمياً بالدولة العثمانية وفقاً لبنود الاتفاق السالف الذكر[١٥٠]. وخاصة من خلال إيجاد نظام الـ((حكومات)) الذي كان أشبه بالنظام الفدرالي، حسب تعبير محمد أمين زكي[١٥١].

ومن جهة اخرى عمل العثمانيون على اسكان بعض القبائل الكوردية في مناطق الحدود مع الدولة الصفوية، ورفعوا عنهم الضرائب والرسوم شرط ان يكونوا قوة جاهزة تستعين بها الدولة عند الحاجة[١٥٢]. وكانوا يهدفون من وراء ذلك تكوين حاجز بشري لحماية الدولة العثمانية من الاخطار الخارجية، وكانت قبيلة (حسنانلي)[١٥٣] خير مثال على ذلك، حيث كانت تلك القبيلة تمارس التنقل سابقا، ولكنها اسكنت في ذلك العهد في منطقة الحدود العثمانية المجاورة لايران وروسيا لحمايتها[١٥٤].

وبعد ان أتم البدليسي تنفيذ مهامه في كوردستان وزع بنفسه الطبول والاعلام باسم السلطان على الملوك والامراء الكورد، وهي علاقات أو شارات الامارة في ذلك العهد[١٥٥]، وكانت بمثابة اعتراف السلطان العثماني بسلطاتهم المشروعة.

وكان ذلك التنظيم الاداري- السياسي المذكور يهدف الى تسهيل الامور الادارية، حيث ان أحوال البلاد الخاصة ونزوع رؤساء العشائر فيها الى السلطة وميل السكان الدائم الى الحرية

---

(١٤٩) ينظر: علي شاكر، ولاية الموصل، ص٦٩-٧٤. سعدي عثمان، م. س، ص٨٦-٨٩. ياسين العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد ١٩٦٨، ص١٩١.

(١٥٠) علاءالدين سجادى، شۆرشەكانى كورد/ وە كورد و كۆمارى عيراق، بەغدا ١٩٥٩، ل٣٧.

(١٥١) مشاهير...، ج١، ص١٠٥.

(١٥٢) عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٤٢.

(١٥٣) قبيلة كبيرة في كوردستان الشمالية، كانت موطنها قبل تهجيرها في الجبال على مقربة من مدينة بدليس. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٤١٧.

(١٥٤) أ. شاميلوف، حول مسألة الاقطاع بين الكورد، ت: د. كمال مظهر، ط٢، بغداد ١٩٨٤، ص٤٦.

(١٥٥) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٦. شەمسى ئيسكەندەر، س. پ، ل٧٥.

كانت تقتضي من العثمانيين انشاء ادارة مستقلة عن الادارة العثمانية المباشرة(١٥٦). اضافةً الى ان الدولة العثمانية لم تكن تريد خلق كيان كبير له ادارته المركزية في بلاد ذات طبيعة مستعصية. كما ان الامراء وزعماء العشائر الكورد كانوا قد أشترطوا على البدليسي استمرارهم في حكم اماراتهم وعشائرهم عندما أعلنوا ولائهم للدولة العثمانية(١٥٧). وبتلك السياسة ذات النظرة البعيدة ثم ضمان ولاء الكورد للدولة العثمانية(١٥٨). وذلك في الوقت الذي لم يتضمن النفوذ العثماني في كوردستان اكثر من توزيع الخلع والفرمانات وقبول الطاعة والهدايا على حد قول لونكريك الذي يضيف: ((فيما عدا ذلك فأن انتقال الحكم الحقيقي ومظاهر الاحتلال كانت كلها مفقودة))(١٥٩). وكانت مستوى استقلال الامارات الكوردية تصل الى درجة ان بعض تلك الامارات كانت تناور دولتين عظيميتين (ايران والدولة العثمانية) في وقت واحد(١٦٠).

وبهذا الشكل دخلت كوردستان مرحلة تاريخية جديدة حكمت عليها البقاء فيها مدة أربعة قرون. فأثرت في مسيرتها التاريخية تأثيراً بليغاً، بحيث مازالت نتائجها باقية الى يومنا هذا.

٣- البدليسي واعماله في كوردستان:

لاتزال شخصية البدليسي واعماله مثار جدل حاد بين الباحثين و المؤرخين الذين تناولوا تاريخ كوردستان في العهد العثماني. حيث انقسموا حول تلك المسألة الى فريقين: اتخذ الفريق الاول موقف العداء من البدليسي وحمله مسؤولية الاحتلال العثماني لكوردستان، بل ذهب البعض منهم أبعد من ذلك حين اتهموه بالخيانة والعمالة للسلطان سليم الاول، أو المتاجرة بالقضية الكوردية في سبيل التقرب من السلطان حسب التعبير المعاصر(١٦١). أما الفريق الآخر

---

(١٥٦) هامر، م. س، ج٤، ص١٧٧. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧١-١٧٢.

(١٥٧) احمد بن السيد زيني دحلان، م. س، ج٢، ص٨٨.

(١٥٨) Parry, op, cit, p72 ; Uzunçarşili, op. cit, cilt. 2, S. 276.

(١٥٩) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٣٤.

(١٦٠) م. ن، ص٣٤، م.س.لازاريف، س. پ، ب١، ل٤٦.

(١٦١) مەردۆخی كوردستانی، س. پ، ل٨، عبدالفتاح علي يحيى، ادريس البدليسي...، ص١٥٦، رؤوف كامل عقراوي، لمحة عن التطور في كوردستان عبر التاريخ، اربيل ١٩٩٤، ص١٠ ومصادر اخرى.

فقد أختار موقف المدافع عنه وعن دوره في تاريخ الكورد خلال تلك الفترة. وبين هذا الفريق من تطرف في موقفه أيضاً، فصرحوا بانه قدم خدمة كبرى للقومية الكوردية في عهده، وذلك بعمله للحفاظ على الكيانات الكوردية[١٦٢]. بالرغم من ذلك فالمسألة ((تحتاج الى بحث وتدقيق علمي هادئ)) كما يقول معروف خزندار[١٦٣].

من الامور البديهية في تقويم الشخصيات التأريخية ان نأخذ عامل الزمن بنظر الاهمية، والمقصود بذلك ان يتم تقويم كل شخص حسب المرحلة التاريخية التي عاش فيها، وهذا ما نحاول ان نفعله هنا ونحن بصدد ابراز الجوانب الايجابية والسلبية في شخصية البدليسي والاعمال التي قام بها في كوردستان.

يحمل البعض البدليسي مسؤولية فرض سيطرة أجنبية على كوردستان[١٦٤]. وذلك عندما عمل على كسب الامراء والزعماء الكورد الى جانب الدولة العثمانية كما مربنا. ولكننا إذا نظرنا الى هذه المسألة نظرة شاملة آخذين بنظر الاعتبار الاوضاع السياسية في كوردستان قبل الزحف العثماني الى الشرق من جهة، والظروف التي قبلت الامارات الكوردية بموجبها النفوذ العثماني من جهة أخرى، لأدركنا ان تلك التهمة باطلة.

وقد وقفنا في الفصل الاول على موضوع التوسع الصفوي في كوردستان، وتبين لنا أن الصفويين سيطروا على القسم الاعظم من كوردستان في العقد الاول من القرن السادس عشر[١٦٥]. وكان ذلك قبل ان يتوجه العثمانيون نحو الشرق، ويترأس السلطان سليم الحملة العسكرية التي ادت الى وقوع معركة چالديران في عام ١٥١٤. أي قبل عملية أنضمام كوردستان الى الامبراطورية العثمانية، والتي كان للبدليسي دور فيها. ولذلك نستطيع القول ان إتهام الأخير بالمساعدة على فرض سيطرة أجنبية (الدولة العثمانية) على كوردستان إجحاف بحقه. نظراً لان تلك البلاد كانت محتلة قبل ان يفعل البدليسي ذلك، اذ يقول لونكريك وهو بصدد التوسع الصفوي في كوردستان ما نصه ((وفي كردستان كان بامكان ايران ان تدعي بولاء

(١٦٢) علاءالدين سجادي، س. پ، ل٣٧. سالح قەفتان، س. پ، ل٣٤٢. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٥.

(١٦٣) مينورسكي، م. س، ص٢٦ هامش المترجم.

(١٦٤) بلەج شيركو، س. پ، ل٣١. عبدالفتاح علي يحيى، ادريس البدليسي...، ص١٥٦.

(١٦٥) يراجع الفصل الاول، موضوع (التوسع الصفوي في كوردستان).

جميع الدويلات الجبلية ذات القلاع...))[١٦٦]. إذاً فإن كل ما عمله البدليسي كان تحويل ولاء الامارات الكوردية الى العثمانيين، ويجب الاعتراف بفضله في ذلك لأنه أنقذ كوردستان (الجزء الاعظم منها) من السياسة الصفوية القاسية بحق الكورد[١٦٧]. ويجب ان لاننسى أيضاً ان الامراء والشخصيات الكوردية هم الذين استنجدوا بالسلطان سليم و شجعوه بأنفسهم على محاربة الشاه اسماعيل الصفوي[١٦٨].

ويمكن ان يعد ذلك من قبيل المناورات السياسية التي كثيراً ما يلجأ اليها المعارضون، عندما يطلبون المساعدة من احدى الدول لمواجهة الدولة التي يعارضونها، فيضطرون الى تقديم بعض التنازلات الى تلك الدولة جراء المساعدة التي تقدمها لهم. وهناك أمثلة على ذلك في التأريخ[١٦٩]. وبذلك تخلصت كوردستان من سياسة الصفويين الجائرة، رغم انها دخلت في حماية دولة اخرى، أما المكاسب التي حصلت عليها فتتمثل في تلك الامتيازات التي حددها الاتفاق الكوردي العثماني. وفيما يخص الاتفاق المذكور فإنه رغم احتوائه لبعض البنود التي كانت لصالح العثمانيين، فيمكن القول انه هيأ وضعاً سياسياً جديداً في كوردستان أفضل بكثير من السيطرة الصفوية. حيث اعترف السلطان العثماني بموجب ذلك الاتفاق بالاستقلال الداخلي للامارات الكوردية، وبذلك حافظت أجزاء مهمة من كوردستان على كياناتها السياسية[١٧٠]، ويرجع الفضل في ذلك الى البدليسي الذي استحصل من السلطان سليم الاول فرماناً رسمياً أطلق بموجبه على الامارات الكوردية المهمة تسمية (الحكومات الكوردية)[١٧١]. وبذلك وضع

---

(١٦٦) اربعة قرون...، ص٣٢.

(١٦٧) يراجع الفصل الاول، موضوع (السياسة الصفوية في كوردستان).

(١٦٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٣١.

(١٦٩) من هذه الامثلة نشير الى المعاهدة التي أبرمها طهماسب (مدعي العرش الصفوي) مع روسيا في عام ١٧٢٣، حيث تنازل فيها عن بعض اجزاء بلاده للروس لقاء تقديم الدعم له لطرد الافغان المتسلطين على ايران واستعادة العرش الصفوي. للتفصيل في ذلك ينظر: لارنس لاكهارت، انقراض سلسلة صفوية، ت: اسماعيل دولتشاهي، ج٢، تهران ١٣٨٠ش، ص٢١٦-٢١٧.

(١٧٠) قارن ذلك بسياسة الصفويين في ضرب السلطات الكوردية واحلال الزعامات القزلباشية محلها.

(١٧١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٤-١٧٥. شاكر خصباك، الكرد والمسألة...، ص٢٣.

البدليسي ((أسساً ملائمة للقومية الكوردية)) حسب قول بعض المؤرخين[١٧٢]. ولكن الامراء الكورد لم يحافظوا على ذلك المكسب بمنازعاتهم المستمرة[١٧٣].

ولمعرفة الوجه الآخر للاحداث لنا ان نتساءَل: ياترى كيف كان يغدو مصير كوردستان وكياناتها المحلية اذا لم يضطلع البدليسي بالدور المذكور؟ حين توجه ذلك الجيش العثماني الكثيف نحو الشرق ويترأسه السلطان سليم الطموح والمعروف بسعة فتوحاته. والذي لاشك وانه كان يتعرض لكوردستان لكونها في طريق مروره الى ايران، وكذلك لانها كانت تعد من ممتلكات الدولة الصفوية التي هزمت في معركة چالديران.

يردّ علاءالدين سجادي على هذا السؤال بقوله: ((كانت حكومة ياوز [السلطان سليم] تبتلع هذه الامارات كاملة ولم تكن تترك لها حتى اسماءها))[١٧٤]. وهذا جواب قريب من الواقع حيث ان النظام الاقطاعي السائد في كوردستان آنذاك كان يعرقل توحيد الامارات الكوردية تحت لواء واحد للدفاع عن البلاد بوجه الغارات الاجنبية[١٧٥]. ولذلك كان فرض السيطرة العثمانية على كوردستان أمراً حتمياً. وبناءاً على ذلك فان قبول النفوذ العثماني بموجب الاتفاق المذكور كان الحل الامثل مقارنة بالخضوع للسيطرة العثمانية المباشرة.

وندرك من ذلك بان بروز البدليسي على مسرح الاحداث في كوردستان خلال تلك الفترة كان لصالح الكورد، حيث انه حقن الدماء الكوردية التي كانت ستسفك في مقاومة الجيش العثماني اذا قرروا المقاومة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه ضمن لكوردستان وضعية أفضل في ظل الحماية العثمانية وذلك بموجب الاتفاق المذكور.

ان ما عرضناه يمثل الجانب الايجابي للدور الذي قام به البدليسي في كوردستان، أما سلبياته فتتجسد في ذلك الاعتراف العثماني الذي أصبح ضرورياً لشرعية حكم الامراء الكورد في امارائهم وفق الاتفاق المعني. وهو أمتياز كثيراً ما استغلته السلطات العثمانية لعزل من لا ترغب فيهم من الامراء وتنصيب من تريدهم. و وفقاً لهذا الاتفاق أصبح لزاماً على الكورد

---

(١٧٢) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٠٥.

(١٧٣) م. ن، ص١٠٥. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٣٧.

(١٧٤) علاءالدين سجادي، س. پ، ل٣٧.

(١٧٥) جلال الطالباني، م. س، ص٦٧. محمود ملا عزت، س. پ، ل٨.

تقديم المساعدة المالية والعسكرية للعثمانيين. وبذلك شارك الكورد في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وعانوا كثيراً جراء آثارها المدمرة.

ولكن لا يمكننا ان نحمل البدليسي تبعات ذلك لانها تطورات سياسية ليس له يدٌ فيها. كما لا يمكننا ان نحمله مسؤولية السياسات التي اتبعها المسؤولون العثمانيون في كوردستان فيما بعد، وبالأخص سياسة (المركزية) في الحكم والتي ادت الى الغاء الكيانات المحلية الكوردية في القرن التاسع عشر. وذلك لان تلك السياسات كانت تمثل خروقات الاتفاق الذي عمل البدليسي على ترسيخه. ولكننا من جانب آخر لا يمكننا انكار طموحات البدليسي الشخصية كما نستدل على ذلك من الشعر الذي كتبه للسلطان سليم في مصر[١٧٦]، حيث يشكو حالته اليه. ولكن تلك الطموحات لم تكن تتعارض مع مصالح الكورد.

---

(١٧٦) ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص٣٧٣.

ثالثاً: توسعات السلطان سليمان القانوني(١٧٧) في كوردستان:

أ- حملة السلطان سليمان الاولى في كوردستان:

تميز الوضع السياسي في كوردستان اثر انضمام أجزاء منها الى النفوذ العثماني بعدم الاستقرار. حيث ان تقسيم كوردستان بين الدولتين العثمانية والصفوية- كنتيجة من نتائج معركة چالديران والتطورات التي تلتها- لم يأخذ طابعاً رسمياً. وذلك لان الدولتين لم تعترفا بنفوذ بعضهما البعض في المنطقة، كما لم تعقد بينهما اية معاهدة سلام أو اتفاق للصلح(١٧٨)، ولذلك كانت حالة الحرب قائمة بينهما من الناحية النظرية. فالدولة الصفوية بذلت محاولات عدة في هذا المضمار ولكن تلك المحاولات لم تلق آذاناً صاغية في استانبول. فقد رفض السلطان سليم الاول سفارة السلام التي بعثها الشاه اسماعيل اليه في عام ١٥١٥. ولم يكتف بالرفض فحسب بل عمد الى اعتقال اعضاء الوفد الصفوي(١٧٩). وفي مثل تلك الظروف كانت الحرب متوقعة بين الجانبين في أية لحظة ولأي سبب من الاسباب.

اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية في عام ١٥٢٠، فوصلت الدولة في عهده الى قمة مجدها وتوسعها. فبالاضافة الى التوسع في أوربا كان التوسع في الشرق ضمن مخططات السلطان العسكرية والسياسية. ونستدل على ذلك من عبارات التهديد والوعيد التي ضمنتها رسالته للشاه طهماسب الاول (١٥٢٤-١٥٧٦) بمناسبة جلوسه على العرش(١٨٠). وكان الصفويون ايضاً قد ادخلوا الحرب العثمانية ضمن مخططاتهم السياسية، و بدأوا بالتحركات الدبلوماسية لتطويق

---

(١٧٧) يعد من السلاطين العثمانيين العظام وذلك لانجازاته المهمة في كافة المجالات السياسية والعسكرية والادارية والعمرانية والقانونية، حكم مابين سنتي (١٥٢٠-١٥٦٦م) حول سيرته يراجع: هارولد لامب، سليمان القانوني، ت: محمود نديم، بغداد ١٩٦١.

(١٧٨) ان اول معاهدة صلح بين الدولتين قد عقدت في عام ١٥٥٥ وهي معاهدة آماسية. د. علاء نورس، العراق في العهد العثماني، بغداد ١٩٧٩، ص٢٥.

(١٧٩) جاء ذلك الخبر في نص الفرمان الذي بعثه السلطان الى البدليسي، يراجع الملحق.

(١٨٠)ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٥، عماد الجواهري، م. س، ص٧٦.

الدولة العثمانية سياسياً، وذلك بمحاولة عقد التحالف مع اعدائها في الغرب[181]. بالرغم من ذلك لم تحدث اية حركات عسكرية جدية بين الدولتين حتى بدايات العقد الرابع من القرن السادس عشر.

في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية منشغلة بحروبها ضد النمسا حدثت تطورات في حدودها الشرقية مما جعلتها توقف حملاتها العسكرية في اوربا بعد عقد معاهدة الصلح مع النمسا في حزيران ١٥٣٣ لتتجه بأنظارها نحو الحدود الشرقية[182]. وتمثلت تلك التطورات في حوادث امارة بدليس.

يتمثل السبب الرئيسي لنشوب تلك الحوادث في (أولامه التكهلو) الذي كان من الامراء القزلباش فنصب والياً من قبل الشاه على أقليم آذربيجان، ولكنه تذمر من الدولة الصفوية والتجأ الى الدولة العثمانية[183]. فقرر السلطان سليمان تنصيبه على إمارتي بدليس[184] وحصن كيفا[185] في سنة ١٥٣٠[186]. كما أمده بالمعونة العسكرية لتحقيق ذلك. وفي اطار ذلك أمر السلطان بعض الامراء الكورد ايضاً ليقوموا بأمداد اولامه بك لبلوغ منصبه[187]. وهذه المنحة كانت مخالفة للاتفاق الكوردي العثماني، لان هاتين الامارتين كانتا تتمتعان بالاستقلال الداخلي في ظل حكم امرائها الوراثيين[188]. وبذلك يمكن القول ان تلك الخطوة كانت تمثل أول خرق عثماني للاتفاق المذكور.

وكان ذلك مثار غضب أمير بدليس (الامير شرف خان)[189] الذي قرر التصدي لهذه المحاولة، وبدأ بتدبير أمور الدفاع عن امارته، ولما ضيق المهاجمون من الجانب العثماني الحصار عليه في بدليس، استنجد بالشاه طهماسب الاول الصفوي الذي أنجده بجيش يقوده بنفسه، فأفلح في فك الحصار عن

---

(١٨١) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٥. راجر سيوري، م. س، ص١٠٤.

(١٨٢) محمد فريد بك، م. س، ص٩٠.

(١٨٣) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٤٠. وحول اسباب التجاء اولامه التكهلو الى الدولة العثمانية ينظر: راجر سيوري، م. س، ص٥٩.

(١٨٤) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٤٢.

(١٨٥) هامر، م. س، ج٥، ص١٤٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٩. ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٦.

(١٨٦) ستانلي لين پول، الدول الاسلامية، ق٢، مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق، ط٤، دمشق ١٩٧٤، ص٥٨٥. Imber, op. cit, P51 .

(١٨٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٤٢. هامر، م. س، ج٥، ص١٤٤.

(١٨٨) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٤٢. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٩.

(١٨٩) هو جد المؤرخ شرفخان البدليسي. حول ترجمته ينظر: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٥٢.

بدليس[١٩٠]. ولكن اولامه التكهلو قد توجه اليها مرة اخرى عن طريق (خيزان) وذلك في عام ١٥٣٣. وكانت قوات أولامه تبلغ عشرة آلاف مقاتل في الوقت الذي لم يكن لدى الامير شرفخان سوى خمسة آلاف . الامر الذي جعل الأخير يتردد في مقابلة الجيش المتوجه نحو بدليس. الا انه قرر التصدى له اخيراً حينما أشار عليه بعض رجاله المعتمدين لديه، فدخل معركة غير متكافئة في جنوب بدليس أسفرت عن مقتل الامير شرفخان وبعشرة قواته. وكانت الهزيمة بسبب خيانة قائد جناحه الايمن الذي التجأ الى المعسكر المعادي. كما إن احتلال الجانب العثماني لموقع ممتاز في ساحة المعركة كان له تأثيره في نتيجة المعركة حسبما يفيد المؤرخ شرفخان البدليسي[١٩١]. و ذلك الى جانب الغلبة العددية للجانب العثماني.

في اعقاب وصول تلك الابناء الى بدليس اجتمع أولو الامر فيها، ونصبوا شمس الدين[١٩٢] بن شرفخان أميراً على الامارة. وبذلك حافظت الامارة على استقلالها حتى تلك الفترة. خاصة وان اولامه التكهلو لم يتقدم للاستيلاء على بدليس في اعقاب انتصاره على الامير شرفخان، بل ذهب الى مدينة وان[١٩٣]. وقد يكون ذلك بسبب تهديد الصفويين له.

ونتيجة لهذه التطورات أعلنت الدولة العثمانية الحرب رسمياً على الدولة الصفوية، وبادر السلطان الى ارسال الصدر الاعظم ابراهيم باشا[١٩٤] على رأس حملة كبيرة نحو الشرق وذلك في عام ١٥٣٣. فتوجه المذكور نحو امارة بدليس، ولكن قبل وصوله الى مدينة قونية[١٩٥] جائته انباء هزيمة الامير شرفخان ومقتله، لذلك سار ابراهيم باشا الى مدينة حلب ليمضي فصل الشتاء فيها[١٩٦].

---

(١٩٠) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٤٣-٤٤٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٩.

(١٩١) الشرفنامه، ص٤٤٨-٤٤٩.

(١٩٢) انه والد المؤرخ شرفخان البدليسي، حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير....، ج١، ص٢٥٧.

(١٩٣) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٥٠، ٤٥٢.

(١٩٤) ابراهيم باشا الملقب بالمقتولُ تولى الجيش عام ١٥٢٤ وخدم الدولة العثمانية في مصر والاناضول وهنكاريا ثم اصبح صدراً أعظم، ولكنه أعدم بامر السلطان سليمان في عام ١٥٣٦ رغم انجازاته الكثيرة.

(١٩٥) مركز ولاية كبيرة في تركيا، تقع الى جنوب انقرة العاصمة حالياً.

(١٩٦) هامر، م. س، ج٥، ص١٤٤-١٤٥. وهنا يخطأ المؤرخ محمد فريد بك المحامي ويظن انه كان لأولامة التكهلو ابن يسمى شمس الدين هو الذي أخذ رأس شرفخان الى ابراهيم باشا قبل وصوله قونية. (ينظر: تاريخ الدولة العلية...، ص٩٠) ولكن الواقع إن شمس الدين كان ابن شرفخان أمير بدليس، وذهب الى ابراهيم باشا لاستعادة حقه الوراثي في امارة بدليس، كما سنأتي الى ذلك في السطور اللاحقة في المتن.

في ربيع ١٥٣٤ عبر ابراهيم باشا نهر الفرات الى مدينة دياربكر حيث مكث ستة أسابيع فيها، واثناء مكوثه في تلك الانحاء ذهب اليه الامير شمس الدين (امير بدليس الجديد) لأستقباله بالهدايا النادرة وعارضاً عليه الطاعة. فتلقاه ابراهيم باشا بحفاوة واعطاه عهداً بولاية بدليس نيابة عن السلطان[١٩٧]. وفي اعقاب ذلك تحرك الصدر الاعظم من دياربكر قاصداً تبريز، واجتاز في طريقه منطقة وان التي جاتته خلال مروره بها مفاتيح بعض القلاع الكوردية المجاورة لبحيرة وان، منها (آميق) و (سلطان كيپان) و (جرم)[١٩٨]. بالاضافة الى قلاع إمارة محمودي التي قدمها اليه الامير أمين بك المحمودي، دليلاً على اعلان فروض الولاء والطاعة للعثمانيين. فاعادها اليه الصدر الاعظم مع السماح له بحكم امارته باسم الدولة العثمانية. ثم استولى على قلعة وان الكوردية [١٩٩]. فوصل بعد ذلك الى مدينة تبريز التي دخلها بدون معارضة تذكر في (١٣) تموز ١٥٣٤. حيث ان الشاه طهماسب الاول تجنب الالتقاء بالجيش العثماني لعلمه بعدم قدرته على الانتصار عليه، فانسحب الى قزوين الواقعة في شمال ايران[٢٠٠]. ويستخدم المستشرق السوڤياتي (إيڤانوڤ) تعبيراً دقيقاً لموقف الشاه حينما يذكر بانه تخلى عن الارض على أمل الاحتفاظ بالجيش والدولة[٢٠١]. وذلك في الوقت الذي يشير (راجر سيوري) الى ان العثمانيين حققوا ذلك الانتصار بسهوله نظراً لغياب الشاه طهماسب الصفوي الذي كان قد توجه على رأس جيشه صوب حدود الدولة الصفوية الشرقية تاركاً قوة صغيرة لحماية تبريز العاصمة[٢٠٢].

التحق السلطان سليمان القانوني في العام نفسه بالصدر الاعظم في تبريز، حيث أمضى فيها فترة من الزمن ليستريح من عناء السفر[٢٠٣]، ولكن برودة الشتاء التي ادت الى هلاك عدد من المقاتلين العثمانيين، ونقص المؤن في آذربيجان قد أجبرا السلطان سليمان على الانسحاب من تبريز والمرور عبر أقليم كوردستان التابع للدولة الصفوية متوجهاً نحو بغداد. أما الشاه طهماسب فقد تعقب اولامه

---

(١٩٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٥٣. هامر، م. س، ج٥، ص١٤٥. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٩.

(١٩٨) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل١٩١. وانظر أيضاً: هامر، م. س، ج٥، ص١٤٩.

(١٩٩) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل١٩١. ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٦.

(٢٠٠) عماد الجواهري، م. س، ص٧٨، وانظر ايضاً: Imber, op. cit, p51

(٢٠١) الفتح العثماني...، ص٨٨.

(٢٠٢) ايران عصر صفوي، ص٥٩-٦٠.

(٢٠٣) محمد فريد بك، م. س، ص٩٠. Imber, op. cit, p51

التكه‌لو وعدد من الامراء القزلباش الآخرين الذين التجأوا الى قلعة وان[٢٠٤]. وفي تلك الاثناء كان الجيش العثماني بقيادة السلطان سليمان في طريقه الى بغداد. وعندما اقترب من منطقة شهرزور العائدة لأمارة اردلان أعلن أميرها (بيگه بك بن مأمون بك)[٢٠٥] ولاءه للدولة العثمانية، وقدم ابنه الصغير السن (مأمون)[٢٠٦] رهينة و دليلاً على حسن النية[٢٠٧]. يجدر بالذكر ان الامير بيگه بك عندما سمع بوصول الجيش العثماني الى حلب، كان قد بادر الى الاتصال بالعثمانيين، وقدم اليهم تقريراً مفصلاً عن الظروف التي فرضت الوجود الصفوي في منطقة شهزور، واعلن في التقرير كذلك قبوله بالتبعية العثمانية[٢٠٨].

توجه السلطان العثماني بعد ذلك الى بغداد ودخلها في أواخر عام ١٥٣٤[٢٠٩]. وغادرها بعد مدة عن طريق كوردستان أيضاً، حيث سار في طريقه حتى وصل منطقة أربيل التابعة لأمارة سوران. وهناك غضب على الامير السوراني عزالدين شير[٢١٠] فأمر بشنقه واناط مناطق حكمه بالأمير حسين بك الداسني الإيزيدي[٢١١]، وفيما يتعلق بالاسباب التي ادت بالسلطان الى اتخاذ تلك الخطوة هناك رأيان مختلفان. اذ يقول شرفخان ان ذلك كان نتيجة الاعمال القبيحة التي قام بها الامير بحق حاشية السلطان[٢١٢]. أما عباس العزاوي فيشير الى ان السلطان علم هناك بان الامير السوراني قد جائته رسالة من الشاه طهماسب الاول الصفوي، مما دعى السلطان الى الاشتباه به[٢١٣]. مهما كان

---

(٢٠٤) راجر سيوري، م. س، ص٦٠.

(٢٠٥) عن ترجمته يراجع: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٠٨.

(٢٠٦) عن ترجمته ينظر: ماهشەرەفخانم، س. پ، ل٢٨-٢٩.

(٢٠٧) مأمون بك، م. س، ص١٠. نظمى زاده ، م. س، ص٢٠٤. محمد امين زكي، تـاريخى ولآتـى سـلێمانى، بەغدا ١٩٣٩، ل٣١.

(٢٠٨) مأمون بك، م. س، ص٢١.

(٢٠٩) عماد الجواهري، م. س، ص٨٠ Imber, op. cit, p51

(٢١٠) عن ترجمته يراجع: شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢١١) م. ن، ص٢٧٨. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، مج٤، بغداد ١٩٤٩، ص٤٣.

(٢١٢) الشرفنامه، ص٢٧٨.

(٢١٣) تاريخ العراق بين احتلالين، مج٤، ص٤٣.

الامر فيعد ذلك الحادث خرقاً آخر لبنود الاتفاق الكوردي العثماني الذي ينص في أحد بنوده على الحرية والاستقلال الداخلي للامارات الكوردية[٢١٤].

كما قام السلطان بعمل آخر مناف للاستقلال الداخلي الكوردي، ومناقض للاتفاق المذكور وذلك في عام ١٥٣٥ عندما طالب الامير شمس الدين بن شرفخان (أمير بدليس) بالتنازل عن امارته لأولامه التكهلو وتعويضه عن ذلك بمنطقتي ملاطية ومرعش[٢١٥]. الامر الذي دفع بأمير بدليس الى الارتماء في احضان الدولة الصفوية مع جمع من رجال قبيلته وهي (الروژكى)[٢١٦]، تاركاً امارته ليقيم عليها العثمانيون حكاماً من قبلهم[٢١٧]. وكانت تلك المحاولة العثمانية تعود على الارجح الى تعيين أولامه التكهلو على بعض المناطق المتاخمة لحدود الدولة الصفوية بهدف النيل من تلك الدولة، وخلق المشاكل السياسية والعسكرية لها.

ب- الموقف من امارة اردلان:

كنا قد ذكرنا ان امارة اردلان قد اعلنت تبعيتها للدولة العثمانية خلال حملة السلطان سليمان المذكورة. لكنها لم تستقر على تلك الحالة، اذ كانت متذبذبة في ولائها بسبب اضطراب احوالها السياسية ونشوب النزاعات العائلية حول الزعامة ومناطق النفوذ[٢١٨] ولذلك أمر السلطان سليمان بتجهيز حملة عسكرية تتألف من قوات عدد من الامارات الكوردية، ويقودها أمير بادينان سلطان حسين بك[٢١٩]. فاغارت الحملة على اردلان في عام ١٥٣٧ بحجة تبدل ولائها نحو الدولة الصفوية[٢٢٠]. وذلك في الوقت الذي ينوه محمد امين زكي بان مأمون بك لم يعترف في الواقع بالسلطة

---

(٢١٤) يراجع موضوع (الاتفاق الكوردي العثماني) في هذا الفصل.

(٢١٥) مرعش: تقع الى الغرب من اورفه وتشكل حالياً مركزاً لولاية تركية بالاسم نفسها.

(٢١٦) شرفخان البدليسي، م. س، ص٤٥٤.

(٢١٧) شەمسی ئیسكەندەر، س. پ، ل١٣٦.

(٢١٨) مأمون بك، م. س، ص٧. وكانت امارة اردلان كما بيننا سابقاً قد قسمت في عهد الامير مأمون بك (والد الامير بيگەبك) الى ثلاثة اقسام وجعل على كل قسم أبناً من ابنائه. ولكن الاخوة الثلاثة لم يستمروا على الوفاق وكذلك كانوا يختلفون في الولاء أيضاً، ففي الوقت الذي قدم بيگه بك ولاءه للدولة العثمانية نجد سرخاب بك يقدم الولاء للدولة الصفوية. ينظر: م. ن، ص١٠ وكذلك: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٠٨.

(٢١٩) حول ترجمته يراجع: انور المائي، الاكراد في بهدينان، الموصل ١٩٦٠، ص١٢٨.

(٢٢٠) م. ن، ص١٢٨. محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليمانى، ل٣١.

العثمانية، بل كان تابعاً للدولة الصفوية، وعندما أراد توسيع حدود إمارته غرباً نحو كويه (كويسنجق) و كركوك و شهرزور، لم يرق ذلك للسلطان سليمان القانوني الذي كان يطمع في الاستيلاء على المسالك الشرقية، فأرسل تلك الحملة للاستيلاء على شهرزور في الاساس، ويمد نفوذه نحو مريوان[٢٢١] وسنه اذا كان ذلك ممكناً[٢٢٢]. بينما يذكر العزاوي بهذا الصدد ان الامارة ((عاشت مستقلة مدة وكانت بنجوة من التدخل الاجنبي... فعارضت الدولة مدة وقارعت))[٢٢٣].

حاصر الجيش المهاجم الامير الاردلاني (مأمون بك) في قلعة (زلم) مدة من الزمن، ثم فاوضوه حتى أقنعوه بالاستسلام الى الجيش العثماني والذهاب الى استانبول لتقديم اخلاصه للسلطان وذلك بعد ان طمأنوه على حياته وامارته[٢٢٤].

توالت بعد هذا التأريخ الحملات العثمانية على امارة اردلان في عهد السلطان سليمان القانوني، منها على سبيل المثال حملة عام ١٥٥٢ التي كانت بقيادة عثمان باشا (والي حلب)[٢٢٥]. وقد ضمت هذه الحملة قوات معظم الولايات العثمانية المجاورة بضمنها قوات ولاية بغداد وبعض الامراء الكورد واتخذت كافة الاستعدادات العسكرية. ولكن الامراء الاردلانيين قد تحصنوا بمركز امارتهم، وتمكنوا من الصمود رغم شدة ضربات المهاجمين وقسوة الحصار. ففشلت الحملة أمام مقاومتهم العنيدة، وقفلت راجعة حاملة جثمان قائدها الذي لقي حتفه أثناء عملية الحصار[٢٢٦]. وعلى العموم، فقد بقي النفوذ العثماني على امارة اردلان في حالة مد وجزر حتى سنة ١٥٥٤ حين استسلم

---

(٢٢١) مدينة كوردية تقع الى الغرب من سنة بالقرب من الحدود العراقية الايرانية.

(٢٢٢) ينظر: تاريخى دەولەت و...، ل٣٢٩-٣٣٠. وفيما يتعلق بموقف العثمانيين من امارة اردلان يذكر (ستيفن لونكريك) بأن الامير الاردلاني كان ((ينظر السلطان سليمان جاراً قوياً ومثلاً سيئاً لدويلتي العمادية وبتليس)) ينظر: اربعة قرون...، ص٦١-٦٢.

(٢٢٣) ينظركتابه: شهرزور- السليمانية/ اللواء والمدينة، ص١٥٩.

(٢٢٤) ماهشەرەفخانم، س. پ، ل٢٩. انور المائى، م. س، ص١٣٠. علي سيدو الگوراني، من عماد الى العمادية/ أو جولة في كردستان الجنوبية، مصر ١٩٣٩، ص٥٢-٥٣.

(٢٢٥) نظمى زاده ، م. س، ص٢٠٤.

(٢٢٦) عباس العزاوي، شهرزور...، ص١٦٣-١٦٤.

الامير الاردلاني سرخاب بك بن مأمون بك(٢٢٧) للجيش العثماني الغازي دون قتال، وبذلك خضعت شهرزور وما يجاورها بضمنها قلاع (هاوار، نقرد، باسكه، شميران) للدولة العثمانية(٢٢٨).

ج- الحملة الثانية للسلطان سليمان القانوني:

توجه السلطان سليمان القانوني في ربيع ١٥٤٨ مرة أخرى على رأس حملة ضخمة الى الشرق، يرافقه الامير الصفوي (القاس ميرزا) الذي كان قد تمرد على أخيه الشاه طهماسب والتجأ الى السلطان العثماني، ليطلب منه المعونة العسكرية آملاً القيام بثورة شاملة وتسنم العرش الصفوي(٢٢٩). يجدر بالذكر ان بعض الامراء الكورد قد ساهموا بقواتهم في هذه الحملة أيضاً، منهم أمير امارة محمودي الكوردية(٢٣٠).

أخترق السلطان سليمان القانوني بقواته الحدود الصفوية قاصداً مدينة تبريز العاصمة، فدخلها في تموز ١٥٤٨ دون ان يلقي اية مقاومة، ولكنه انسحب منها بعد خمسة أيام فقط(٢٣١). لان الشاه طهماسب لجأ مرة أخرى الى المناورة، وتجنب ملاقاة عدوه(٢٣٢) فاتبع في الوقت نفسه سياسة الارض المحروقة، حيث أمر بتخريب جميع المناطق الواقعة بين تبريز والحدود العثمانية بشكل لايستفيد العثمانيون من خيراتها. وفي اطار تلك السياسة وصل الامر في تبريز الى حدٍ أقدم السكان على سد قنوات المياه التي تداربها الطواحين المائية. فعانى العثمانيون كثيراً من نقص المؤن والارزاق. كما خسروا عدداً كبيراً من الدواب وحيوانات الحمل(٢٣٣).

---

(٢٢٧) حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٣٣.

(٢٢٨) نظمى زادة ، م. س، ص٢٠٥. ماهشەرەفخانم، س. پ، ل٣٣.

(٢٢٩) راجر سيوري، م. س، ص٦٠. Imber, op. cit, p54

يجدر بالذكر ان (القاس ميرزا) كان حاكماً على اقليم شيروان التابع للدولة الصفوية، ولكنه اعلن تمرده على أخيه الشاه على امل الاستيلاء على العرش الصفوي، وعفى عنه الشاه في اعقاب قمع تمرده هذه المرة، ولكنه عاد الى التمرد مرة اخرى ليلتجأ بعدها الى الدولة العثمانية. ينظر: راجر سيوري، م. س، ص٦٠.

(٢٣٠) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٣١٦.

(٢٣١) Imber, op. cit, p54.

(٢٣٢) Parry, op. cit, p93.

(٢٣٣) راجر سيوري، م. س، ص٦١.

وفي أعقاب الانسحاب من تبريز أستدار السلطان غرباً نحو محاصرة قلعة وان الحصينة التي كان العثمانيون قد استولوا عليها في حملة عام ١٥٣٤، ولكنها سقطت بأيدي الصفويين في السنوات التي تلتها(٢٣٤). وقد ترك الصفويون أمر الدفاع عن القلعة الى حاكمها الذي كان أميراً كوردياً من عشيرة (چكنى)(٢٣٥) يدعى علي سلطان الچكني، ودافع المذكور بشدة عن القلعة ولكن السلطان أحكم عليها طوق الحصار وجلب المدافع الضخمة من ارضروم فأستخدمها في ضرب جدران القلعة، فأضطر المحاصرون الى فتح ابواب القلعة وتسليم انفسهم نتيجة قسوة الحصار، والشدائد التي عانوها نتيجة نقص المؤن، فاستولى العثمانيون على القلعة في ٢٥ آب ١٥٤٨ وسيطروا على المناطق المجاورة لها(٢٣٦).

وخلال السنوات التالية اصبحت كوردستان مسرحاً للحروب الطاحنة بين الدولتين العثمانية والصفوية، حيث توغل الجيشان الصفوي والعثماني في عمق البلاد في اطار صراع حول مناطق النفوذ فيها. ولم تكن المبادرة بيد العثمانيين على الدوام، فقد اخترق الشاه طهماسب المناطق الكوردية مرتين خلال هذا الصراع، وصل في المرة الاولى الى نواحي دياربكر وفي المرة الثانية الى موش واخلاط ماراً بمناطق وان وبدليس(٢٣٧). ولم ينتهِ هذا الصراع المحتدم الا بمعاهدة (آماسية) التي عقدت بين الدولتين بدعوة من الشاه طهماسب في ٢٩ مايس ١٥٥٥، وهي أول معاهدة سلام بين الجانبين(٢٣٨).

وبأنتهاء تلك الحرب المتواصلة اضاف السلطان سليمان القانوني مناطق اخرى من كوردستان الى ما كسبها السلطان سليم الاول من اراضي كوردية، وهي مناطق وان وارضروم(٢٣٩) وشهرزور(٢٤٠) كما تبين لنا من العرض السابق. أما نصيب كوردستان من تلك الحروب فكان التدمير البشري والمادي على السواء، لأنها أصبحت ساحةً لجيوش الدولتين ومعاركهما المدمرة في وقت لم يكن يهمها

---

(٢٣٤) Parry, op. cit, p93.

(٢٣٥) احدى العشائر الكوردية التي كانت في عهد الدولة الصفوية ذات بأس وقوة، وشكلت امارة عشائرية في المنطقة المذكورة، ولكن اركان تلك الامارة قد تضعضعت و تبعثرت العشيرة نفسها. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص١٦.

(٢٣٦) ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل١٩٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٠. Parry, op. cit, p93

(٢٣٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨١-١٨٢.

(٢٣٨)علاء نورس، م. س، ص٢٥. راجر سيوري، م. س، ص٦٢.

(٢٣٩). Show, op. cit, vol. 1, p 95; Imber, op. cit, p 179.

(٢٤٠) Imber, op. cit, p179.

مصلحة البلاد في شئ. اذ كانت الدولتان تستهدفان السيطرة على مواقع كوردستان الاستراتيجية والاستفادة من ثرواتها المادية والبشرية. فالجيش الصفوي قام بأعمال تخريب واسعة خلال المرتين اللتين توغل فيهما في المناطق الكوردية، اذ لم يترك عمراناً الا دمره في الطريق الذي سلكه. وذلك الى جانب النهب والسلب الذين كانا مصاحبين لجيوش ذلك العهد. كما لم تكن القوات العثمانية بأحسن من الصفويين في هذا المجال(٢٤١).

د- التنظيمات الادارية في المناطق الكوردية التي ضمّها السلطان سليمان:

كان السلطان سليمان القانوني قد نظم الاقاليم الجديدة التي اكتسبها، قبل ان يترك الشرق ويقفل راجعاً الى استانبول. فشكل اربع ولايات جديدة في كوردستان بضمنها ولاية (ارضروم) التي فتحها في الحملة الاولى (سنة ١٥٣٤م)، حيث بدأ العملية بوضع المنطقة تحت سيطرة حكومية اكثر مركزية، وذلك بالرغم من انها كانت تتمتع فيما مضى بادارات محلية للرؤساء والقبائل الكوردية والتركمانية(٢٤٢). وفي حملته الاولى جعل مدينة الموصل ولاية عثمانية ايضاً ونصب عليها السيد احمد بن شمس الدين (امير گورگيل)(٢٤٣). وكانت تضم ثلاثة سناجق وهي سنجار والموصل بالاضافة الى گورگيل نفسها التي كانت تحت امرته في السابق(٢٤٤).

أما فيما يتعلق بمنطقة شهرزور فقد ذكرنا سابقاً ان تبعيتها السياسية للدولة العثمانية قد ثبتت في عام ١٥٥٤م، فشهدت منذ ذلك الحين المعالم الحقيقية للادارة العثمانية، وظهرت كولاية عثمانية تحمل الاسم نفسها(٢٤٥). فقد كان امراء اردلان يعدّون السادة الحقيقيين في الجزء الاعظم من تلك الولاية قبل ان يتم تثبيت السلطة العثمانية فيها(٢٤٦). بل ان نفوذ الاردلانيين ظل واضحاً في تلك

---

(٢٤١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٢-١٨٣.

(٢٤٢) Show, op. cit, vol, 1, p95.

(٢٤٣) احدى النواحي التابعة لمنطقة بوتان، كانت فيما سبق تدعى (جردقيل). شرفخان البدليسي، م. س، ح ص١١.

(٢٤٤) م. ن، ص١٦٩. ستيفن لونكريك، م. س، ص٤١. يجدر بالذكر ان حالة ولاية الموصل الادارية قد شهدت تبدلات كثيرة، وخاصة خلال القرن السادس عشر. حول ذلك ينظر: علي شاكر، ولاية الموصل...، ص١١٤ وما بعدها.

(٢٤٥) مأمون بك، م. س، ص٨٠. نيقولاي ايڤانوڤ، م. س، ص٨٩.

(٢٤٦) Encyolopaedia of Islam, new Edition, Leiden 1980, Vol. 5, Art ((Kirkuk)), p 144.

الولاية حتى بعد التأريخ المذكور (١٥٥٤م)، اذ كان ما يقارب نصف عدد سناجقها قد أصبح ضمن الممالك العثمانية التي يدبرها البگوات العثمانيون، أما البقية فكانت تحت تصرف الامراء الكورد[٢٤٧]. وكان منصب حاكم الولاية منوطاً بوالٍ عثماني كان مركزه في گلعنبر قبل ان ينتقل في أواخر القرن السادس عشر الى مدينة كركوك[٢٤٨].

أما الولاية الرابعة المستحدثة فكانت ولاية وان التي استقرت تبعيتها للدولة العثمانية في عام ١٥٤٨ كما مربنا سابقاً[٢٤٩]. اصبحت مدينة وان بموجب قانون السلطان سليمان مركزاً لولاية عثمانية تتألف من سبعة وثلاثين سنجقاً، كان عشرون من هذه السناجق تعدّ سناجق عثمانية، ولباشا وان الحق في عزل ونصب امرائها[٢٥٠]. أما السناجق الاخرى فكانت بيد الامراء الكورد، وذلك بالاضافة الى اربع حكومات كوردية شبه مستقلة وهي حكومات: هكاري وبدليس ومحمودي وپنيانش[٢٥١]. التي تقع في شرقي وان. وكانت تلك الحكومات تابعة أسمياً لولاية وان[٢٥٢].

وبهذه الصورة اصبحت كوردستان عند تبعيتها للدولة العثمانية تتألف من خمسة ولايات هي (ارضروم، وان، دياربكر، الموصل، شهرزور). وتتخلل تلك الولايات الحكومات والامارات الكوردية التي حافظت على استقلالها الذاتي كما رأينا. بالاضافة الى ذلك كانت هناك العديد من المناطق (أو/ السناجق) الكوردية في قائمة الولايات العثمانية المجاورة لكوردستان وخاصة ولاية بغداد التي كانت تضم (١٣) سنجقاً كوردياً من مجموع سناجقها البالغة عشرين سنجقاً في بدايات القرن السابع عشر[٢٥٣].

---

(٢٤٧) مأمون بك، م. س، ص٧٩.

(٢٤٨) سعدي عثمان، م. س، ص٩٥. وحول التطورات الادارية التي شهدتها تلك الولاية وتقسيماتها خلال العهد العثماني ينظر: م. ن، ص٩٢-٩٥.

(٢٤٩) دائرة المعارف الاسلامية، مج٥، مادة: إيالة، ص٢٦٧.

(٢٥٠) للوقوف على اسماء تلك السناجق ينظر: ئەولیاچەلەبی، س. پ، ل٢٠٨.

(٢٥١) كانت فرعاً من امارة محمودي الا انها استقلت عنها، وكانت قد خضعت للدولة العثمانية في الحملة الثانية للسلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤٩. م. ن، ص٣٢٢.

(٢٥٢) م. ن، ص٢٠٨-٢٠٩. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٥-١٧٦.

(٢٥٣) ينظر: سعدي عثمان، م. س، ص٩٩-١٠١.

الفصل الثالث

(انماط السياسات التي اتبعها العثمانيون لترسيخ سيطرتهم على كوردستان)

بالرغم من ان العلاقة بين كوردستان و الدولة العثمانية كانت قد نظمت من قبل ادريس البدليسي بموجب الاتفاق المعقود بين الطرفين في عام ١٥١٤، الا ان المسؤولين العثمانيين (السلاطين والوزراء وحكام الولايات) لم يسيروا على هدى ذلك الاتفاق على الدوام، اذ بادروا الى خرقه كلما أقتضت مصالحهم ذلك، ولم يردهم عن ذلك أي مانع، لانهم كانوا في موقف القوة، يقول محمد امين زكي بصدد ذلك: ((ولكن الحكومة التركية [العثمانية] نقضت شروط هذه المعاهدة [الاتفاق] بعد خمسة عشر عاماً من التوقيع عليها شيئاً فشيئاً حتى أتت على آخر امارة كردية....))[١]. وتفنن العثمانيون في ذلك باتباع السياسات التي تكفل لهم ذلك. والجدير بالذكر ان بعض هذه السياسات كانت نابعة من بنود الاتفاق نفسه[٢]، حيث ان القائمين بالمسؤولية في الدولة العثمانية عرفوا كيف يستغلون تلك البنود لصالحهم الى أقصى درجة ممكنة، فبلغوا حد التطرف في كثير من الاحيان. فقد استغلوا حق الدولة العثمانية على الكورد في مشاركتها الحروب التي تخوضها ضد اعدائها الى حد بعيد، بحيث قدم الكورد عشرات الآلاف من الضحايا للدولة العثمانية[٣]. بل انهم كانوا يتحولون الى سلاح فعال ضد اخوانهم الكورد في كثير من المرات. فعندما كانت تستعصى عليهم احدى الامارات الكوردية فانهم كانوا يبادرون الى اصدار الاوامر الى الامارات الكوردية الاخرى بضربها واعادتها الى الطاعة[٤]. أما السياسات الاخرى فكانت من صنعهم أي انها لم تكن تمت الى الاتفاق بصلة ولكنهم استعملوها لتحقيق اغراضهم ونواياهم.

---

(١) خلاصة...، ص١٧١.

(٢) كالبند الذي ينص على تقديم الرسوم والضرائب من قبل الكورد الى الدولة العثمانية، راجع بنود الاتفاق في الفصل السابق.

(٣) باسيل نيكيتين، م. س، ص١٦٩.

(٤) هناك الكثير من الامثلة على ذلك، ينظر على سبيل المثال: محمد امين زكي، تاريخي ولآتي سليّماني، ل٣١. عثمان بن سند البصري، خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١٧٦٩-١٨٢٥ (وهو مختصر كتاب: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود) أختصره: امين بن حسن الحلواني، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة ١٩٥٢، ص٣٦.

ان الهدف من كل ذلك كان احكام سيطرتهم الفعلية على كوردستان و معاملتها كباقي أجزاء الامبراطورية العثمانية التي تدار أغلبها من قبل الولاة العثمانيين مباشرة. وقد حافظت كوردستان أو بالأحرى الامارات الكوردية على بعض مظاهر استقلالها وحكمها الداخلي(٥) الى اواسط القرن التاسع عشر، حين حاولت الدولة تطبيق سياسة الادارة المركزية في انحاء الامبراطورية كما سنأتي الى ذلك في الفصل الخامس. وفيما يلي نحاول عرض أهم السياسات المعنية مع بيان ابعادها ونتائجها:

أولاً: سياسة ((فرق تسد)):

تعد هذه السياسة من الوسائل التقليدية التي كثيراً ما لجأت اليها الدول القديمة والحديثة على السواء، لأحكام سيطرتها السياسية أو العسكرية على المناطق التي تناوئها وتقاوم سلطتها أو لاتخضع مباشرة لسلطانها. وبين الامثلة الكثيرة على ذلك نذكر هولاكو (فاتح بغداد في ١٢٥٨) الذي طبق هذه السياسة حينما قرب اليه النصارى وشجعهم على مناوئة المسلمين(٦). أما العثمانيون فكانوا أبرع من يتبع السياسة المذكورة في البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم، حيث كانوا يلجأون الى ضرب القوى المحلية ببعضها البعض، كما فعلوا في فلسطين(٧).

وفيما يخص كوردستان فيمكننا القول أنها تكاد تكون السياسة الفعالة الوحيدة التي مكنتهم من الحفاظ على نفوذهم فيها وترسيخ سيطرتهم عليها، لأنها كانت سياسة ناجحة جداً بالنسبة اليهم. لذلك يمكن القول ان القائمين على السياسة في الدولة العثمانية عدوا تلك السياسة من سياساتهم الاستراتيجية تجاه كوردستان كما يذهب الى ذلك العديد من الباحثين(٨). أو انهم عدّوها من السياسات بعيدة المدى. اذ كانت المناطق والامارات الكوردية خلال العهد العثماني (الفترة المعنية بدراستنا على الاقل) تشكل أرضاً خصباً لتجربة تلك السياسة وتوابعها.

---

(٥) د. ليونهارت راوولف، رحلة المشرق/ الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ت: سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٨. ص١٩٧.

(٦) محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف ١٩٧٠، ص٢٨٠.

(٧) ابراهيم خليل احمد، م. س، ص١٠٠.

(٨) كندال و...، م. س، ص٥٣. بله ج شيركو، س. پ، ل٣٣. باسيل نيكيتين، م. س، ص١٧٠.

وقد نفذت السلطات العثمانية تلك السياسة بسبل شتى، فتارة كانت تعمد الى بذر بذور الخلاف بين الامارات والزعامات الكوردية لتوسيع هوة الشقاق بينها وإشاعة المنازعات المسلحة. مما يعطي الدولة الحق في التدخل فيما بينها لصالح الامارة التي تؤيدها أو لصالح الامارة الاضعف على الاغلب، بهدف اضعاف الامارة الكوردية التي شهدت بعض التطور أو نجحت في توسيع نفوذها. ومن الامثلة البارزة على ذلك محاولة الدولة العثمانية الإيقاع بين إمارتي (زرزا)[٩] و سوران، حيث أوفد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) لهذا الغرض من يقنع زرزا بالانضواء تحت اللواء العثماني ومحاربة الامير السوراني سليمان بك[١٠]. وبعد ان تأكد السلطان من ولائهم أرسل اليهم الاسلحة والذخائر، مما دفعهم الى التجاوز على الاملاك السورانية. فالتقى بهم الامير السوراني عند جبال (سيدەكان) فدارت رحى معركة عنيفة استمرت يومين لتنتهي بانتصار أمير سوران وانهزام الزرزائيين الى معقلهم الكائن في مدينة شنو (اشنويه)[١١]. بعد وقوع خمس مئة من رجالهم في الاسر وكان بينهم أمير لواء عثماني، مما يعطينا الدليل على ان الدولة العثمانية كانت لها مشاركة فعلية في ذلك الحدث[١٢].

وفي بعض الاحيان كانت الدولة العثمانية لا تتدخل في الاحداث مباشرة – في البداية على الاقل- بل تكتفي بالعمل من وراء الكواليس. وبالاخص عندما تثور امارة كوردية على حكمها، اذ تكلف الدولة حينئذ الامارات الكوردية الاخرى بقمع ثورتها. فعندما رفضت امارة بابان في عهد أميرها سليم باشا[١٣] الاعتراف بالسيادة العثمانية مدعمة في ذلك بتأييد نادر شاه

---

(٩) امارة عشائرية تشكلت من قبل قبيلة زرزا التي كانت تسكن في منطقة موكريان الواقعة في شرقي كوردستان. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص١٥.

(١٠) هو ابن (قلي بك السوراني) أغتصب الحكم من أخيه (بوداق بك). توجه في حملة عسكرية الى ايران بعد انتصاره على الزرزائيين وأغار على بعض مناطقها سنة ١٥٨٦. ينظر: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٤٤.

(١١) مدينة كوردية في شرقي كوردستان، وتقع حالياً في جنوبي ولاية آذربيجان الايرانية.

(١٢) زبير بلال اسماعيل، اربيل في ادوارها التاريخية، النجف ١٩٧١، ص٢٧١.

(١٣) اشتهر بعدم خضوعه للدولة العثمانية مستنداً في ذلك الى الدعم الايراني، مات في بغداد بمؤامرة من (عادله خانم) ابنة الوالي احمد باشا بن حسن باشا. كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق، ت: د. محمود حسين، بغداد (د. س)، ص٦١.

(١٧٣٦-١٧٤٧م)[١٤] الذي كان يقود في تلك الفترة حملة ايرانية واسعة النطاق على المناطق التابعة للدولة العثمانية، قام المسؤولون العثمانيون بتحريض أحمد خان بن سبحان ويردي (وهو الامير الاردلاني اللاجيء لديهم)[١٥] ليحارب سليم باشا. واجتمع لديه ثمانية آلاف مقاتل من الكورد عندما طلب منهم باسم السلطان المشاركة في حملته. وعندما علم سليم باشا بالامر سار نحوه والتقى الطرفان قرب الموصل في سنة ١٧٤٥، فدارت معركة استمرت ثلاثة ايام ادت الى هزيمة احمد خان وانتصار سليم باشا[١٦]، وعندما أراد والي بغداد على باشا محاربة أمير بادينان في عام ١٨٠٥ أرسل اليه قوات بابان مع مقاتلي الحاكم السوراني في كويه[١٧].

وفي احيان اخرى كانت الدولة العثمانية تستخدم بعض الامارات الكوردية لأخضاع الامارات الاخرى التي لم تدخل ضمن السيادة العثمانية، فقد أصدرت السلطات العثمانية أوامرها لأمير بادينان سلطان حسين بك ليقاتل أمارة اردلان التي كانت ترفض النفوذ العثماني[١٨]. كما حارب كل من سلطان حسين بك المذكور وزينل بك (أمير هكاري) مع زعماء امارة برادوست بأمر من السلطان سليمان القانوني امارة موكرياني التي رفضت الخضوع للسيادة العثمانية في عام ١٥٤٣. وكانت النتيجة مقتل الابناء الثلاثة للامير رستم بن بابا عمر الموكرياني[١٩].

ومن السبل الاخرى التي انتهجوا فيها سياسة (فرق تسد) السالفة الذكر محاولة هدم البنية السياسية للامارات الكوردية بخلق اسباب الشقاق داخل الامارة الكوردية الواحدة. وخاصة في مسألة تولية منصب الامارة. وذلك عندما كانوا يعمدون الى تنصيب أميرين علي امارة واحدة

---

(١٤) من شاهات ايران العظام في التاريخ الحديث، تمكن من انهاء الحكم الافغاني في ايران واسس الدولة الافشارية فيها عندما توج شاهاً في عام ١٧٣٦م. حول سيرته و عهده ينظر: ميرزا مهدي خان استرابادي، جهانكشاي نادرى.

(١٥) كان قد تولى الحكم في امارة اردلان بعد ان خلع نادرشاه أباه على الامارة ولكن حدث بينه وبين نادرشاه مشاكل اضطر الى اللجوء الى الدولة العثمانية في عام ١٧٤٢. شرفخان البدليسي، م. س، ح ص ١٢٣.

(١٦) حسين حزنى موكريانى، ميَژووى كورد و نادرشاه له خاكى ئيَرانا، رەزاندوز ١٩٣٤، ل٦٠.

(١٧) ياسين بن خيرالله العمري، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل ١٩٤٠، ص٦٨. وحول نتائج تلك الحملة يراجع نفس المصدر.

(١٨) ينظر موضوع (الموقف من امارة اردلان) في الفصل السابق.

(١٩) محمد جميل رۆژبەيانى، فەرمانڕەوايى موكريان، بەغدا ١٩٩٢، ل٤٧.

في وقت واحد. ومما كان يزيد الامر سوءاً ان هذين الاميرين المعنيين كانا غالباً ممن يناصبان بعضهما البعض العداء، وذلك ليزيدوا من هوة الشقاق والعداء بينهما. اذ كان من المؤكد أن هذين الاميرين سيعملان على ازاحة احدهما الآخر، وتنعكس الآية على الامارة فينحل كيانها السياسي والاقتصادي، وبذلك يتسنى للدولة العثمانية ان تفرض المزيد من السلطة والنفوذ عليها، وقد تنهار تلك الامارة نهائياً فتستولي الدولة على ممتلكاتها.

لقد كانت امارة بابان مثالاً واضحاً لتلك السياسة العثمانية، وذلك لكثرة مواقفها المناوئة للحكم العثماني. حيث ان تاريخ تلك الامارة مليء بالحروب الاهلية بين الامراء البابانيين الطامعين في السلطة، ويمكن القول ان نسبة كبيرة من تلك الحروب كانت بتأثير سياسة (فرق تسد) العثمانية التي كانت سلاحاً فعالاً للحد من طموحات امراء بابان وحركاتهم المضادة للسلطات العثمانية[٢٠]. ففي عهد السلطان سليمان القانوني حدث مايؤيد ذلك، حيث لم تمض على تنصيب الامير بوداق بك[٢١] على امارة بابان فترة طويلة من الزمن حتى ظهر له منافس في الحكم وهو الامير حسين بك بن الامير سليمان[٢٢]، الذي التقى بقواته البالغة عددها ثمانية الاف مقاتل منافسه الامير بوداق، وحينما ادرك ان التفويض الرسمي الذي يتمتع به الأخير فيه الشرعية ما يكفي لرجحان الكفة لصالحه، سافر على عجل والمعركة في بدايتها وحصل بالوساطة على تفويض عثماني بحكم امارة بابان أيضاً، على ان يتولاه بالمشاركة مع الامير بوداق. وكان من البديهي ان ينشأ النزاع بينهما، وقد حدث ذلك فعلاً وادى الى مقتل الامير حسين وتفرد الامير بوداق بالحكم. وقد أثار الحادث غضب المسؤولين العثمانيين فحاولوا الانتقام منه، ولكنهم غضوا الطرف عنه أخيراً عندما توسط له (الأمير البادينى سلطان حسين بك الذي كان له منزلة رفيعة في الاستانة[٢٣].

---

(٢٠) للوقوف على تلك الحوادث في امارة بابان ينظر: حسين ناظم بيگ، تاريخ الامارة البابانية، ت: شكور مصطفى ومحمد الملا عبدالكريم المدرس، هەولێر ٢٠٠١.

(٢١) حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير....، ج١، ص١٣٨.

(٢٢) هو ابن الامير سليمان الذي كان أميراً على بابان في الربع الاول من القرن السادس عشر. شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٩٢.

(٢٣) م. ن، ص٢٩٣. محمد امين زكى، تاريخى ولاتى سليمانى، ل٤٠-٤١.

وسارع والي بغداد كذلك الى اغتنام الفرصة عندما نشب النزاع بين اسماعيل باشا أمير بادينان (١٧٦٨-١٧٩٨) ومنافسه بيرام بك حول منصب الامارة، وذلك في عام ١٧٦٩، فعندما التجأ الاخير الى بغداد للحصول على المساعدة، أصدر الوالي قراراً بتعيينه أميراً على بادينان، محاولاً فرض ذلك القرار بالقوة على اسماعيل باشا، ولكنه لم يفلح في مسعاه[٢٤]،رغم المساندة العسكرية التي قدمها الامير الباباني والتأييد الذي حصل عليه من قبل بعض العناصر الكوردية البادينية[٢٥] . وفي عام ١٦٧٩ ارسل الصدر الاعظم العثماني (مصطفى باشا) رسالة الى أحد افراد الاسرة الحاكمة في إمارة (پالو) وهو (ينصور بك) الذي كان يقيم في دياربكر، ليحرضه على المطالبة بحكم امارة پالو. وذلك في الوقت الذي كان المذكور مقتنعاً بوضعه، ولم تكن هناك أية منافسة بينه وبين أخيه الامير (محمد قوجور بك). ولحسن حظ الاميرين والامارة وأهلها تمت المسألة بدون نزاع[٢٦]. وهناك الكثير من الامثلة الاخرى على ذلك،[٢٧]الا اننا نكتفي بهذا القدر لتجنب الاسهاب في الموضوع.

ولم تكن السلطات العثمانية تنتظر طويلاً حتى يظهر منافس للامير الذي تبغي محاربته أو إزاحته، ففي حالة عدم وجود المنافس المنتظر تعمد الى ايجاده، وذلك باثارة الشخصيات البارزة في الامارة أو أقارب الامير وحتى اخوانه وابنائه ضده. عن طريق اظهار المنافع المادية أو التلويح بمنصب الامارة لهم مستغلة في ذلك حب الجاه والسلطة لديهم[٢٨].وكانت تلك السياسة واضحة الى درجة لاحظها المقيمين الاجانب في المنطقة.[٢٩]

---

(٢٤) دومنيكولانزا، الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكولانزا، ت: القس روفائيل بيداود، ط٢، الموصل ١٩٥٣. ص٦٣.

(٢٥)أنور المائي، م.س ،ص١٤١.

(٢٦) شەمعي، ذەیلی شەرەفنامە (مێژووی حاكمانی ئەگیل و پالو دوای شەرەفنامە) لە كتێبی: دوو ذەیلی شەرەفنامەی بدلیسیی، ئامادەكردنی: ئەنوەر سولتانی، سلێمانی ٢٠٠٥، ل٦٣.

(٢٧)حول بعض تلك الامثلة يراجع: هـ. س، ل٥٣ وكذلك: شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٠٥-٢٠٦ وعباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٤، ص٢٥٤.

(٢٨) صديق الدملوجي، م. س، ص٣٤. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٣٩.

(٢٩) كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠، ت: بهاءالدين نوري، ج١، بغداد ١٩٥١، ص٢٢٤.

ومن النماذج البارزة عن تلك السياسة ما قام بـه السلطات العثمانيـة ضد الامير البـاديني بارام باشا[٣٠] الذي كان معروفاً بمواقفه الحازمة ازاء نفوذ الولايات العثمانية المجاورة، إذ ((ناصبته الحكومة العثمانية العداء عدة مرات، واثارت ضده أقاربه ومرؤوسيه ونصبت لـه الفخاخ للقبض عليه. الا انه بدهائه تمكن من الافلات والاعتصام بمدينته الحصينة غير آبه بالأعـداء)) كمـا يـذكر أحد المعاصرين لتلك الاحداث[٣١]. وقد غضب والي بغداد أحمد باشا[٣٢] على الامير المذكور حين لم يكن يبالي به وكان يراجع في شؤونه دوائر الاستانة مباشرة[٣٣]. فعمد الـوالي الى تحريض أحد ابناء عمومته وهو المدعو (آلي خان بك) على معارضته ووعده بأن يعينه أميراً على بادينان فقرر الأخير الامتثال لذلك الاغراء والقيام في وجه بارام باشا مستمداً القوة والمال من الوالي احمد باشا، الا انه لم يفلح في بلوغ غايته الا قليلاً[٣٤].

وفي اغلب الاحيان كانت الدولة العثمانية تتدخل مباشرة لـصالح الجانب الـذي تؤيـده، كما في الحادثة السابقة، حيث تدخل أحمد باشا بعد ذلك وارسل كهيتـه[٣٥] على رأس قـوة كـبيرة لمناصـرة آلي خان بك، بحجة ان بارام باشا يريد أن يتمرد على الدولة العثمانية، فحاصروا قلعة آميـدي مـدة من الزمن، ولكن بارام باشا صمد أمام الحصار. ولما رأى الكهية انه لا يتمكن من الاستيلاء على القلعة، وكانت عشائر بادينان تهاجم قواته باستمرار كما نفذت منهم الـذخائر. أضطر حينئـذ الى

---

(٣٠) انه الامير بارام باشا المعروف بالكبير والذي انعمت بادينان في عهده بفترة ازدهار طويلة نسبياً، اذ حكم الامارة فيما بين سنتي (١٧١٤-١٧٦٨) ينظر: سعدي عثمان، م. س، ص١٤٨-١٤٩.

(٣١) دومنيكولانزا، م. س، ح ص٦٢.

(٣٢) كان والياً على بغداد فيما بين (١٧٢٤-١٧٤٧) توفي بالمرض الذي اصاب جيشه اثناء محاصرته للامير سليم باشا الباباني، وذلك عندما كان يعود الى بغداد. عثمان بن سند، م. س، ص١٧٨.

(٣٣) كان لوالي بغداد نفوذ على سائر ولايات العراق الحالي في تلك الفترة، اذ كانت الامـارات الجنوبيـة تابعـة لنفوذ ولاية بغداد ولا ترتبط بالسلطة المركزيـة مباشرة. حـول طبيعـة الادارة العثمانيـة في كوردستان يراجع: سعدي عثمان، م. س، الفصل الاول.

(٣٤) انور المائي، م. س، ص١٥٣-١٥٤.

(٣٥) الكهية: الموظف الكبير في الولاية، ثم أصبحت تعني المسؤول الاول في حكومة الولاية، أي نائب الـوالي. فيصل الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، الموصل ١٩٧٥، ح ص٢١.

مفاوضته على الصلح واتفقوا على ان يعين آلي خان بك حاكماً على دهوك التابعة لامارة بادينان، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[٣٦].

أ- الاهداف المتوخاه من سياسة (فرق تسد):

كان المسؤولون العثمانيون يرمون الى تحقيق منافع عدة من وراء سياسة فرق تسد المذكورة. وفي مقدمتها اضعاف الكيانات السياسية في كوردستان جراء استمرار النزاعات بينها واشغال الامارات والزعامات الكوردية بالمشاكل الداخلية. والحيلولة دون توسيع نفوذها وتوحيد كلمتها. مما يؤدي الى منع بروز قوى كوردية محلية كبرى قادرة على الوقوف على قدميها ومناوءة النفوذ العثماني في كوردستان. وبالاضافة الى محاولة الهاء تلك الامارات عن القيام بواجباتها الاساسية في فرض النظام وتطوير النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، مما قد يساعد على تطوير القوى السياسية والبنية التحتية في كوردستان.

وكان هدف العثمانيين الآخر هو الحصول على منافع مالية، فكثيراً ما كانوا يتقاضون مبالغ كبيرة من المال من الامراء الكورد الطامعين في الحصول على منصب الامارة لقاء تفويضهم رسمياً بالمنصب المنشود، أو لقاء التوسط لهم لدى دوائر الاستانة[٣٧].

ولاننسى ان طريقة ضرب الامارات الكوردية بعضها ببعض دون تدخل عثماني مباشر كانت أقل كلفة من الناحية المادية أيضاً، إذ تجنب الدولة تلك التكاليف المادية والبشرية التي قد تبذلها عند محاولة تأديب امارة كوردية ثائرة.

وكان العثمانيون قد استفادوا كثيراً من بعض نقاط الضعف الكامنة في كردستان نفسها لتنفيذ سياستهم المذكورة، منها حالة كردستان السياسية المتمثلة في انقسامها الى مجموعة امارات اقطاعية وزعامات عشائرية متنافرة ومتناخرة. حيث كانت النزاعات القائمة بسبب محاولة الحصول على المزيد من الامتيازات الاقطاعية أو الحفاظ على مناصبهم ازاء الخصم في بعض الاحوال يصبح دافعاً قوياً يدفعهم الى الاستعانة بالدول المجاورة[٣٨]، التي تنتظر تلك

(٣٦) انور المائي، م. س، ص١٥٤.

(٣٧) صديق الدملوجي، م. س، ص٣٤. انور المائي، م. س، ص١٥٤.

(٣٨) جان مالكم، تاريخ ايران، ت: علي رضا الشيرازي، هندستان ١٣٢٣هـ، ج٢، ص١١٠.

الفرصة. وساعد على ذلك عدم نضوج الشعور القومي في المنطقة بشكل عام وفي كوردستان بشكل خاص، مما ادى الى عدم وجود قوة محلية رشيدة تتفهم المصلحة القومية وتحاول الحفاظ عليها.

اضافةً الى ذلك فقد استغل العثمانيون حب السلطة والرئاسة الكامن في نفس الانسان لتنفيذ سياسة (فرق تسد) المذكورة، فكثيراً ما كانوا يثيرون الاخ ضد أخيه والابن ضد أبيه حينما كانوا يعدونهم بالمناصب السيادية المهمة.

ب- الوعي الكوردي لهذه السياسة:

لم تكن السياسة المذكورة خافية عن الامراء الكورد وأولي الامر في كوردستان، ولاسيما في العهود الاخيرة، حيث يروي المقيم البريطاني في بغداد (كلوديوس جيمس ريج) حادثة تؤيد ذلك وقعت في السليمانية اثناء زيارته لها في عام ١٨٢٠ فيذكر: ((عندما قرر محمود باشا[٣٩] في نهاية الامر وقبل زمن قصير الاستسلام للاتراك ذهب بصحبة عمه عبدالله باشا وأخويه عثمان و سليمان[٤٠] الى الشيخ خالد رجل السليمانية [هو مولانا خالد النقشبندي][٤١]، واقسم هؤلاء الثلاثة يمين الولاء لمحمود باشا... واقسموا على السيف والقرآن وبالطلاق بأنه اذا تلقى أي منهم كتاباً من تركية أو ايران[٤٢] فانه يفتحه في دار الشيخ خالد وبحضور من اتفق على ذلك كلهم...))[٤٣]. ومن البديهي ان يكون اتخاذ ذلك الحذر نابعاً من الوعي لهذه السياسة العثمانية. ويذكر ريج في مكان آخر على لسان أحد الحاضرين في مجلس حضره ريج في السليمانية خلال رحلته اليها قائلاً: ((ان في تحاسد أمرائنا دمارهم، فليس للاتراك ولا للايرانيين حول في ايذائنا الا

---

(٣٩) هو ابن الامير عبدالرحمن باشا بابان، حول ترجمته ينظر: محمد امين زكي، تاريخى ولأتى سليّمانى، ل١٣١ و دواتر.

(٤٠) من المرجح ان الباشا كان يعتقد بان هؤلاء هم الذين يحاول العثمانيون والايرانيون إشارتهم ضده، لأنهم كانوا الاعضاء البارزين في اسرة بابان آنذاك.

(٤١) مؤسس الطريقة النقشبندية في كوردستان والشرق الاوسط، حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٩١-١٩٣.

(٤٢) يتبين من هذا بان الحكومة القاجارية كانت ايضاً تحاول انتهاج نفس السياسة في كوردستان.

(٤٣) رحلة ريج...، ص١٠٣.

باستغلالهم انشقاقنا والمنافسة العائلية القائمة بين رؤسائنا، اننا نعلم هذا وبالرغم من ذلك ينجح الاتراك على الدوام... في التغلب علينا))[٤٤]. ويدل ذلك على ان اشخاصاً من عامة الناس ايضاً كان لهم علم بسياسة (فرق تسد) التي كانت تنتهج ضد الكورد. وكان بين الشعراء ايضاً من لهم المام بذلك الجانب، اذ نجد الشاعر احمدي خاني يتنبه لحالة التفرقة القائمة بين الكورد ويعدّها سبباً لتخلفهم وخضوعهم للاقوام المجاورة حين يقول:

لەو پیگڤە هەمیشە بیٚ تفاقن	دائــم بە تمـرد وشقـاقــن
گەردی هـــەبوا مــە اتفاقـــەك	ڤیكرا بـكرا مە انقیـادەك
روم و عرب و عـەجەم تەماهی	هەمیا ژمەرا دەكر غولامی[٤٥]

اي(ولكنهم [أي/ الكورد] مختلفون على الدوام، وهم دائمو التنافر والشقاق، ولكننا لو اتفقنا واصبح لنا قائد واحد لأصبح الترك والعرب والفرس بمثابة خدمٌ لنا.

ثانياً: التدخل العثماني في الشؤون الداخلية الكوردية:

كان الاتفاق الكوردي العثماني الذي نظم علاقات الدولة العثمانية بالامارات الكوردية قد أحتوى بعض الامتيازات لصالح تلك الامارات، حيث كان الاتفاق المذكور ينص على الحفاظ على حرية واستقلال الامارات الكوردية استقلالاً ذاتياً. كما نص على الحقوق الوراثية للامراء الكورد في حكم اماراتهم[٤٦]. واستناداً الى ذلك تمتعت الامارات الكوردية بحالة شبه استقلال عن الدولة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بالشؤون الداخلية. حيث احتفظت باداراتها المحلية السابقة، واستمرت في حكم مناطقها، ولم ترتبط بالحكومة المركزية الا برابطة الولاء الاسمي، وتقديم الالتزامات المالية والعسكرية لها. وظل ذلك الاستقلال الداخلي معترفاً به رسمياً من قبل الدولة العثمانية في الفترات اللاحقة أيضاً. حيث تمدنا كتب الرحالة والسياح الذين زاروا كوردستان خلال تلك الفترات بمعلومات تبرهن على ذلك. فقد دون الرحالة الايطالي (پترو ديلاڤال) في عام ١٦١٦ مايأتي: ((ان أمير بدليس [الامير شمس الدين بن شرفخان] الذي لقيته

---

(٤٤) م. ن، ص٦٣.

(٤٥) ئەحمەدی خانی، س. پ، ل٣٥.

(٤٦) يراجع بنود الاتفاق في الفصل السابق.

في استانبول هو من اولئك الامراء الكورد ذوي السلطة والشهرة الذين استقلوا عن السيادة التركية والفارسية))[٤٧]. أما السائح العثماني أولياچلبي الذي زار كوردستان في الربع الثالث من القرن السابع عشر فقد دون في كتابه (سياحتنامه) الكثير من الملاحظات التي تشير الى ذلك. فعندما يأتي الى وصف قلعة (أگيل) يقول: ((الا ان أميرها ليس أميراً عثمانياً ولا يمكن عزله، واذا مات الامير يرثه ابنه في منصبه لأنها حكومة مستقلة))[٤٨]. وفي وصف مدينة بدليس يذكر: ((عندما اطاع أمير بدليس السلطان سليمان أصبحت بدليس حكومة مستقلة...))[٤٩]. أما الرحالة نيبور الذي جاء الى كوردستان في عام ١٧٦٦ فيصرح بان ((الاكراد... لا يرضون ان يعين عليهم الباشا [والي بغداد] حاكماً تركياً، فهم يصرون على ان يترأسهم أحد رؤسائهم))[٥٠] ويذكر الرحالة البريطاني بيكنغهام في عام ١٨١٦: ((ان نفوذه الحقيقي [والي بغداد] لايتجاوز بعيداً ولاسيما في الشرق والغرب حيث يتحدى رؤساء الاكراد... المستقلون سلطانه في تلك الانحاء))[٥١].

الا ان السلطات العثمانية لم تهضم ذلك الاستقلال الداخلي الذي لم يترك مجالاً يذكر للدولة العثمانية لتمارس سلطاتها الفعلية في كوردستان[٥٢]، وتسخرها لخدمة اغراضها السياسية والعسكرية والاقتصادية. ولذلك كان العثمانيون يتدخلون في الشؤون الداخلية للامارات والزعامات الكوردية كلما سنحت لهم الفرصة أو أقتضت مصالحهم ذلك. اذ كانوا يخلقون المعاذير المختلفة ليتسنى لهم تنفيذ مآربهم في كوردستان دون ان يمنعهم الاعتراف العثماني السابق بالاستقلال الداخلي لتلك الامارات. وكانت تلك التدخلات تأخذ اشكالاً أو سبلاً عدة كما سنأتي على ذكر تفاصيلها فيما يأتي:

---

(٤٧) شوكور مستەفا، كورد و كوردستان لەنیگای چەند گەریدەیەکی رۆژئاواییەوە، گۆڤاری کۆڕی زانیاری عیراق (دەستەی کورد) بەرگی (٨)، بەغدا ١٩٨٠، ل١٣٩-١٤٠.

(٤٨) سیاحەتنامەی ئەولیاچەلەبی...، ل٢٨.

(٤٩) هـ، س. ل١٠٥.

(٥٠) رحلة نيبور...، ص٧٣.

(٥١) رحلتي الى العراق...، ص٢٠٢.

(٥٢) ستيفن لونكريك...، م. س، ص٣٣-٣٤.

أ- تعيين الامراء الكورد وعزلهم:

كان التدخل في مسألة منصب الامارة أحد أوجه التدخل العثماني في شؤون الامارات الكوردية الداخلية ، وذلك بمحاولة عزل من يرغب العثمانيون عزله من الامراء وتنصيب الموالين لهم. مستغلين في ذلك ضرورة الاعتراف العثماني بالامير الجديد ليأخذ حكمه طابعاً رسمياً، حسبما جاء في الاتفاق الكوردي العثماني. ولكن المسؤولين العثمانيين استغلوا ذلك الى حد بعيد. فوفقاً لأحد بنود الاتفاق المذكور يجب انتقال الحكم عند خلوه من شاغله من الاب الى ابنائه الذكور، أو يتصرف به حسب القواعد المحلية ثم يصدر فرمان سلطاني اعترافاً بذلك. ويدل ذلك على ان السلطات العثمانية لم تكن لها أية سلطة في مسألة تعيين الامير الجديد على الامارة الكوردية، بل كانت عليها ان تصدر فرماناً رسمياً بتنصيب الامير الجديد الذي رشح حسب التقاليد المتبعة في الامارة المعنية فحسب. وبالقاء نظرة سريعة على تاريخ الامارات الكوردية في العهد العثماني يمكن العثور على الكثير من الامثلة التي طبقت فيها هذه القاعدة . حيث جاء في الشرفنامه في مسألة تبوأ الامير محمود بن سلطان أحمد[٥٣] منصب امارة خيزان مايأتي: ((بعد ان توفي أخوه... تمكن بأجماع الآراء من عشائر نميري وبموجب الارادة الصادرة من ديوان السلطان... من تقلد زمام الحكم على خيزان))[٥٤] وعندما ياتي الى ذكر امارة هكاري يقول شرفخان: ((ثم نزل زينل بك لابنه سيدي خان عن حكومة هكاري واستصدر من الديوان السلطاني العهد بأسمه...))[٥٥]. يجدر بالذكر أن اوامر عزل ونصب حكام الامارات الكوردية كانت منوطة بالصدر الاعظم أو السلطان العثماني نفسه خلال الحقب الاولى من الحكم العثماني كما رأينا في المثالين السابقين[٥٦]. ولكن تلك السلطة قد أعطيت فيما بعد الى ولاة الولايات العثمانية الكبرى (مثل بغداد و دياربكر)، اذ تم تخويل حكام تلك الولايات صلاحية عزل ونصب امراء الامارات الكوردية التابعة ادارياً لولايتهم كما سيظهر في الصفحات اللاحقة.

---

(٥٣) كان أميراً على امارة خيزان خلال سنتي ١٥٨٣-١٥٨٤، شارك في حرب عام ١٥٨٤ الى جانب العثمانيين ضد الدولة الصفوية وقتل اثنائها. شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٢٥.

(٥٤) شرفخان البدليسي، م. س، ص٢٢٥.

(٥٥) م. ن، ص١٣٤.

(٥٦) وانظر أيضاً: شەمعی، س. پ، له: ئەنوەر سولتانی، س. پ، ل٣٥، ٤٠، ٥٣، ٦٠. عباس العزاوي، العمادية...، ص٣٨.

ولكن السلطات العثمانية لم تكن تمتلك في الواقع حق عزل الامراء الكورد حقاً مطلقاً. فيذكر (اولياجلبى) بصدد ذلك: ((لا يمكن تعيين وعزل هؤلاء الامراء [يقصد بهم امراء الحكومات الكوردية ضمن إيالة دياربكر] الا في حالة واحدة وهي عدم اشتراكهم في الحروب التي يدعون الى الاشتراك فيها))[٥٧]. ولكن المسؤولين العثمانيين استغلوا ذلك الامتياز الذي اعترف الامراء الكورد به لهم كما اسلفنا، بل تطور بهم الامر حتى أصبحت السلطات العثمانية صاحبة السلطة المطلقة في تعيين وعزل الامراء الكورد. وكانوا يرمون من وراء ذلك الى احكام قبضتهم السياسية على كوردستان شيئاً فشيئاً، وذلك بالطرق التالية:

١- إبعاد الامراء الكورد الذين يناوئون السيادة العثمانية على اماراتهم ويعملون في سبيل ذلك عن طريق الحركات العسكرية أو ((التمرد والعصيان)) كما كانت تسميها الدولة العثمانية[٥٨]. ويمكننا العثور على امثلة كثيرة حول تلك المحاولات في تاريخ الامارات الكوردية خلال الفترة المعنية بهذه الدراسة. الا ان أبرز نموذج عن هذه المحاولة ما قام به احمد باشا والي بغداد (١٧٢٤-١٧٤٧) في سنة ١٧٤٧ ضد سليم باشا بابان الذي كان قد رفض السيادة العثمانية على امارة بابان وقطع علاقاته بالدولة العثمانية، ووقف موقفاً معادياً منها بالاستناد الى دعم نادرشاه له، حيث توجه احمد باشا على رأس حملة عسكرية الى امارة بابان، وعندما رأي سليم باشا عدم قدرته على ملاقاة الجيش الزاحف بادر الى التحصن في قلعة (سروچك). وفرض جيش والي بغداد الحصار عليه، وعندما طال أمد الحصار انتشر الوباء بينهم حتى وصل الى احمد باشا نفسه. ولكن في الجهة المقابلة اضطر سليم باشا الى ارسال ابنه الى احمد باشا ليعرض عليه قطع علاقاته بايران مقابل نيل العفو من الوالي، فوافق الاخير وانسحب الى بغداد التي لم يبلغها حياً، حيث مات في الطريق جراء المرض الذي أصيب به[٥٩].

٢- ضرب الامراء الذين لهم طموحات سياسية لاتتناسب مع المصالح العثمانية، ونقصد بذلك مبادرتهم الى توسيع نفوذ اماراتهم أو محاولة بناء قوة اقليمية قد تهدد السيادة العثمانية

---

(٥٧) سياحةتنامه...، ل٣٥.

(٥٨) رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، بيروت (د. ت)، ص٢١٦. نظمي زادة ، م. س، ص٣٣٠. عثمان بن سند، م. س، ص٣٦.

(٥٩) رسول الكركوكلي، م. س، ص٩٤. حسين ناظم بيگ، م. س، ص١٠٣-١٠٤.

في المنطقة[٦٠]. وخير نموذج على ذلك هو الامير بدرخان باشا البوتاني الذي وسع نفوذه حتى امتد الى مناطق وان و مهاباد و راوندوز و الموصل وسعى الى الاستقلال، فأدركت السلطات العثمانية خطورة تلك التطورات عليها وعملت على القضاء عليه[٦١].

٣- تنصيب الامراء الموالين للدولة العثمانية، والذين يدينون في هذه الحالة بولاءهم الى السلطات العثمانية، فيخضعون لها خضوعاً تاماً، ويتجنبون الاعمال التي تنافي مصالحها. فعندما لم يشترك الامير البابانى ابراهيم باشا[٦٢] في عام ١٧٨٦ الى جانب والي بغداد لقمع حركة عشائر المنتفك[٦٣]، أمر الوالي بعزله وعين مكانه الامير عثمان باشا الذي راح يسعى الى تلبية الطلب فشارك بالقوات البابانية في الحملة المذكورة[٦٤].

وبالاضافة الى دافع تقوية السلطات العثمانية السياسية في كوردستان كانت هناك دوافع اخرى وراء عملية عزل وتعيين الامراء الكورد من قبل المسؤولين العثمانيين. وخاصة مسألة المنافع المادية، حيث كانت الرشاوي ودفع الاموال والهدايا التي كانت ترسل الى المسؤولين العثمانيين تفعل فعلها في عزل الامير الكوردي عن امارته وتولية من دفع تلك الاتاوات. يذكر الرحالة نيبور بصدد تعيين امراء بابان مانصه: ((فان الباشا في بغداد يعين دائماً من هذه الاسرة [اسرة بابان] ولكن من يقدم له اكثر مالاً من الآخر))[٦٥]. ويدون العزاوي في هذا المجال أن ((الوزير [والي بغداد] أتخذ بابان مأكلاً وناصراً فريقاً مرة، ثم آخر مرة أخرى، وحال الاهلين في ارضاء الوزير تعد مصيبة، اتخذهم جنداً له، واعتبرهم مأكلاً ومستغلاً عظيماً لسد جشعه))[٦٦]. وفي امارة هكاري لم يتمكن

---

(٦٠) د. كاوس قەفتان، چەند لێکۆڵینەوەیەك لە مێژووی بابان، سۆران، بۆتان، بەغدا ١٩٨٥، ل٣٥.

(٦١) بلەج شيركو، س. پ، ل٤٠-٤٣. كريس كوچيرا، مێژووی كورد لە سەدەی (١٩-٢٠)دا، و: محمد ربانی، تاران ١٣٦٩ هەتاوی، ل٤٣-٤٦.

(٦٢) هو باني مدينة السليمانية، وحول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٥٦.

(٦٣) حول هذه العشائر يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ المنتفق، ت: محمد خلوصي الناصري، بغداد ١٩٦١.

(٦٤) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٨٧. محمدامين زكي، تـاريخی ولآتـی سـلێمانی، ل٩٢-٩٣. جمـال بابـان، سلێمانی شارە گەشاوەکەم، ب١، بەغدا ١٩٩٢، ل٧٠.

(٦٥) رحلة نيبور...، ص٧٤.

(٦٦) شهرزور...، ص١٩٤.

(زكريا بك)[٦٧] الذي كان وارثاً شرعياً للامارة من استرجاع منصبه الا بعد ان دفع مبلغ مئة الف فلوري للمسؤولين العثمانيين[٦٨]. كما ان الامير (عزيز بن كاك محمد)[٦٩] قد حصل على دعم القائد العثماني (فرهاد باشا)[٧٠] ليحصل على امارة بوتان عندما وعده بمبلغ (١١٢) الف فلوري. وقد تم له ما اراده فعلاً حتى ان فرهاد باشا قام بقتل منافسه الامير ناصر بن خان ابدال[٧١]، ليزيل العقبات امام بلوغه المنصب المنشود[٧٢].

أما الدافع الآخر فكان مسألة الوساطة الشخصية والصداقة والتقرب من المسؤولين، حيث كانت هناك حالات عزل وتعيين لعبت الصداقة الشخصية دوراً بارزاً فيها. فقد عين عمر باشا والي بغداد (١٧٦٤-١٧٧٥) الامير سليمان باشا[٧٣] على امارة بابان لما بينهما من صداقة سابقة، وذلك بعد ان عزل احمد باشا بابان في عام ١٧٦٣[٧٤]. كما عزل المسؤولون العثمانيون الامير مصطفى بك عن امارة پالو في عام ١٦٨٤ رغم خدماته الجليلة اثناء الحرب العثمانية الروسية، وذلك لترضيه طموحات ابن أخيه (قاسم بك) الذي تقرب من اولئك المسؤولين[٧٥].

والى جانب كل ذلك كانت هناك حالات كثيرة اخرى تم فيها عزل الامير الكوردي عن امارته الوراثية دون وجود أية عوامل تذكر. فقد تبادل الاميران ابراهيم بك و ذوالفقار بك حكم

---

(٦٧) كان اميراً على امارة هكاري في الربع الاخير من القرن السادس عشر ولكن العثمانيين قاموا بعزله وعهدوا بالامارة الى أخيه زاهد بك، ونشب النزاع بينهما حول منصب الامارة. للمزيد من التفاصيل ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٣٥.

(٦٨) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٩٩.

(٦٩) حول ترجمته ينظر: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٦١-١٦٢.

(٧٠) كان قائداً للقوات العثمانية في الشرق في الربع الاخير من القرن السادس عشر. ستيفن لونكريك، م. س، ص٤٦.

(٧١) أنه أحد الامراء البوتانيين من اسرة العزيزان، نافس الامير عزيز على منصب الامارة وكان يستند على دعم عشائر بوتان له. شرفخان البدليسي، م. س، ص١٦١-١٦٢.

(٧٢) م. ن، ص١٦١-١٦٢.

(٧٣) حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٢٤٠-٢٤١.

(٧٤) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٤٦. حسين ناظم بيگ، م. س، ص١١٦-١١٧.

(٧٥) شەمعی، س. پ، لە: ئەنوەر سولتانی، س. پ، ل٤٠.

امارة (پالو) ثماني مرات خلال عقد واحد من الزمن وهو في أربعينات القرن السابع عشر. اذ لم يكن أحدهما يستقر في الحكم حتى يبادر الآخر الى الذهاب الى الاستانة فيحصل على تفويض جديد بالامارة. ولم يتخذ المسؤولون العثمانيون موقفاً حازماً من هذه المنافسة القائمة بين الاميرين المذكورين[٧٦].

وكان العثمانيون يتذرعون في اعمالهم هذه بحجج شتى تكاد تكون أغلبها حججاً واهية اختلقوها لتنفيذ مآربهم[٧٧]. ففي بعض المرات كانوا يتهمون الامير الكوردي المراد تنحيته بالخيانة والاتصال بالدولة الايرانية. فعندما ارادوا إبعاد شرفخان عن امارة بدليس في عام ١٥٣٠ اتهموه بالخيانة والاتصال بالشاه طهماسب الاول الصفوي[٧٨]، و ذلك في الوقت الذي لم يستنجد المذكور بالشاه طهماسب الابعد ان تم تهديد مركزه في امارته من قبل العثمانيين[٧٩]. كما اتهموا الامير السوراني (عزالدين شير) بهذه التهمة أيضاً في عهد السلطان سليمان القانوني عندما تم اعدامه[٨٠]. وكانوا يتهمون بعض الامراء الآخرين بالقيام بالنهب والسلب وقطع الطرق، حيث اتهموا أمير بدليس المذكور بتلك التهمة أيضاً[٨١]. كما اتهموا اميراً آخر لامارة بدليس وهو (أبدال خان) بهذه التهم عندما أبعدوه عن امارته بالقوة في عام ١٦٥٤[٨٢].

أما التهمة الاكثر شيوعاً فهي تهمة التمرد والعصيان أو محاولة الانفصال والاستقلال التي وجهت الى الامراء الكورد في كثير من الاحيان وخاصة الى أمراء بابان، حيث كان العثمانيون يوجهون تهمة التمرد والعصيان الى الأمير الذي كان يطمح الى شئ من الاستقلال، ويعمل على

---

(٧٦) هـ. س، ل٥١-٥٦.

(٧٧) كان العثمانيون بارعين في هذا المجال، فقد قام الصدر الاعظم العثماني رستم باشا بتلفيق رسالة مزورة باسم الشاه طهماسب الى مصطفى ابن السلطان سليمان القانوني، واوصلها الى ايدي السلطان الذي ثار على ابنه عندما قرأ الرسالة وامر بقتله. د. كمال مظهر، ميژوو، بەغداد ١٩٨٣، ل١١٢.

(٧٨) ئەوليا چەلەبی، س. پ، ل١٩١. ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٦.

(٧٩) ينظر موضوع (حملة السلطان سليمان القانوني الاولى) في الفصل السابق.

(٨٠) عباس العزاوي، تاريخ العراق، مج٤، ص٤٠.

(٨١) ئەوليا چەلەبی، س. پ، ل١٩١.

(٨٢) س. پ، ل٢٢٥-٢٢٧.

خدمة امارته بتفان واخلاص[٨٣]. فقد عدّ والي بغداد حسن باشا[٨٤] الامير الباباني بكر بك متمرداً وشقياً لمجرد أنه حاول تقوية نفوذه و توسيع سلطاته، فجهز حملة عسكرية بقيادته ادت الى اندحار بكر بك ثم قتله فيما بعد[٨٥].

والى جانب تلك الحجج الواهية التي ذكرناها كانت هناك حجج وذرائع اخرى حقيقية لكنها لم تكن شرعية، حيث نجد العثمانيين يحاولون عزل بعض الامراء الكورد بحجة انهم لم يقدموا التهنئة للسلطان في احدى المناسبات، أو لم يقدموا الهدايا في مناسبات أخرى، أو لم يحسنوا معاملة مسؤول عثماني قد يكون السلطان نفسه أو حاشيته. اذ يشير شرفخان البدليسي الى ان السبب الذي ادى بالسلطان سليمان القانوني الى اعدام الامير عزالدين شير السوراني كان قيام الاخير باعمال ((قبيحة موجهة نحو حاشية السلطان))[٨٦] أما الحملة التي شنها والي دياربكر (ملك احمد باشا)[٨٧] ضد (يوسف خان) الذي كان من امراء بادينان في عام ١٦٣٨ فتعود الى تقاعس الاخير عن تقديم التهنئة المناسبة للسلطان مراد الرابع عندما عاد من بغداد بعد استرجاعها من الصفويين، حيث تمكن من اسره و زجه في سجن دياربكر ليبقى فيه حتى دفع أتاوة كبيرة[٨٨].

بالرغم من ذلك يجب ان لاننسى ان السبب الذي وقف وراء عزل بعض الامراء الكورد كان عدم المساهمة في الجهود الحربي العثماني. فقد اقدم والي بغداد علي باشا (١٨٠٢-١٨٠٦) على عزل الامير البادينى مراد خان باشا في عام ١٨٠٣، لانه لم يساهم على رأس قواته في حملة

---

(٨٣)كاوس قەفتان، س. پ، ل٣٣.

(٨٤) هو ابن مصطفى بك السيباهي اصبح والياً على بغداد في عام ١٧٠٤، توفي في عام ١٧٢٤ وهو يحارب في ايران. عثمان بن سند، م. س، ص١٧٨.

(٨٥) نظمى زاده، م. س، ص٣٢٨. محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليمانى، ل٥٨-٥٩.

(٨٦) الشرفنامه، ص٢٧٨.

(٨٧) كان صهراً للسلطان مراد الرابع، ترقى في المناصب حتى أصبح بعد سنة ١٦٣٨ والياً على دياربكر ثم صدراً أعظماً في عام ١٦٥٥ ثم تنحى واصبح والياً على ولاية وان. ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل٣٠٦. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٠٥.

(٨٨) أولياچلبى، م. س (باللغة التركية)، ج٤، ص٤١٠، ٤١٣. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٠٥.

الوالي على سنجار بل اكتفى بارسال ثلاث مئة مقاتل فقط [89] وكان عزل الامير البابانى ابراهيم باشا في عام ۱۷۸۷ يعود الى عدم مشاركته في حملة والي بغداد على عشائر المنتفك[90]. يجدر بالذكر ان مشاركة الامراء الكورد بقواتهم الى جانب الجيش العثماني في حروبه الداخلية والخارجية كانت ضمن بنود الاتفاق الكوردي العثماني[91]. كما أشار السائح التركي (أوليا چلبي) وغيره الى أنه لا يمكن عزل الامراء الكورد الا في حالة عدم اشتراكهم في الحروب العثمانية عندما يدعون الى ذلك[92]. ولكننا نلحظ ان العثمانيين قد تعسفوا في استخدام تلك السلطة حتى تحولت قوات الامارات الكوردية الى اداة قمع للحركات المسلحة التي كانت تندلع في المنطقة ضد النفوذ العثماني، بل اصبحت اداة فعالة لضرب الحركات المسلحة الكوردية نفسها كما سيتبين لنا في المبحث التالي. وكان طلب القوات الكوردية من قبل المسؤلين العثمانيين في جميع الحالات يؤدي احياناً الى عدم قدرة بعض الامراء الكورد على تلبية ذلك الطلب. وكان ذلك يعدّ تقاعساً من جانب ذلك الامير فيؤدي الى عزله.

وهناك جملة أمور ساعد العثمانيين على تنفيذ مآربهم للتلاعب بمنصب الامارة في الامارات الكوردية. فبالاضافة الى استغلالهم لنص الاتفاق كما اسلفنا. فانهم استفادوا من النزاعات القائمة بين الامراء الكورد حول منصب الامارة، حيث ان سعي الامراء المتنافسين للحصول على البراءات السلطانية للامارة لما لهذه البراءات من قيمة معنوية يرجح كفتهم جعل العثمانيين يستغلون ذلك لتمرير مطاليبهم وتحقيق نواياهم على حساب الامارات الكوردية[93]، وكانت تلك الظاهرة اكثر وضوحاً في امارة بابان من غيرها، لان التناحر الاسرى فيها كانت على أشدها. كما ان العثمانيين استغلوا مكانة السلطان وأهمية فرماناته بنظر عامة الناس[94]

---

(٨٩) رسول الكركوكلي، م. س، ص٢٢٤. عباس العزاوي، العمادية...، ص٥١.

(٩٠) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٨٦. محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليمانى، ل١٩٢.

(٩١) ينظر موضوع (الاتفاق الكوردي العثماني) في الفصل السابق.

(٩٢) سياحةتنامەى ئەولياچەلەبى، ل٣٥. محمد امين زكي، خلاصة...، ح ص١٧١.

(٩٣) للتدليل على ذلك يراجع: شرفخان البدليسي، م. س، ص١٦١.

(٩٤) للتدليل على ذلك ينظر: م. ن، ص١٦٥.

الى جانب استعمال القوة العسكرية لأجبار الامراء الكورد على الاذعان لمطاليبهم والتنحي عن السلطة عندما كانوا يريدون ذلك[٩٥].

وقد ادت تلك السياسة العثمانية الى حالة من عدم الاستقرار في أوضاع الامارات والزعامات الكوردية وانعدام الطمأنينة و السلام في ربوعها، مما أسفر عن تأخر تطور كوردستان من النواحي السياسية والاقتصادية و الاجتماعية. وقد اشار الامير البابانى محمود باشا الى ذلك صراحةً عندما كان يتحدث الى (ريج) قائلاً: ((ومن الذي يرمم شيئاً وهو غير متأكد من استمتاعه به؟ وقد يقوضه الاتراك او الايرانيون بعد ايام معدودات))[٩٦]. وكذلك فقدت الامارات الكوردية استقلالها الداخلي شيئاً فشيئاً جراء تدخل السلطات العثمانية في مسألة منصب الامارة. كما ان خوف الامراء الكورد الدائم من العزل والتنحية من قبل السلطات العثمانية قد ادى بهم الى انتهاج سياسات موالية لها وعدم الاتيان بما تعارضها الدولة العثمانية، وبذلك أصبح الامير الكوردي الراعي لمصلحة إمارته شخصية نادرة بين الامراء الكورد.

وأخيراً من الضروري ان نضيف بان العثمانيين كانوا في بعض الاحيان يتجاوزون حدود عزل الامراء الكورد ويعمدون الى قتل بعض الامراء غدراً. كما فعل الصدر الاعظم العثماني فرهاد باشا الذي قتل الامير ناصر البوتاني في عام ١٥٨٣ واسند امارة بوتان الى منافسه الامير عزيز بن كاك محمد[٩٧]. كما مربنا سابقاً.

ب- الاخلال بحدود الامارات الكوردية وسلطاتها:

كان الوجه الآخر للتدخل العثماني في شؤون الامارات الكوردية الداخلية يتمثل في الاجراءات التي كانت تخل بالاتفاق الكوردي العثماني من حيث اخلالها بمناطق نفوذ الامارات الكوردية وسلطاتها.

---

(٩٥) كثيراً ما استغل العثمانيون ذلك الاسلوب. ينظر: عبدالرحمن السويدي، تاريخ بغداد/ أو: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بغداد ١٩٦٢، ص٦٣. عثمان بن سند، م. س، ص٣٦. محمد امين زكي، تاريخى ولآتى سليمانى، ل٧٦.

(٩٦) كلوديوس ريج، م. س، ص٥٧.

(٩٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص١٦٤.

فيما يتعلق بمناطق نفوذ أو حدود تلك الامارات يمكن القول انها كانت عرضة للتغيير باستمرار اثناء الانتقال من عهد الى آخر[٩٨]. وقد كانت تلك التغييرات تتم في ظروف مختلفة؛ ففي بعض الاحيان كانت الدولة العثمانية تبادر الى بتر منطقة معينة من امارة كوردية معينة تحت تأثير ظروف خاصة. فقد قام العثمانيون في عهد السلطان سليمان القانوني باستقطاع بعض المناطق ((الدائرة للخيرات)) من امارة چمشگزك الكوردية و ((ضمها الى الخواص الهمايونية))، مستغلاً المنازعات التي نشبت بين ابناء الامير پير حسين بك[٩٩] حول الامارة إثر موت والدهم، والتجائهم الى السلطان ليحكم بينهم[١٠٠].

وفي حالات اخرى كانت السلطات العثمانية تعمد الى استقطاع بعض المناطق من امارة كوردية لتضيفها الى امارة كوردية اخرى، بل كانت تصل في بعض الحالات الى ضم امارة كوردية بكاملها الى امارة اخرى، ومن الممكن العثور على امثلة حول تلك الخطوة في امارة بدليس خلال عهد الامير شرفخان بن شمس الدين البدليسي، حيث كافأ القائد العثماني فرهاد باشا الامير المذكور على خدماته للدولة العثمانية في حربها مع الدولة الصفوية بضم امارة موش الى امارته[١٠١]. مما يدل على ان تلك المنح كانت في بعض الاحيان نتيجة جهود يقدمها الامير الكوردي للدولة العثمانية. فقد حارب الامير الباديني سلطان حسين بك جماعة متمردة بأمر من المسؤولين العثمانيين، وانتصر عليهم في عام ١٥٥٣، مما ادى الى السماح له بتوسيع رقعة امارته[١٠٢].

وفيما يتعلق بتعديلات الحدود وتغيير مناطق النفوذ يمكن عدّ امارة بابان خير مثال على ذلك، اذ ان كثرة تلك التغييرات وسرعتها جعلت رسم خارطة سياسية لتلك الامارة أمراً صعباً

---

(٩٨) باسيل نيكيتين، م. س، ص١٦٩.

(٩٩) أصبح أميراً على امارة چمشگزك اثر مقتل والده من قبل السلطان سليم الاول، ثم سعى الى استخلاص امارته من الصفويين حين امره السلطان سليم بالمساعدة العسكرية بعد ان قدم الطاعة له. وامضى ما يقارب ثلاثين عاماً أميراً على امارته ثم مات فدخل ابنائه في نزاع حول وراثة الحكم. شرفخان البدليسي، م. س، ص١٨٨-١٨٩.

(١٠٠) م. ن، ص١٨٩.

(١٠١) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٣٠.

(١٠٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٤، ص٦٤.

ان لم يكن مستحيلاً. ويعود ذلك الى عدم استقرار اوضاعها السياسية نتيجة النزاع المستمر بين امراء بابان أنفسهم من جهة وبينهم وبين ولاة بغداد من جهة اخرى.

كما ان تلك التغييرات كانت في بعض الاحيان تعود الى العامل الذاتي، حيث ان بعض الامراء الكورد كانوا يبادرون الى توسيع حدود اماراتهم على حساب الامارات الاخرى، حينما يروا في انفسهم وفي اماراتهم القدرة الكافية لتحقيق ذلك الهدف، وكانت تلك الظاهرة سمة من سمات النظام الاقطاعي السائد آنذاك في كوردستان(١٠٣).

وفي جانب آخر كان العثمانيون يتدخلون في نفوذ و سلطات الامارات الكوردية ايضاً، أذ بدأ السلطان سليمان القانوني بأول خطوة على هذا الطريق حينما أصدر أمراً بعزل الامير شرفخان عن امارة بدليس وتنصيب اولامه التكه لو عليها لأهداف سياسية، كما ذكرنا سابقاً(١٠٤). وتوالت بعد ذلك الاجراءات العثمانية التي كانت تخل بالاتفاق المذكور وتحجم الاستقلال الداخلي للامارات الكوردية بإخلالها بسلطاتها. إذ قامت الدولة العثمانية في النصف الاول من القرن الثامن عشر باتخاذ اجراء سياسي- اداري أثرت في الامارات الكوردية في جنوبي كوردستان، وذلك عندما دفعت حاجتها الى وجود قوة واحدة في العراق لتستطيع مواجهة الخطر الايراني الى الاعتراف بسلطة والي بغداد (حسن باشا) غير الاعتيادية، فأمتد نفوذ إيالة بغداد منذ ذلك الحين الى ماوراء إيالة الموصل وضمت اليها مدينتي ماردين ونصيبين(١٠٥). وبموجب هذا الاجراء أصبحت الامارات الكوردية في جنوبي كوردستان ومنطقة ماردين تتبع ايالة بغداد ادارياً(١٠٦)، وتعين على امرائها ان يؤدوا الضريبة الى ولاة بغداد لقاء اقرار الاخيرين لحكمهم ومنحهم الخلعة الرسمية سنوياً(١٠٧). وآل الامر في النهاية الى احتفاظ والي بغداد بسلطة الاشراف

---

(١٠٣) كندال و...، م. س، ص٥٣. پی رەش، بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي ١٨٢٦-١٩١٤، (د. م) ١٩٨٠، ص١٦.

(١٠٤) يراجع موضوع (حملة السلطان سليمان القانوني الاولى) في الفصل السابق.

(١٠٥) عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني/ فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م، النجف ١٩٧٥، ص١٢٤.

(١٠٦) د. جليلى جليل، كوردەكانى ئیمپراتۆریەتی عوسمانی، و: كاوس قەفتان، بەغدا ١٩٨٧، ل٨٤، ستيفن لونكريك، م. س، ص١٥٨، ٢١٣.

(١٠٧) ينظر: ياسين العمري، غاية المرام...، ص٩٣، كارستن نيبور، م. س، ص٧٥.

على معظم الامارات الكوردية في كوردستان الجنوبية[١٠٨]، وبالاخص امـارتي بادينـان و بابـان، اذ بقيت الاولى تابعة لايالة بغداد ولذلك نجد ان امراء بادينان كـانوا يتولـون الامـارة بتفـويض من والي بغداد خلال تلك الفترة[١٠٩]. ولكن الوالي علي باشا أقـدم علـى وضـع امـراء بادينـان تحت اشراف والي الموصل في عـام ١٨٠٦م[١١٠]. أما الثانية وهي امارة بابان فانها رغم تبعيتهـا لايالة بغداد الا ان درجة تلك التبعية كانت تتوقـف قبـل كـل شـئ علـى قـوة شخـصية الأمـير البابانى ثم على قوة وسلطة والي بغداد بعد ذلك[١١١]. حيث ان قوة أمير بابان و نفوذه كانا من الامور التي تساعده على الاستقلال بشؤون امارته عن والي بغداد. كما ان قوة شخصية الـوالي (والي بغداد) وسعة نفوذه كانت مـانعة لهذا الاستقلال، فيؤدي ذلك الى فرض سطوة بغـداد علـى الامارة حتى تكون أشبه بأحد سناجقها.

بالاضافة الى ماذكرنا هناك تدخل اكبر مـن الجانـب العثمـاني يتعلـق بـصلاحية الامـارات الكوردية في فرض الـضرائب والمكـوس الكمركيـة، تلـك الـصلاحية الـتي اعـترف بهـا كـل مـن السلطان سليم الاول والـسلطان سـليمان القـانوني[١١٢]. ولكـن العثمـانيين كـانوا ينظـرون اليهـا أحياناً كأنها اعمال سلب ونهب وقطع طرق[١١٣]. وتعدى هذا الانطباع الى الرحالـة الـذين كـانوا يأتون الى المنطقة أيضاً. فقد دون الرحالة (فريزر) حينما دخل حدود كوردستان قائلاً: ((وصـلنا الآن الى البلاد الكوردية الـتي كـل رجالها مـن اللـصوص...))[١١٤]. وذلـك في الوقـت الـذي لم يستطع أي من هؤلاء الرحالة ان يدلنا على مثال واحد حول حادثة سلب أو نهب كان شاهداً لها

---

(١٠٨) احمد جودت، تاريخ جودت/ أز ترتيب جديد، ج١، استانبول ١٣٠١، ص٢٧٠. سـغدي عثمـان، م. س، ص١١١.

(١٠٩) ينظر على سبيل المثال: عباس العزاوي، العمادية...، ص٥٢-٥٣ وكـذلك: صـديق الـدملوجي، م. س، ص٣٦.

(١١٠) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٧٠.

(١١١) جمال بابان، س. پ، ل٦٥.

(١١٢) ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل١٠٨.

(١١٣) هـ. س، ل٢٢٦. شوكور مستەفا، س. پ، ل١٢٩.

(١١٤) Fraser, J. B: Awinters Jounny form Constantinopole to Tehran, vol. 1, New York, 1973, P.248.

أو كان ضحية من ضحاياها[115]. وبالرغم من ذلك فان العثمانيين عدوا ممارسة تلك الصلاحية من قبل الامراء الكورد اعمالاً مخلة بالقانون يجب محاربتها، وكثيراً ما حاربوا أحد الامراء الكورد بحجة قيامه بأعمال النهب والسلب وقطع الطرق، كما فعل والي وان ملك احمد باشا عندما أراد غزو أمير بدليس خان ابدال في عام ١٦٥٥[116].

وبهذا الشكل تناسى العثمانيون ان بنود الاتفاق الكوردي العثماني قد حفظت للامارات والزعامات الكوردية استقلالاً داخلياً، وكانوا يقومون في كثير من الاحيان بما يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للامارات الكوردية.

ج- السياسة العثمانية تجاه العشائر والطائفة الإيزدية الكوردية:

١- السياسة العثمانية تجاه العشائر الكوردية:

نظراً لان الامارات الكوردية كانت تتألف أساساً من عدد من العشائر الكوردية الى جانب فصائل سكانية اخرى[117]، لذلك يمكن اعتبار سياسة العثمانيين تجاه تلك العشائر تدخلاً في الشؤون الداخلية للامارات الكوردية.

نلحظ من خلال الاطلاع على المصادر التاريخية التي تناولت تلك الفترة اشارات كثيرة كعبارات ((تمرد العشائر))[118] و ((العصيان و الفساد))[119] و ((قطع الطرق واعمال السلب و النهب)) التي تنسب الى العشائر الكوردية[120]. ولكن تلك العبارات كانت تمثل وجهة النظر العثمانية أو ما يمكن ان تسمى بأفرازات الاوضاع المتردية التي كانت تعيشها تلك العشائر. حيث اننا لو بحثنا المسألة بصورة متكاملة لظهر لنا اسباب وعوامل كثيرة كانت تدفع العشائر الى الثورة والتمرد أو حتى الى القيام بقطع الطرق واعمال السلب والنهب. اذ ان سوء الاحوال

---

(١١٥) ن. أ. خالفين، الصراع على كوردستان، ت: د. احمد عثمان ابوبكر، بغداد ١٩٦٩، ص٢٥.

(١١٦) ئەوليا چەلەبی، س. پ، ل٢٢٦. شوكور مستەفا، س. پ، ل١٣٠.

(١١٧) Arafa, H:The Kurds/An Historical and Political Study, Oxford Univ. Press,London1966, P. 16.

(١١٨) نظمي زاده ، م. س، ص٣٢٨.

(١١٩) عثمان بن سند، م. س، ص٧٨.

(١٢٠) رسول الكركوكلي، م. س، ص٤٠.

المعاشية المتمثل بالفقر المدقع نتيجة الآفات الطبيعية التي كانت تضر بالمحاصيل الزراعية، وتؤدي الى انعدام الكلأ والمراعي، وكذلك انتشار الاوبئة بين المواشي بالاضافة الى جور الملاكين(١٢١) وتعسف السلطات العثمانية، كان يوقع ابناء العشائر في حالة لا يمكنهم فيها دفع الضرائب المترتبة عليهم. الظاهرة التي كان العثمانيون يسمونها بالتمرد والعصيان، دون ان يأخذوا الواقع الاقتصادي للعشائر بنظر الاعتبار(١٢٢).

بالاضافة الى ذلك فأن سوء الاحوال الاقتصادية كان يؤدي بالعشائر احياناً الى ممارسة اعمال النهب وقطع الطرق(١٢٣)، وذلك في اطار الصراع من أجل البقاء. ولكن العثمانيين لم يعملوا على حل المسألة حلاً عادلاً بل كانوا يعمدون الى معالجتها باستعمال القوة(١٢٤). فتعددت الحملات العسكرية التي كانت توجهها السلطات العثمانية على العشائر الكوردية لقمع الحركات التي كانت تقوم بها(١٢٥).

وبذلك يمكن عدّ القمع المستمر احد ركائز السياسة العثمانية تجاه العشائر الكوردية، وتمادوا اكثر من ذلك حينما كانوا يقومون بنهب ما تقع تحت أيديهم من اموال ومواشي العشيرة المنكوبة على شكل غنائم(١٢٦). فعندما توجه والي بغداد علي باشا في سنة ١٨٠٢ على رأس حملة واسعة النطاق الى عشيرة بلباس(١٢٧)، استولى على ستين الف رأس من مواشيها(١٢٨).

---

(١٢١) جورج كيرك، م. س، ص٩٤.

(١٢٢) رسول الكركوكلي، م. س، ص٧. عثمان بن سند، م. س، ص٧٨.

(١٢٣) جورج كيرك، م. س، ص٩٤. فيصل الارحيم، م. س، ص٦٦.

(١٢٤) فيصل الارحيم، م. س، ص٢٦.

(١٢٥) رسول الكركوكلي، م. س، ص٤٠. نظمي زاده، م. س، ص٣٢٨.ياسين العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، النجف ١٩٧٤، ص١٣١.

(١٢٦) عبدالرحمن السويدي، م. س، ص٦٣.

(١٢٧) من العشائر الكوردية الكبيرة كانت مناطقها الاصلية في شنو و رواندوز و رانية، وتنقسم الى ثلاثة فروع كبيرة هي (پيران، منگور، مامش). محمد امين زكي، خلاصة...، ص٣٧.

(١٢٨) محمود احمد محمد، مێژووی هۆزی بلباس له کۆنەوه تـا ئـەمڕۆ، ب١، سلێمانی ١٩٨٩، ل٨٤. وانظر أيضاً: حسين ناظم بيگ، م. س، ص١٧٤. يجدر بالذكر ان الاغنام المنهوبة من بلباس في تلك الحملة تصل عند

كما غنمت القوات التي ارسلها والي بغداد في عام ١٧٧١ خمسة وثلاثين الف رأس غنم و خمسة آلاف بقرة من قبيلة شكاك الكوردية(١٢٩). ونهب جنود والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) عشرة آلاف رأس غنم ونحو ثلاثة الاف جمل وبقرة وثور من عشائر المللي(١٣٠) في سنة ١٧٩١ اثناء الحملة التي وجهت ضدهم(١٣١).

و بالاضافة الى ذلك اتبع العثمانيون نهجاً آخر مع العشائر الكوردية وهو نهج الاستمالة، اذ كانت العشائر تعتبر قوة يحسب لها الحساب. وكثيراً ما كانت السلطات العثمانية تستخدمها في حروبها وغزواتها و تستفيد منها في تنفيذ مآربها(١٣٢). بل ان العثمانيين كانوا يستخدمونها في بعض الاحيان في منازعاتهم الداخلية. فقد عمد والي وان محمد درويش باشا الى استمالة عشيرة سيپكى مع عشائر اخرى في سنة ١٨١٨ فأثارهم ضد متصرف موش (سليم باشا)،الذي كان يضمر له المنافسة والعداوة. فأغارت تلك العشائر على عدة نواحي من مقاطعة موش الخاضعة له(١٣٣). كما أصطحب والي بغداد سليمان باشا الصغير (١٨٠٧-١٨١٠) قواتٍ من عشيرتي (خوشناو) و (دزەیی) معه في حملته على الموصل عام ١٨٠٩ لحسم المشاكل الداخلية التي نشبت فيها(١٣٤).

ونتيجة لذلك كان العثمانيون يحاولون كسب ود رؤساء العشائر الكبيرة والقوية بشكل خاص بشتى الطرق، من بينها بذل المال لهم والانعام عليهم بالالقاب والرتب، اذ ان شراء ذمة زعيم العشيرة كان يعني موالاة العشيرة بكاملها،ثم الاستفادة من قوتها وبأسها(١٣٥). وكثيراً ما نجح

(ياسين العمري) الى ((خمس وثمانين الفاً)) أما ((البقر والخيل والبغال والحمير فكانت احدى عشر الفاً)). ينظر: غرائب الاثر...، ص٦٣.

(١٢٩) ياسين العمري، زبدة الآثار...، ص١٣١.

(١٣٠) من العشائر الكوردية الكبيرة. ينظر حولها: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٣٩٨-٤٠٠.

(١٣١) ياسين العمري، غاية المرام...، ص١٩١.

(١٣٢) جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١، ط١، لبنان ١٩٧١، ص١٦.

(١٣٣) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٣.

(١٣٤) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٩٢. وحول تلك المشاكل يراجع نفس المصدر.

(١٣٥) د. حەسەن جاف، نەخشی هۆزی جاف لە سای چەند سەرۆکێکیەوە لەمێژووی کورددا، گۆڤاری کۆڕی زانیاری عیراق (دەستەی کورد)، ب٢٢، بەغدا ١٩٩٠، ل٢٤.

العثمانيون في تلك السياسة، فعندما حارب فرع من قبيلة الجاف[١٣٦] الكوردية الى جانب السلطان مراد الرابع في حملته لاستعادة بغداد عام ١٦٣٨ كافأهم السلطان لقاء ذلك بالانعام عليهم بلقب (مرادي)[١٣٧] نسبة الى اسمه[١٣٨]. وكذلك كان انعام الدولة العثمانية على رئيس تلك القبيلة (حمه باشا الجاف)[١٣٩] بلقب الباشا بهدف استمالة القبيلة المذكورة[١٤٠].

وكان العثمانيون يتبعون سبلاً اخرى لاستمالة العشائر الكوردية منها اتباع سياسة (فرق تسد) السالفة الذكر، حيث كانوا يعمدون الى ضرب العشائر بعضها ببعض، أو كانوا يحركون فريقاً من القبيلة ضد فريق آخر في اطار هذه السياسة بهدف كبح جماح العشائر وترويضها لصالح اهداف الدولة[١٤١]. وبذلك كانت الدولة العثمانية تسعى الى ابعاد روح التمرد او الثورة عن العشائر الكوردية وضرب الحركات العشائرية بكل قسوة، وفي الوقت نفسه كانت تحاول الاستفادة من قوة العشائر الكوردية في حروبها الداخلية والخارجية متبعة في سبيل ذلك نهج الاستمالة،وذلك عن طريق كسب ود زعمائها بوسائل الاغراء المختلفة.

٢- السياسة العثمانية تجاه الطائفة الإيزدية:

تتميز السياسة العثمانية تجاه الكورد الإيزديين عن سياستهم تجاه الطوائف الاخرى من الشعب الكوردي لذلك رأينا تخصيص موضوع منفرد لهذه السياسة.

كنا قد أشرنا في الفصل الاول ـ ضمن الخارطة السياسية لكوردستان في بدايات القرن السادس عشر ـ الى امارة إيزدية اسمها امارة داسني، ثم مربنا في الفصل الثاني حادثة شنق الامير عزالدين شير السوراني من قبل السلطان سليمان القانوني في عام ١٥٣٤ واضافة امارته

---

(١٣٦) احدى القبائل الكوردية الكبيرة التي كانت في العهد العثماني في حالة شبه بداوة. وكانوا يتنقلون في مناطق كوردستان الشرقية والجنوبية حسب فصول السنة.جليلى جليل، س. پ، ل٢٩.

(١٣٧) كان هذا اللقب يحمل الكثير من الوجاهة والفخر في تلك الفترة.

(١٣٨) حەسەن جاف، س. پ، ل٢٤.

(١٣٩) كان زعيماً لعشائر الجاف في الربع الثاني من القرن التاسع عشر.

(١٤٠) حەسەن جاف، س. پ، ل٢٤.

(١٤١) جعفر الخياط، م. س، ص١٦. فيصل الارحيم، م. س، ص٢٦.

الى ممتلكات الامير حسين بك الداسني[١٤٢]. ومنح حكم إيالة الموصل خلال سنتي (١٦٤٩-١٦٥٠) لشخصية كوردية إيزدية تعرف بالأمير ميرزا داسني[١٤٣]. وتدل تلك المعلومات على ان هذه الامارة كانت لاتزال قائمة خلال الفترات المذكورة، وانها احتفظت بثقل سياسي ملحوظ وتمتعت باعتراف عثماني رسمي بدليل تلك المنح السلطانية التي اعطيت الى امرائها. ولكن اسم تلك الامارة قد اختفى فيما بعد لتذكر المصادر التاريخية إمارة إيزدية اخرى باسم امارة الشيخان[١٤٤]. وتحدد موقعها بين نهرى الزاب الكبير والخابور[١٤٥]. مما يدل على ان الامارة الاخيرة انما هي امارة داسني نفسها بغض النظر عن تغير اسمها في المصادر. خاصة وان العائلة الحاكمة نفسها ظلت تحكم في هذه الامارة أيضاً[١٤٦].

كان أمير الشيخان يعرف في امارته بـ(ميري ميران- أمير الامراء) ويتمتع بسلطة مطلقة على جميع الايزديين، ويتلقى اوامره امراء ثانويون يخضعون له وينفذون اوامره. أما هو فينفذ الاوامر الصادرة من (ههموزان) وهي الهيئة الدينية المكونة من سبعة اشخاص. وكان مركز الامارة في قرية باعهدرى (باعذرا)[١٤٧].

---

(١٤٢) يجدر بالذكر ان الامير حسين بك الداسني فشل في الاحتفاظ بامارة سوران لذلك استدعاه السلطان الى الاستانة وقتله. حول تلك الحادثة وتطوراتها ينظر: سعدي عثمان، م. س، ص١٩٦-١٩٧.

(١٤٣) ياسين العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوهجى، الموصل ١٩٥٥، ص٧٤. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مج٥، بغداد ١٩٥٣، ص٤٣. يجدر بالذكر ان الامير ميرزا داسني قد منح تلك الايالة مكافأة له على الشجاعة الفائقة التي اظهرها اثناء حملة استعادة بغداد من قبل السلطان مراد الرابع. وسنذكر تفصيلات أخرى عن المذكور في الفصل التالي.

(١٤٤) تقع في شمال شرقي الموصل على مسافة (٤٥كم) منها وهي حالياً قضاء تابع لمحافظة نينوى.

(١٤٥) ياسين العمري، غاية المرام...، ص١٩٥ وكذلك غرائب الاثر...، ص٢٣. عماد عبدالسلام، م. س، ص١٧٢. صديق الدملوجي، م. س، ص٤١.

(١٤٦) حول قائمة امراء الشيخان واصلهم يراجع: سعدالله شيخاني وخدري سليمان، شيخان و شێخان بهگی، بهغداد ١٩٨٨، ل٢٢٣-٢٢٤. وللوقوف على نبذة مختصرة عن تاريخ هذه الامارة يراجع: سعدي عثمان، م. س، ص١٦٢-١٦٥.

(١٤٧) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، مصر ١٩٢٣، ص٢٩٦-٢٩٧. فيصل الارحيم، م. س، ص١١٠. باعهدرى: احدى القرى الايزدية التي تقع في قضاء الشيخان التابعة لمحافظة نينوى الحالية.

لقد تقلص نفوذ الامارة فيما بعد ليشمل في بداية القرن الثامن عشر منطقة الشيخان ذاتها ومنطقة جبل سنجار في غربي الموصل بين الخابور و دجلة[١٤٨]. ويرجع فضل تمكن امرائها من الحفاظ على كيان الامارة الى موقعها على الحدود الفاصلة بين إيالة الموصل وامارة بادينان. اذ انها في الوقت الذي كانت تعد من الوجهة الرسمية تابعة لادارة إيالة الموصل، كانت في الواقع مستندة الى سلطة امراء بادينان بشكل تام، فهم كانوا مرجعها الوحيد عند الازمات وكانت تدفع الضرائب اليهم أيضاً[١٤٩].

بالرغم من ذلك تعرض الايزديون خلال العهد العثماني ـ وبالتحديد منذ بدايات القرن الثامن عشر ـ لمصائب فضيعة على يد المسؤولين العثمانيين، وخاصة ولاة بغداد والموصل، الذين لم يتوانوا عن استعمال أقصى درجات البطش والقسوة معهم في حملاتهم المتكررة،عليهم وبالاخص على الايزديين القاطنين في جبل سنجار[١٥٠].ويعود ذلك الى عوامل مختلفة في مقدمتها رفض الإيزديين الخضوع لحكم أجنبي والتطلع الى الحرية والاستقلال. الامر الذي كان العثمانيون يسمونه بالتمرد والعصيان[١٥١] وكان من البديهي ان يترتب على ذلك امتناعهم عن دفع الضرائب المترتبة عليهم للدولة العثمانية. وكان عدم دفع الضرائب في بعض الاحيان بسبب عدم قدرتهم على الدفع[١٥٢]. وذلك لسوء احوالهم الاقتصادية. ولكن الدولة العثمانية كانت تعالج المسألة بالقوة في كلتا الحالتين[١٥٣]. وتدل حوادث بعض الحملات على الايزديين على ان اهداف بعضها كانت عبارة عن تأمين طرق التجارة والبريد التي كانت مهددة من قبل

---

(١٤٨) عماد عبدالسلام، م. س، ص١٧٣.

(١٤٩) ياسين العمري، غاية المرام...، ص١٠٠.

(١٥٠) ينظر على سبيل المثال: نظمي زاده، م. س، ص٣٢٩. رسول الكركوكلي، م. س، ص٦٥. ستيفن لونكريك، م. س، صفحات ١٥٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٩.

(١٥١) نظمي زاده، م. س، ص٣٢٩. عبدالرحمن السويدي، م. س، ج١، ص٦٥.

(١٥٢) ينظر على سبيل المثال: ياسين العمري، زبدة الآثار...، ص١٢٥ وكذلك عماد عبدالسلام، م. س، ص١٨٠.

(١٥٣) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مج٦، بغداد ١٩٥٤، ص٢٨-٢٩. فيصل الارحيم، م. س، ص١١٠.

الايزديين،الذين كانوا في بعض الاحيان يلجأوون الى ممارسة النهب وقطع الطرق أيضاً[١٥٤]. اذ كان احد الاسباب المهمة التي ادت بوالي بغداد سليمان باشا ابو ليلة[١٥٥] (١٧٤٩-١٧٦٢) الى قيادة الحملة الواسعة النطاق التي وجهها على الايزديين في عام ١٧٥٢، يتمثل في قيام الاخيرين بهجمات على المسافرين بين كركوك والموصل بهدف النهب وقطع الطرق[١٥٦]. كما ارسل والي الموصل محمد باشا الجليلي قوة عسكرية لتأمين طرق الموصل في عام ١٧٤٩، فصادفوا جماعة من اهل سنجار، واثناء الاشتباك وقع منهم ثلاثة عشر صريعاً. فحمل جنود الموصل الرؤوس المقطوعة الى الوالي ليبعثها بدوره الى والي بغداد[١٥٧].

كما ان غاية بعض الحملات العثمانية كانت المنافع المادية، أو أمداد الدولة (أو بعض ايالاتها) بما تحتاجه من غلال ومنتجات زراعية ومواشٍ بين آونة وأخرى. ففي عام ١٧٦٧ جهز والي الموصل أمين باشا الجليلي أبنه وارسله في حملة عسكرية الى سنجار، وعندما وصل الاخير الى الإيزديين أشترط عليهم تقديم الفي رأس من الغنم وثلاثة رؤوس من الخيل،فقبلوا ذلك،ولكنهم لم يتمكنوا من الايفاء بالعدد المطلوب، مما ادى الى اعادة الكرة عليهم[١٥٨]. وتراس والي بغداد سليمان باشا الصغير بنفسه حملة عسكرية كبيرة ((وأغار على اليزيديين [الايزديين] فأكتسب اموالهم وسبى ذراريهم)) حسبما يذكر مؤرخ المماليك سيلمان فائق بك[١٥٩]. واستناداً الى ذلك يمكن القول ان النهب والسلب كانا صفة الذين كانوا يتهمون الايزديين بتلك التهم. بل يمكن القول ان الايزديين كانوا في بعض الاحيان يقومون بمثل تلك الاعمال بتحريض من المسؤولين العثمانيين انفسهم. فيذكر المؤرخ الموصلي (ياسين العمري)حادثة

---

(١٥٤) حول بعض حوادث النهب وقطع الطرق من قبل الايزديين ينظر: ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٢٦، اسماعيل بك چول، اليزيدية قديماً وحديثاً، تحقيق: د. قسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٤، ص١١١.

(١٥٥) كان من الولاة المماليك واشتهر بأبي ليلة لكثرة غاراته الليلية المفاجئة على العشائر العربية. ينظر: احمد جودت، م. س، ج١، ص٢٧٠.

(١٥٦) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٢٤.

(١٥٧) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٣٥.

(١٥٨) ياسين العمري، زبدة الآثار...، ص١٢٥.

(١٥٩) ينظر: تاريخ المماليك ((الكوله‌مند)) في بغداد، ت: محمد نجيب أرمنازى، بغداد، ١٩٦١، ص٤٠.

تؤيد ذلك حينما يقول: ((كان قد ارسل سابقاً والي بغداد سليمان القتيل[١٦٠] الى أهل قرية الشيخان يحثهم على نهب اموال الرعايا وتخريب القرى، فلم يمثل أمره أمير الشيخان (حسن بك) وامتثل الامر أخوه (عبدي بك) وجعل يطوف على غالب قرى الموصل ويصادرهم على اموالهم ويأخذ منهم دواباً وبسطاً وثياباً...))[١٦١].

ويمكن القول ان تلك الاعمال كانت في احيان اخرى رد فعل على سياسة العثمانيين الجائرة ازاء الكورد الإيزديين، والتي تؤدي الى تخريب قراهم ونهب ممتلكاتهم. الامر الذي يؤدي بهم الى الدفاع عن حياتهم ضد البؤس والشقاء باستحصال الرزق بأية طريقة كانت كما يذهب الى ذلك أحد المؤرخين ايضاً[١٦٢]. ولكن بالرغم من ذلك لايمكننا أبعاد تهم النهب وقطع الطريق والسلب عن الايزديين بصورة قاطعة.

وكان بعض الحملات العثمانية بسبب طبيعة معتقد الايزديين، فكثيراًماتصدر الفتاوى الدينية التي تندد بهم وبخروجهم عن الاسلام[١٦٣] وتفرض محاربتهم حتى يركنوا الى الاسلام[١٦٤]. بل ذهب بعض الولاة العثمانيين الى حد أبعد في اضطهادهم، حيث اكره الفريق عمر باشا (والي الموصل) الايزديين على ترك معتقدهم[١٦٥]، ولما أبوا ذلك نالهم انواع العذاب و

---

(١٦٠) هو سليمان باشا الصغير نفسه وعرف بالقتيل لانه عزل عن ايالة بغداد و قتل بالبادية. عثمان بن سند، م. س، ص١٧٨.

(١٦١) غرائب الاثر...، ص٩٥-٩٦. وحول نموذج آخر مماثل ينظر: م. ن، ص١٠٠.

(١٦٢) سليمان الصائغ، م. س، ص٣١٧.

(١٦٣) ان وجود بعض التشابه بين الديانة الايزدية والاسلام قد دفع بعض العلماء المسلمين الى الاعتقاد بانهم كانوا مسلمين وارتدوا عن الاسلام.

(١٦٤) حول تلك الفتاوي ينظر: سعيد الديوهجي، اليزيدية، جامعة الموصل ١٩٧٣، ص٢٢٦-٢٢٧. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٤، ص٢٤٧-٢٥٠.

(١٦٥) رغم ان تلك الحادثة كانت متأخرة عن فترة هذه الدراسة. ولكننا ادرجناها هنا لانها امتداد لسياسات العثمانيين السابقة.

الويلات، ولم ينقذهم منه الا لجنة التفتيش الدولية(١٦٦) التي أمرت الدولة العثمانية بعزل الوالي عمر باشا(١٦٧).

لقد تعرض الايزديون جراء تلك الحملات المتكررة الى اعمال الابادة الجسدية والنهب المادي والبشري المروع. ففي حملة سنة ١٧١٤ بعدما انتصر والي بغداد حسن باشا على الايزديين عقب قتال عنيد ((محقهم بسيف الانتقام واغتنم الجند الاموال وابتاعوا نساءهم وبناتهم وإماءهم))(١٦٨). وفي عام ١٧٥٢ لم يرحم والي بغداد سليمان باشا ابو ليلة الايزديين ((واوقع بهم وبرجالهم قتلاً واسراً وسبى نساءهم وغنم أموالهم واسلحتهم ودمّر أماكنهم واقتلع بساتينهم واحرق مزارعهم وحز اعناق الكثير من رجالهم وارسل ثلاث مئة رأس منهم الى الاستانة...))(١٦٩). كما واجه الإيزديون محاولة ابادة جماعية خلال حملة والي بغداد علي باشا في عام ١٨٠٢، ففي اعقاب إخفاق اعمالهم الدفاعية المستميتة تعرضوا للبطش بدون رحمة من قبل القوات المهاجمة التي كانت تضم كثيراً من المقاتلين الكورد أيضاً. وكانت القتلى من الايزديين ((من الكثرة بحيث تكدست مئات الجثث علم قمم الجبال)) حسب تعبير أحد المؤرخين الكورد، والذي يمجد الحملة بدافع الحمية الدينية المتطرفة(١٧٠). ولم تسلم مناطق الايزديين من التخريب والتدمير كذلك خلال تلك الحملة، فقد أمر الوالي علي باشا ((بقطع أشجارهم وهدم قراهم ونهب أموالهم وأخراج خباياهم))(١٧١).

رغم تلك الصعوبات والشدائد وقف الايزديون مواقف حازمة وبطولية، اذ لم يكونوا ليتركوا ميدان القتال دون ان يجربوا حظهم في الدفاع وانزال الخسائر بالمهاجمين، ويمكن القول ان الايزديين قد انتصروا في بعض المواقع، لعل ابرزها تلك الحملة التي وجهها والي الموصل عبدالباقي باشا

---

(١٦٦) تشكلت تلك اللجنة عندما رأى قناصل الدول الاجنبية تلك المظالم واعلموا سفراء دولهم بذلك، وجاءت اللجنة متنكرة، سليمان الصائغ، م. س، ص٣١٩.

(١٦٧) م. ن، ص٣١٨-٣١٩. فيصل الارحيم، م. س، ص١١.

(١٦٨) عبدالرحمن السويدي، م. س، ج١، ص٦٦.

(١٦٩) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٢٥.

(١٧٠) حسين ناظم بيگ، م. س، ص١٨٧.

(١٧١) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٦٤، وانظر ايضاً رواية أحد المعاصرين للحملة المذكورة في: يعقوب سركيس، مباحث عراقية (في الجغرافية والتأريخ والآثار و... الخ)، ق١، بغداد ١٩٤٨، ص٦١-٦٢.

الجليلي (١٧٨٤-١٧٨٥) على احدى قبائل الشيخان الايزدية، فعندما تفرق الجنود بحثاً عن الغنائم ((زحف... نمر[١٧٢] ومعه سبعة[١٧٣] فوارس وقتل خمسة عشر فتقدم الى عند المترجم [والي الموصل] فما تأخر ولا تقدم بل وقف مكانه وحمل نمر بمن معه وهجم على الحاج عبدالباقي باشا وقتل أخاه عبدالرحمن اغا وحمل اخر وقتل المترجم فقتل من ساعته مع فرط شجاعته وقتل معه ان عمه صالح اغا ومحمود اغا وهربت العساكر وقتل من العسكر نحو مائة نفس))[١٧٤].

ثالثاً: سياسة استغلال الكورد والاستفادة منهم:

قدم الكورد في بعض الاحيان المساعدة العسكرية للحكام والملوك الذين تواجدوا في كوردستان او سيطروا عليها سواءً في التاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث. حيث ان سمعتهم الكبيرة على الصعيد العسكري اعطتهم سمة النجاح كجنود ومقاتلين في جيوش كثيرة. فكانت الشجاعة والاقدام في الحروب صفة بارزة تحلى بها الكورد عبر المراحل التأريخية،كما يشير الكثير من الرحالة والمؤرخون الاجانب الى ذلك[١٧٥]. ولذلك كان اولئك الحكام يبذلون جهوداً كبيرة لاستغلالهم والاستفادة منهم.

أما العثمانيون فكانوا بارعين في هذا المجال، حيث افادوا في بداية عهدهم في كوردستان فائدة عظيمة من الخدمة التي قدمها الكورد للسلطان سليم الاول باشتراكهم معه في الحرب ضد الصفويين، وكان لذلك تأثير في انتصار السلطان في معركة چالديران كما مرينا سابقاً. ثم ضمن العثمانيون هذه القوة العسكرية رسمياً بموجب الاتفاق المعقود بين الامراء الكورد و السلطان سليم الاول، اذ ينص

---

(١٧٢) انه نمر بن سيد و زعيم قبيلة الدنادية القاطنة في منطقة الشيخان. ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص١٤.

(١٧٣) يذكر ياسين العمري في موضع آخر بانهم كانوا ((نحو خمسة فوارس)). م. ن. ص١٤.

(١٧٤) ياسين العمري، غاية المرام...، ص٣٣. وانظر ايضاً: زبدة الآثار...، ص١٥٦.

(١٧٥) The New Encyclopaedia Britanica, Vol. 7, Micropaedia, 15th Edition, U. S. A, 1986, Art ((Kurd)).

جان مالكم، م.س ،ج٢،ص١٠٩-١١٠.ميريلا غاليتي،التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، ت:د.يوسف حبي، (گۆڤاری کۆڕی زانیاری عیراق ـ دەستەی کورد)، مج(٨) بغدا ١٩٨١، ص٢٨١. المنشيء البغدادي، م.س، ص٥٩.

الاتفاق في احد بنوده على مساعدة الكورد للدولة العثمانية في حروبها. بالاضافة الى المساعدة المالية الكوردية للعثمانيين وفق احد بنود الاتفاق المذكور.

وقد استغل العثمانيون هذين البندين لصالحهم الى اقصى حد، فألزموا الامارات الكوردية بتنفيذ مطاليبهم عبر تقديم العون المادي والبشري لهم. وبذلك افادوا من الكورد فائدة عظيمة في مجالات عدة يمكن تحديدها بثلاثة نقاط:

أ- في مجال حماية الحدود:

لقد بادر العثمانيون منذ عهد السلطان سليم الاول الى اقامة حاجز بشري من العشائر الكوردية في منطقة الحدود مع ايران، ورفعوا عن هذه العشائر جميع انواع الضرائب بشرط ان يؤلفوا جيشاً دائمياً يستخدمه العثمانيون عن الحاجة(١٧٦). وكانت عشيرة حسنانلي احدى تلك العشائر كما ذكرنا سابقاً(١٧٧). وقد سار السلطان سليمان القانوني على هدى تلك السياسة(١٧٨)، كما حذا حذوه السلاطين الآخرون أيضاً(١٧٩). ومما لاشك فيه ان تلك السياسة كانت ناجحة واقتصادية في آن واحد. فمن جهة كانت قد أمنت الافادة من الامكانيات العسكرية الكوردية لحماية الحدود، ومن جهة اخرى قننت التكاليف المادية العثمانية التي كانت قد تبذل في مسألة الدفاع عن الحدود.

ب- في مجال الحروب الداخلية والخارجية:

فمن جراء ايمان الكورد والتزامهم بالاتفاق المبرم بينهم وبين الدولة العثمانية لم يتأخروا عن الاشتراك في حروبها، وقدموا عشرات الآلاف من الضحايا ايفاءاً بالاتفاق وقرباناً للدولة العثمانية(١٨٠). ومما لاشك فيه انه يوجد من بين قبور الذين قتلوا في الحروب العثمانية في افريقيا والبلاد العربية وفي اوروبا على ابواب حصون وابراج فيينا الكثير من القبور التي تحوي رفات

---

(١٧٦)م.س. لازاريف، س. پ، ب١، ل٤٥. عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٤٢.

(١٧٧) يراجع موضوع (التنظيمات الادارية والسياسية في كوردستان) في الفصل السابق.

(١٧٨) شرفخان البدليسي، م. س، ج٢، نقلاً عن: د. كمال مەزهەر، مێژوو، ل١٣٠. سالح محەمەد ئەمین، س. پ، ل٢٨.

(١٧٩) ينظر: شەمعی، س. پ، لە: ئەنوەر سولتانی، س. پ، ل٤٨.

(١٨٠) باسيل نيكيتين، م. س، ص١٦٩.

الشباب الكورد، كما يذكر رفيق حلمي[١٨١]. وقد اشتركت القوات الكوردية في جميع انواع الحروب والمعارك العثمانية، ويمكننا القول انه لم يخل جيش عثماني من الكورد، سواءاً كان هذا الجيش أعد لمحاربة الاعداء الخارجيين أم تشكل لمجابهة المشاكل الداخلية. وفيما يتعلق بالحروب الخارجية يمكن القول ان القوات الكوردية لعبت دوراً ملحوظاً في العمليات العسكرية ضد إيران التي كانت في صراع مستمر مع الدولة العثمانية. حيث كان المسؤولون العثمانيون قد اعتادوا الاستفادة من قوة الكورد ضد الجيش الايراني. فعندما انضم أمير موكري (أميره بك بن الشيخ حيدر) الى الجانب العثماني في عام ١٥٨٣ منحه السلطان مراد الثالث إمارة بابان مع حكم مدينتي الموصل وأربيل، اضافة الى بقاء ممتلكاته السابقة مع لقب (بگلربگی) الذي يضيف كلمة (الباشا) الى اسم حامله، وذلك من أجل تشجيعه على محاربة الدولة الصفوية في تلك الجهات. ولكنهم جردّوه من تلك المناطق التي أضيفت الى ممتلكاته في تطورات لاحقة مخافة ان يستقل بحكم تلك المناطق، وينأى بها عن الحكم العثماني[١٨٢]. واستفاد كذلك والي بغداد حسن باشا ومن بعده أبنه أحمد باشا بدرجة كبيرة من القوات الكوردية في الحملة التي وجهت الى ايران، اذ تم فيها الاستيلاء على مدينتي كرمنشاه وهمدان في سنتي ١٧٢٣و ١٧٢٤ على التوالي، وذلك بفضل مساعدة قوات الامراء الكورد وعلى رأسهم الأمير خانه باشا[١٨٣]، الذي تسلم سيفاً مذهباً من الوالي عرفاناً بخدماته[١٨٤].

---

(١٨١) يادداشت، ب١، چ٢، بەغدا ١٩٨٨، ل٢٥.

(١٨٢) عباس العزاوي، شهرزور...، ص١٧٧-١٧٨.

(١٨٣) اسماعيل عاصم كوچك چلبى زاده، تاريخ چلبى زاده، استانبول ١٢٨٢هـ، ص٨٠، ١٨٢-١٨٣. جوزيف هامر بوركشتال، تأريخ امبراطوري عثماني، ت: ميرزا زكي علي آبادي، تهران، ١٣٦٨ هـ. ش، ج٤، ص٣٠٩٥، ٣١٠٨-٣١٠٩. وكذلك: سليمان فائق بك، حروب الايرانيين في العراق، ت: محمد خلوصي الناصري، نشر من قبل (عبدالجبار العمر) في مجلة (آفاق عربية) ع(٣-٤) سنة ١٩٨٠، ص١٠٢-١٠٥. وحول ترجمة خانه باشا يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٩٦.

(١٨٤) توفيق قەفتان، مێژووی حوکمدارانی بابان لە قەڵاچوالان تا دروستکردنی شاری سلێمانی، بەغدا، ١٩٦٩، ل٤١.

وتشير بعض المصادر الى ان الوالي احمد باشا نصب (خانه باشا) والياً على همدان ولورستان التي كان قد استولى عليها ايضاً عندما أراد العودة الى بغداد في عام ١٧٢٥[١٨٥]. مما يدل على أهمية القوات الكوردية في هذا الحملة. وقد ساعد الكورد العثمانيين في محاولات استعادة بغداد في اعقاب استيلاء الصفويين عليها عام ١٦٢٣، وخاصة الحملة الناجحة التي قادها السلطان مراد الرابع بنفسه في عام ١٦٣٨[١٨٦]. حتى ان الامير السوراني (مصطفى بك) قدم حياته ثمناً لذلك[١٨٧]. كما لقي أمير درنة حتفه ايضاً عندما جابه بقواته الكوردية على الحدود جيوش نادر شاه المغيرة على إيالة بغداد في عام ١٧٣٢[١٨٨]. و ساعدت القوات الكوردية مدينة الموصل عندما حاصرها نادر شاه في ١٧٤٣ حصاراً فاشلاً[١٨٩]. ويجب ان لاننسى الاشارة ايضاً الى المشاركات الكوردية في الجيوش العثمانية خلال حروبها العديدة ضد روسيا[١٩٠] والنمسا[١٩١].

وكانت القوات الكوردية تشارك الدولة العثمانية في حروبها الداخلية أيضاً كما ذكرنا، ومنها الحملات التي كانت توجه ضد المتمردين والثائرين وبالأخص ضد العشائر العربية في العراق ولاسيما

---

(١٨٥) اسماعيل عاصم كوچك چلبى زاده، م. س، ص٣١٥. سليمان فائق، حروب الايرانيين...، ص١٠٧، وكذلك محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليّمانى، ل١٦٢.

(١٨٦) شەمعى، س. پ، لە: ئەنوەر سولتانى، س. پ، ل٥١، ٥٢. محمد سعيد المدرس، گلشن معارف، ج١، أستانبول ١٢٠٢هـ، ص٦٦٧. احمد راسم، م. س، ج٢، ص٥٥٢-٥٥٣. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٥، ص٤٣.

(١٨٧) هامەر، م. س، ج٩، ص١٦. حسين حزنى موكريانى، موجز تاريخ امراء سوران، ص١٦.

(١٨٨) عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ج٢، في: محمد بهجة الاثري، ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، بغداد ١٩٨١، ص٤٤. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٥، ص٢٣٥. يجدر بالذكر ان المصادر الاخرى تذكر ان الامير المذكور قد وقع في الاسر ولا تشير الى مقتله. ينظر مثلاً: ميرزا مهدي خان استرابادي، دره نادره، تصحيح: ميرزا عبدالوهاب، شيراز ١٢٧١هـ، ص١٢٤، وكذلك: نرسيس صائغيان، صفحة منسية من تاريخ نادر شاه، مجلة (لغة العرب) ج(٥) س(٧) بغداد ١٩٢٩، ص٣٨٠.

(١٨٩) ياسين العمري، منية الادباء...، ص٢٧٥. د. سيار الجميل، حصار الموصل، ط١، الموصل ١٩٩٠، ص١٥٠، وانظر ايضاً نص التقرير العثماني الرسمي عن الحادث في المصدر الاول ص٢٧٧-٢٩١.

(١٩٠) ينظر: شەمعى، س. پ، لە: ئەنوەر سولتانى، س. پ، ل٣٧، ٣٩.

(١٩١) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٥، ص١٩٣.

في عهد الولاة المماليك في بغداد[١٩٢].فيذكر لونكريك بهذا الصدد ((كانت قوات شهرزور ذات أهمية كبيرة بالنسبة لحاكم العراق... ولا غرو في ذلك فقد كانوا أقوياء يعدون بالآلاف كما كانوا رهن اشارته في الطاعة يدعوهم متى شاء لقمع ثورة أو لمطاردة ثائر... فقد كان مستوى تجهيزهم وخبرتهم بأمور الحملات اعلى بكثير مما كان عليه الامر لدى القوات العراقية))[١٩٣]. وقد ساعد الكورد والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢) في حملته على عشائر المنتفك في عام ١٧٨٦[١٩٤]. كما لم يتمكن سليمان باشا من القضاء على المتمردين عجم محمد و أحمد بن خليل[١٩٥] في عام ١٧٨٠ الا بعد ان عاضده محمود باشا بابان بقواته[١٩٦]. وفي عام ١٦٥٩ شارك أمير پالو (ابراهيم بك) بقواته البالغة ألف مقاتل تحت راية والي دياربكر في قمع حركة الجلاليين التي اندلعت في الاناضول ضد السلطات العثمانية[١٩٧]. يجدر بالذكر ان المسؤولين العثمانيين في الإيالات العراقية كانوا يستخدمون العشائر العربية في قمع الحركات الكوردية المناوئة لهم في الوقت نفسه.

بالاضافة الى ذلك كان المسؤولون العثمانيون يستخدمون القوات الكوردية في نزاعاتهم الشخصية ايضاً، فعندما توترت العلاقات السياسية بين ايالتي بغداد والموصل في عهد الوالي سليمان باشا الصغير أصدر والي بغداد اوامره الى أمير بادينان زبير باشا كي يساهم في تعزيز القوات التي كانت تتهيأ لدخول الموصل[١٩٨].

وفي هذا الاطار فان الشيئ المؤسف هو ان ذلك السلاح الفعال كان يوجه نحو الكورد انفسهم في أغلب الاوقات، ونستطيع القول ان ضربات كثيرة وجهت الى الكورد على ايدي قوات كوردية[١٩٩]

---

(١٩٢) محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٢٥١. جعفر الخياط، م. س، ج١، ص١١٥.

(١٩٣) اربعة قرون...، ص٢٤٨.

(١٩٤) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٨٧.

(١٩٥) كانا متمردين على ايالة بغداد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وللتفصيل في ذلك يراجع: ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٢١-٢٢٣.

(١٩٦) عثمان بن سند، م. س، ص٢٦. حسين ناظم بيك، م. س، ص١٤٨. محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليمانى، ل٨٤.

(١٩٧) شەمعی، س. پ، لە: ئەنوەر سولتانی، س. پ، ل٥٦.

(١٩٨) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص١٠٠. عماد عبدالسلام، الموصل...، ١٦٥.

(١٩٩) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٥٠. زبير بلال، م. س، ص٢٧٧.

وكان ذلك بتأثير سياسة (فرق تسد) العثمانية كما ذكرنا سابقاً. فكان الكورد يشكلون الغالبية في الجيش العثماني الذي حارب امارة اردلان في عام ١٦٢٩ في اطار محاولات استعادة بغداد من الصفويين(٢٠٠).

وقد كان عدد الكورد في الجيش العثماني الزاحف على امارة بدليس سنة ١٦٥٦ من الكثرة بحيث ان القائد العثماني وهو والي وان (ملك احمد باشا) أوجس منهم خيفة وأخذ الحذر منهم(٢٠١).

كما ترأس الامير البابان ابراهيم باشا حملة عسكرية على امارة بادينان في عام ١٨٠١ لتنفيذ أوامر والي بغداد القاضية بعزل الأمير مراد باشا وتنصيب قباد بك مكانه. وعندما حاولت القوات المهاجمة ـ التي كان معظمها من البابانيين ـ الاستيلاء على آميدي، اشتبكت بمقاتلي قبيلة (السليڤانيه) المدافعة عن القلعة، فوقع خمسون قتيلاً من كل جانب. الامر الذي دفع ابراهيم باشا الى محاولة تسوية المسألة سلمياً، فأبقى مراد باشا على الامارة ونصب قباد بك حاكماً على مدينة ئاكرى (عقره) التابعة لها(٢٠٢).

وكانت القوات الكوردية تلعب دوراً رئيساً في بعض الحملات، بل كانت تشكل في بعضها رأس الرمح في الجيش العثماني(٢٠٣). حيث كانت القوات البابانية بقيادة الامير خانه باشا تشكل مقدمة الجيش العثماني الزاحف نحو همدان في الحملة العثمانية المذكورة سابقاً على ايران(٢٠٤). كما لعب الامير البابان عبدالرحمن باشا بقواته دوراً رئيساً في تنفيذ أوامر السلطات العثمانية القاضية بعزل سليمان باشا الصغير من ايالة بغداد بالقوة. فأبلى الامير المذكور بلاءاً حسناً في المعركة التي وقعت بين الجانبين في عام ١٨١٠م، حتى شهد له مؤرخ المماليك (سليمان فائق بك) فقال: ((قاتل عبدالرحمن باشا قتال الابطال))(٢٠٥). وقام الامير البابان محمود باشا بدور مماثل في عام ١٨١٦ حينما ناصرالوالي الشرعي داودباشا (١٨١٦-١٨٣١) ضد الوالي المعزول سعيد باشا (١٨١٢-

---

(٢٠٠) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٤، ص١٩٧.

(٢٠١) ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل٢٤٩-٢٥٠.

(٢٠٢) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٥٥.

(٢٠٣) ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل٢١١.

(٢٠٤) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٥، ص٢٢٦. توفيق قەفتان، س. پ، ل٤٦.

(٢٠٥) تأريخ المماليك...، ص٤٢. وانظر أيضاً: ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص١١٢-١١٧.

١٨١٦). ويصف المؤرخ المذكور القوات الكوردية التي عاضدت داود باشا بقوله انهم ((ارباب الشجاعة الخارقة والبسالة العجيبة))[٢٠٦].

ومن الدلائل التي تبرز أهمية القوات الكوردية في العمليات العسكرية العثمانية ما قام به المقاتلون الكورد المشاركون في الجيش العثماني الذي دخل في معركة مع القوات الافغانية في ايران سنة ١٧٢٦. فعند بداية المعركة امتنع اكثرهم عن القتال في صفوف الجيش العثماني تاركين أرض المعركة[٢٠٧]. فأدى ذلك الى هزيمة الجيش العثماني مخلفاً وراءه اثني عشر ألف قتيل[٢٠٨]. وكان أحد أسباب محاولة العثمانيين اعادة الامير شرفخان (المؤرخ) الى الدولة العثمانية بإعادة امارته الوراثية (بدليس) اليه في عام ١٥٧٨، هو استغلال خبرته العسكرية في حملتهم على آذربيجان[٢٠٩].

وكان من نتائج تلك الحروب المتواصلة ان قدم الكورد الكثير من الضحايا بالاضافة الى الدمار المادي الذي تعرضت له كوردستان جراء الحروب التي لم تكن لها ناقة فيها ولا جمل.

ج- في مجال الاستفادة المالية:

كانت الدولة العثمانية أو المسؤولون العثمانيون يحصلون على المنافع المادية في كوردستان بطرق عديدة، في مقدمتها جمع الضرائب، التي نص عليها الاتفاق الكوردي العثماني، ويشكل ذلك علامة من علامات التبعية للدولة العثمانية. وكانت الضرائب المذكورة على نوعين:

١- جمع الضرائب من قبل الدولة العثمانية مباشرة في المناطق الكوردية التي تخضع للادارة العثمانية المباشرة[٢١٠]. وكانت تلك الضرائب ثقيلة العبء على كاهل الافراد في أغلب الاحيان. فقد

---

(٢٠٦) تاريخ المماليك...، ص٤٧. ينظر أيضاً: احمد جودت، م. س، ج١١، ص٢٣-٢٩.

(٢٠٧) يذكر لارنس لاكهارت ان القوات الكوردية قد انضمت الى الامير الافغاني في الجانب المقابل (ينظر: انقراض سلسلة صفوية، ص٢٥٣) ولكن المذكور أخطأ في ذلك كما سيظهر في المصادر الاخرى. ينظر: محمد سعيد المدرس، م. س، ج٢، ص١٢٣٤. سليمان فائق، حروب الايرانيين...، ص١٠٩. راجر سيوري، م. س، ص٢٥٢.

(٢٠٨) محمد سعيد المدرس، م. س، ج٢، ص١٢٣٤. جوزيف هامر، م. س، ج٤، ص٣١٢٣. وحول اسباب اتخاذ ذلك الموقف يراجع: سعدى عثمان، م. س، ص٢٩٧-٣٠٠.

(٢٠٩) شەمسی ئیسکەندەر، س. پ، ل٣٠.

(٢١٠) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٨٠.

تفنن العثمانيون في تنويعها وطرق جبايتها لمصلحة الدولة أو لمصالحهم الذاتية في الغالب دون ان يأخذوا الاوضاع المتردية للسكان بنظر الاهمية[٢١١].

٢- الضرائب المفروضة على الامارات والزعامات الكوردية، والتي كانوا يجمعونها بدورهم من الرعايا ليدفعوا المبالغ المحدودة والمستحقة عليهم الى الايالات التي كانوا يتبعونها[٢١٢]. وكانت تلك الضرائب بمثابة الجزية أو المبالغ المقطوعة التي كانت تقدمها الكيانات التابعة الشبه مستقلة الى السلطة المركزية. فعندما يذكر الراهب الايطالي (دومنيكو لانزا) ايالة دياربكر يصفها بـ: ((المترامية الاطراف المحتشدة بالعناصر الكردية المختلفة التي كانت تؤدي الجزية للباشا [يقصد به والي دياربكر]))[٢١٣].

وكانت ايرادات الدولة العثمانية في كوردستان تقدر بمبالغ طائلة نظراً لغناها بالموارد الزراعية. فقد وصلت ايرادات دياربكر والمناطق المجاورة لها في عام ١٥٢٨ فقط الى خمسة وعشرين مليون كيس[٢١٤] أو واحد الى ثمانية مقابلة بايرادات البلقان الداخلية[٢١٥]. ويمكننا ان نعدّ ايالة دياربكر مقياساً نسبياً للايالات والمناطق الاخرى من كوردستان.

بالاضافة الى ذلك كان المسؤولون العثمانيون يحصلون على الاموال بطرق اخرى غير شرعية، منها الرشاوي التي كانوا يأخذونها من الامير الكوردي الطامع في منصب الامارة[٢١٦]. وكذلك الاموال التي كانوا يتقاضونها من الامير الكوردي الذي اعادوا اليه امارته في اعقاب الاستيلاء عليها. وقد ذكرنا سابقاً أن الامير الهكاري زكريا بك لم يتمكن من استرجاع امارته من الدولة العثمانية الا بعد ان دفع مبلغاً كبيراً من المال[٢١٧] وقد أخذ والي بغداد سليمان باشا الكبير ثلاث

---

(٢١١) هـ. س، ل٨٠.

(٢١٢) ئەولیا چەلەبی، س. پ، ل٣٦-٣٧. عثمان بن سند، م. س، ص٣٥.

(٢١٣) ينظر: الموصل في القرن الثامن عشر...، ص٦١.

(٢١٤) الكيس: كانت النقود في الدولة العثمانية تقدر غالباً بالاكياس وخاصة القرش والاقچه، وهي اكياس حقيقية توضع فيها النقود وتختم بالشمع، وقد اختلف محتوى الكيس من زمن الى آخر ومن منطقة الى اخرى. ينظر: هاملتون جيب و هارولد بوين، م. س، ج١، ق٢، ص٦٦-٦٧.

(٢١٥) The Cambridge Hist., Vol. 1A, P316.

(٢١٦) ينظر موضوع (التدخل العثماني في الشؤون الداخلية...) في هذا الفصل.

(٢١٧) شرفخان البدليسي، م. س، ص١٣٦.

مئة كيس آقچه[٢١٨] من الامير البابانى محمود باشا في عام ١٧٨٢م لقاء السماح له الاحتفاظ بامارته. كما أخذ الوالي المذكور مبلغاً مماثلاً من محمود باشا بن تمر باشا السوراني مقابل تنصيبه حاكماً على كويه و حرير اللتين استقطعتا من مناطق حكم الامير البابانى السالف الذكر[٢١٩]. كما كان المسؤولون العثمانيون يحصلون على الاموال من الغنائم التي كانوا يغنمونها من حملاتهم الكثيرة على الامارات والعشائر الكوردية وعلى الكورد الايزديين أيضاً. فقد غنم والي بغداد علي باشا (١٨٠٢-١٨٠٧) في عام ١٨٠٢ ستين الف رأس من الغنم وألف رأس بقر والف رأس خيل من قبيلة البلباس كما ذكرنا سابقاً[٢٢٠].

وذلك بالاضافة الى تشجيع بعض الولاة الاكثر طمعاً لعمليات السلب والنهب وقطع الطرق ومشاركة القائمين بها في الارباح والايرادات[٢٢١].

(٢١٨) الآقچه: كلمة تركية تعني العملة الضاربة الى البياض، فهي عملة فضية يعزى ضربها الى عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨-١٣٢٩م. وكانت تعدّ وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية، ولكنها تعرضت لتبدلات كثيرة من ناحية الوزن والعيار والقيمة خلال القرون التالية. وكانت تعرف في الايالات العربية بالدرهم أو الدرهم العثماني. ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود...، ص١٤١.

(٢١٩) حسين ناظم بيگ، م. س، ص١٥٠-١٥١.

(٢٢٠) يراجع موضوع (السياسة تجاه العشائر) في هذا الفصل.

(٢٢١) ينظر: ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٩٦. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٧٩.

رابعاً: سياسة القوة المهيمنة:

كانت السياسات أو الممارسات السابقة سياسات وأجراءات مبطنة، اذ انها كانت مدعمة بحجج تحاول تبرير افعال المسؤولين العثمانيين ظاهرياً، مع كون تلك الحجج واهية ولا تساندها الحقيقة والواقع في اغلب الاحيان. كما ان بعض تلك السياسات كانت تستند الى بنود الاتفاق الكوردي العثماني نفسها، كسياسة (الاستغلال والاستفادة من الكورد) السالفة الذكر. ولكن العثمانيين كانوا في بعض الاحيان يلجأون الى اتباع سياسات سافرة أو غير مبررة الا بحجج كانت ضعيفة جداً بحيث لا تكاد تقنع احداً حتى أنفسهم، أو لاتستند الى أي اساس قانوني أو منطقي باستثناء المبدأ الاستبدادي القائل: ((الحق مع القوة)). ومن الارجح انهم كانوا يلجأوون الى هذه السياسة عندما كانوا يعجزون عن ايجاد سياسات اخرى اكثر منطقية ،كفيله بأيصالهم الى غايتهم المنشودة في الحالة التي كانت بين ايديهم. أو عندما كانت السياسات السابقة تفشل عن الاتيان بثمارها. كما كانوا يتوسلون بتلك السياسة عندما كانت الحالة المراد معالجتها تتطلب سرعة العمل للحيلولة دون استفحال خطرها، أو بسبب نفاذ صبر المسؤولين العثمانيين على السياسات السابقة التي قد تكون بطيئة التنفيذ ولا تؤمن عواقبها.

ولا نحتاج الى بذل جهد كبير للوقوف على حوادث تاريخية ترجح تلك التوجهات التي أوردناها لتحديد اسباب التوسل بذلك النهج، الذي كان من ركائزه الاساسية جمع اكبر قدر ممكن من القوة سواءاً كانت من الجانب العثماني أم من الكورد أنفسهم، والتوجه بها الى المنطقة المقصودة للقضاء على الامير الكوردي الناقم عليه. ففي عام ١٦٤٠ قام والي ارضروم العثماني في اطار تلك السياسة بالزحف على مصطفى بك أمير شوشيك[٢٢٢]، بحجة شكوى الحكومة الايرانية منه، فاستولى على قلعته بمساعدة من الكورد أنفسهم ودمر امارته تدميراً تاماً[٢٢٣].

وتعد حادثة الهجوم على امارة بدليس في عام ١٦٥٦ من قبل والي وان (ملك احمد باشا) مثلاً بارزاً على سياسة القوة العثمانية المهيمنة أيضاً. فقد كان الوالي المذكور يمثل النموذج الامثل بين المسؤولين العثمانيين الذين كانوا ينتهجون تلك السياسة. وكان يعتمد في ذلك على صلته بالسلطان العثماني، فلم يكن يفوت فرصة في تطبيق السياسة العثمانية الهادفة الى كسر شوكة الامارات الكوردية[٢٢٤].

---

(٢٢٢) قلعة شهيرة في منطقة بايزيد بشرقي ارضروم. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٠٥.

(٢٢٣) م. ن، ص٢٠٥.

(٢٢٤) م. ن، ص٢٠٤.

بلغت امارة بدليس في تلك الفترة المذكورة درجة عالية من الغني و الازدهار. فأصبحت تضاهي قوة و سطوة الايالة التي كانت تتبعها (إيالة وان)، اذ كانت اشبه بحكومة مستقلة قائمة بذاتها على حد قول السائح العثماني (اوليا چلبى)[٢٢٥]. الامر الذي جعلها محل حسد وغيرة ملك احمد باشا الذي كان يغتنم الفرص للايقاع بها والاستيلاء على أموالها، وقد بذل بالفعل محاولات عدة على هذا الطريق لكنها لم تكن حاسمة[٢٢٦]. الا انه تمكن من تحقيق هدفه في عام ١٦٥٦ وذلك عندما زحف على بدليس في عهد أميرها (أبدال خان)، فسقطت دفاعات بدليس واستسلمت للقوات المغيرة التي كان اكثرها من الكورد، واستولى ملك احمد باشا على كنوز الامارة[٢٢٧] بعد ان تمكن الامير ابدال من النجاة بنفسه بصعوبة[٢٢٨].

يجدر بالذكر ان ملك احمد باشا كان قد تذرع في عمله هذا بحجة قيام الامير أبدال خان بنهب الرعايا وقطع الطرق على التجار، ولكنه أعترف سراً لأولياچلبى الذي كان يرافقه في تلك الحملة ببطلان تلك الحجة وأوضح بان غرضه الاصلي كان الانتقام من الامير المذكور عملاً بوصية السلطان مراد الرابع له[٢٢٩]. ويدل ذلك على ان الهدف الاساسي لتلك العملية كان يتمثل في القضاء على هذه الامارة التي بلغت درجة واضحة من القوة والازدهار بحيث صارت تشكل خطراً على ولائها للدولة العثمانية، ولم يستطع العثمانيون القضاء عليها بغير هذه الوسيلة.

وقد شكلت تلك السياسة العثمانية ظاهرة فاضحة للاستبداد العثماني وسطوة المسؤولين العثمانيين، ولم يكن ذلك الاستبداد خافياً حتى على الرحالة الاجانب الذين كانوا يمرون بالمنطقة مرور المسافرين. فقد عبر لنا الرحالة الفرنسي (أوليفييه) عن انطباعاته عن تلك البلاد، مبدياً حسرته حين دون: ((ان الآلام التي يتحسسها الانسان المرهف الحس في كل خطوة وهو يجتاز مناطق يفسد فيها الاستبداد كل ما حواليه، وحيث التعصب يحد اسنانه، ولا تسبب القوة سوى الدمار، والخوف سوى الهرب أو الاهمال...))[٢٣٠]

---

(٢٢٥) ينظر: سياحەتنامەى ئەوليا چەلەبى، ل١٠٦-١٠٧.

(٢٢٦) هـ. س، ل١٤٩-١٥٠. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٠٥.

(٢٢٧) لمعرفة كمية الغنائم وتفاصيلها يراجع: ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل٢٧٨-٢٧٩.

(٢٢٨) هـ. س، ل٢٦٥-٢٦٦. عزالدين مصطفى رسول، احمدي خاني ١٦٥٠-١٧٠٧/ شاعراً ومفكراً وفيلسوفاً ومتصوفاً، بغداد ١٩٧٩، ص٥٦.

(٢٢٩) ئەوليا چەلەبى، س. پ، ل٢٧٠. ولمعرفة تفاصيل الحملة وتطوراتها ونتائجها راجع نفس المصدر.

(٢٣٠) رحلة أوليفييه...، ص١٩١.

الفصل الرابع

(مواقف الامارات الكوردية و الدول المجاورة
من السيادة العثمانية على كوردستان)

أولاً: الموقف الكوردي إزاء السيادة العثمانية:

لقد حاول الكورد جاهدين خلال العهد العثماني (الفترة المعنية بدراستنا) أن يحافظوا على استقلالهم الذاتي وسلطاتهم المحلية التي ضمنها الاتفاق الكوردي العثماني لهم. ففي الوقت الذي كان العثمانيون يحاولون فرض المزيد من السلطات على الامارات الكوردية، كانت هناك محاولات كوردية لتتجنب تلك السلطات والتدخلات العثمانية.فقد حاول ادريس البدليسي منذ البداية وخلال تنظيماته الادارية في كوردستان أن يبعد قدر الامكان اية محاولة لفرض السيطرة العثمانية المباشرة على كوردستان(١). وكان ذلك بموجب نصوص الاتفاق المذكور، وبذلك احتفظ الامراء الكورد بحكم اماراتهم وحافظوا على استقلالهم السابق رغم قبولهم بالسيادة العثمانية(٢). حيث لم يؤثر ذلك في الاستقلال الداخلي للامارات الكوردية بأي شكل من الاشكال. ولم تكن السلطة العثمانية تتضمن اكثر من تقديم المساعدة المالية والعسكرية من قبل الكورد للدولة العثمانية، أما مسألة السيادة العثمانية على كوردستان فكانت اسمية فقط كما مرينا سابقاً.

ولكن العثمانيين حاولوا في الفترات اللاحقة ضرب ذلك الاستقلال الذاتي الكوردي وفرض السيادة العثمانية على الامارات الكوردية تدريجياً، إذ حاولوا النيل من الاستقلال الكوردي شيئاً فشيئاً عن طريق السياسات المذكورة التي اتبعوها في كوردستان. بالرغم من ذلك لم يقف الكورد مكتوفي الايدي من تلك السياسات، اذ بادروا الى الدفاع عن حقوقهم السياسية واستقلالهم الداخلي ونجحوا في ذلك الى حد كبير، إذ تمكنوا من الحفاظ على كياناتهم السياسية وسلطاتهم المحلية خلال قرون عدة.

وقد زودنا الرحالة الاجانب الذين مرّوا بكوردستان في تلك الفترة بمعلومات كثيرة تدل على بقاء عدد من الامارات الكوردية بصورة شبه مستقلة حتى أواسط القرن التاسع عشر، حينما حاولت الدولة العثمانية اعادة فرض السلطة المركزية على أرجاء الامبراطورية كافة(٣). ويدل ذلك على فاعلية المواقف الكوردية المضادة للسياسات العثمانية الهادفة الى التقليل من السلطات الكوردية، تلك المواقف التي أتخذت شكلين:

---

(١) Parry, op. cit, P72.

(٢) Show, op. cit, vol. 1, P82.

(٣) ئەولیا چەلەبی، س. پ، ل٢٨، ٣٣، ٨٨، ١٠٦، ٢١٠. جيمس بيكنغهام، م. س، ص٢٢.
Fraser, op. cit, vol. 1, P258.

أ- نظرة الكورد للعثمانيين:

لقد انعكست السياسات العثمانية الجائرة وسوء تصرف المسؤولين العثمانيين في كوردستان على نظرة الكورد للعثمانيين فأتخذوا موقفاً سلبياً منهم، ولكن الامر لم يكن كذلك طول المدة المعنية بالدراسة.

كنا قد ذكرنا في الفصل الثاني أهم الدوافع التي أدت بالكورد الى قبول النفوذ العثماني، وتبين لنا بان أهم تلك الدوافع كان يتمثل في النفور من السياسة الصفوية الهادفة الى ضرب السلطات الكوردية والقضاء على كياناتهم المحلية. ولذلك كان الكورد يعدّون الدولة العثمانية قوة منقذة لهم. بالاضافة الى العامل المذهبي وميل الكورد - وهم سنيّو المذهب - الى الدولة العثمانية السنية نظراً لسيادة العاطفة المذهبية آنذاك(٤). واعتماداً على هذين العاملين يمكننا الجزم بان الغالبية من السكان الكورد قد اتخذوا موقفاً إيجابياً من العثمانيين في بداية عهدهم في كوردستان، بل يمكن القول ان العثمانيين كانوا موضع احترام الكورد عموماً.

ولكن يبدو ان الحالة قد تغيرت فيما بعد ليتحول العثمانيون الى ان يكونوا موضع حقد وكره الكورد، وقد لاحظ العديد من الرحالة ذلك الحقد الكامن في نفوس الكورد ازاء العثمانيين. فالمقيم البريطاني (ريج) الذي قام برحلة الى السليمانية في عام ١٨٢٠ يصرح: ((ان الاكثرية الساحقة في هذه البلاد لاتكن الاحترام للعثمانيين أو الثقة بهم...))(٥). أما (فرايزر) الذي وصل الى المنطقة التي تقع بين ارضروم وخوى في عام ١٨٣٣ فيكتب: ((في بلاد كهذه لاتساوي الفرامين من السلطان أو الباشا [والي ارضروم] سوى قصاصة ورق... والكورد يكرهون العثمانيين بصورة عامة))(٦).اما الرحالة الفرنسي (اوليفييه) فيصف الكورد قائلاً ان ((اختلاطهم بالاتراك قليل، ولايسمحون، على قدر الامكان، ان يتغلغل الاتراك في جبالهم، ويمنعونهم خاصةً في الاقامة في قراهم، ولايترددون حين تسنح الفرصة عن مخالفة الرسوم التي يفرضها عليهم الباب العالي. ان هذا الانعزال وهذا الحذر، وهذا الحقد الذي يكنون لمن يدعون باسيادهم ، جعلت الاكراد، على غرار

---

(٤) يراجع موضوع (دوافع قبول الامراء الكورد بالنفوذ العثماني) في الفصل الثاني.

(٥) رحلة ريج...، ص٥١.

(٦) Fraser, op. cit, vol. 1, P256.

اجدادهم الكرد ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وشيء من الحرية يبدو انهم يعتدون بها كثيراً)).[٧]

ومما لاشك فيه ان ذلك الحقد كان يرجع الى السياسات العثمانية القاسية والى سوء تصرف المسؤولين العثمانيين والادارة العثمانية في كوردستان، فقد كانت ((ادارتهم السياسية ادارة عمياء متعجرفة وخداعة)) كما يقول ريج[٨]. وقد تجلى تعسف المسؤولين في فرض الضرائب والرسوم الباهضة على الكورد بشكل عام وعلى الفلاحين بشكل خاص. وذلك بالاضافة الى الضغوط الاخرى التي كانت تلقيها القوات العسكرية العثمانية من ظلم وتدمير للمزارع والموارد الاقتصادية ونهبها[٩]، وخاصةً اثناء الحملات العثمانية التي كانت توجه الى القبائل الثائرة أو الامارات التي رفضت ان تلبي طلباً من الطلبات العثمانية الكثيرة، إذ كانت هذه القوات تقوم بتدمير ونهب مايقع تحت أيديها في غالب الاحيان. ولنا فيما قام به والي بغداد سليمان باشا ابو ليلة خير مثال على ذلك، إذ قام في عام ١٧٥٢ في اطار احدى الحملات على الايزديين بأرسال ثلاث مئة راس من رؤوس الايزديين المقطوعة الى الاستانة، وبعد ان ذبح الكثيرين منهم وقام جنوده بتدمير المساكن واقتلاع البساتين واحراق المزارع وقتل من وقع تحت قبضتهم[١٠].

وكانت المعاملة القاسية التي يبديها المسؤولون العثمانيون للكورد تشكل عاملاً آخر من عوامل الحقد الكوردي على العثمانيين، وخاصة عندما تنتصر القوات العثمانية على الثائرين أو المتمردين الكورد. إذ لم يكونوا يتوانون حينذاك عن انزال أقسى العقوبات بهم.وقد شاهد الرحالة الروسي (ديتل) أحد هذه المشاهد بنفسه عندما كان في الموصل في أربعينات القرن التاسع عشر، وذلك عندما وضعوا كوردياً متهماً بمعارضة الحكومة على الحرقة في ساحة المدينة، كما شاهد أعدام كوردي آخر اشترك في انتفاضة قومية عندما غطس حياً في قدر من الماء المغلي[١١].

---

(٧) رحلة اوليفييه...,ص١٢٦.

(٨) رحلة ريج...، ص٥٢.

(٩)ن.أ. خالفين، م. س، ص١٩. جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٧٩.

(١٠) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٢٤.

(١١) ديتل، رحلة في الشرق- الكورد وبدرخان، مجلة (بيبلوتيكا دلياجتينا) مج (٩٥) س (١٨٤٩)، ص٢٠٠، نقلاً عن: ن.أ.خالفين، م. س، ص٢٠.

وفي النهاية نشير الى نظرة الازدراء وعدم الثقة التي كان يبديها بعض المسؤولين العثمانيين ازاء الكورد. فيروي لنا (ريج) قول أحد الحاضرين في مجلس حضره عندما كان في السليمانية عام ١٨٢٠ قائلاً: ((اليس من العار ان يرضى أمراؤنا بالذهاب الى بغداد حيث يكرهون على الاذعان الى تركي ابتيع قبل مدة كما تبتاع الانعام[١٢] ببعض مئات من القروش، وهو ان انفعل خاطب أياً منا بقوله: أيها الكردي (...)(...))[١٣]. وكان من الطبيعي ان يتولد جراء كل تلك العوامل هذا الحقد على العثمانيين لدى الكورد، والذي كان يتنامى بنمو الاستبداد العثماني وتطوره بمرور الوقت.

ب- الحركات الكوردية المسلحة:

اتخذ الكورد الى جانب ذلك الموقف السلبي الذي اتخذوه من العثمانيين جراء تعسفهم الاداري والاقتصادي والسياسي في كوردستان، موقفاً آخر يمكن ان يسمى بردّ الفعل الايجابي والعنيف، ونقصد بذلك اتخاذ الموقف الاكثر فاعلية، والذي كان يتجسد في الحركات المسلحة المناهضة للعثمانيين أو لموقف من مواقفهم ازاء الكورد أو أحدى الامارات الكوردية.

وقد أتخذ الكورد في كثير من الاحيان طريق المقاومة المسلحة خلال العهد العثماني للدفاع عن مصالحهم وحقوقهم السياسية المشروعة. فنشبت جراء ذلك انتفاضات وحركات كوردية مسلحة كثيرة. وبالاستناد الى مطالعة أحداث أهم الحركات المسلحة في الجزء العثماني من كوردستان طوال الفترة المعنية بدراستنا- باستثناء الفترة الاخيرة التي حاولت فيها السلطات العثمانية اتباع سياسية جديدة في كوردستان- يمكننا ان نورد اهم العوامل التي ادت الى اندلاع تلك الحركات والانتفاضات بالشكل الآتي:

١- ان بعض الامراء الكورد الذين كانوا يحملون تطلعات سياسية كوردية تعرقلها السيادة العثمانية كانوا يجدون انفسهم في موقف مضاد للدولة العثمانية، مما كان يؤدي بهم الى القيام بحركات أو انتفاضات مسلحة بهدف تحقيق أهدافهم السياسية، سواءً كانت تلك الاهداف عبارة

---

(١٢) يقصد به الوالي داود باشا الذي كان جورجي الاصل وسرقه بعض السارقين من مدينة تفليس وهو في الثانية عشرة من عمره وباعوه ببغداد فانتقل من يد الى يد حتى وصل الى الوالي سليمان باشا الكبير، حيث عني بتربيته وترقي في المناصب حتى اصبح والياً على بغداد في عام ١٨١٦. يوسف عزالدين، م. س، ص٣٨-٤٥.

(١٣) رحلة ريج...، ص٦٣.

عن توسيع رقعة إماراتهم، أم تتمثل في محاولة ممارسة المزيد من السلطات على مناطق نفوذهم، أم محاولة بناء قوة سياسية بارزة على أساس إماراتهم. تلك المحاولات التي كان العثمانيون يعدّونها عصياناً أو تمرداً مسلحاً لانها كانت تهدد نفوذهم وسيادتهم على المنطقة، فيتخذون موقفاً متشدداً منها، ويسعون الى القضاء عليها. وعند دراسة اسباب الحركات الكوردية المسلحة وعواملها في تلك الفترة يقف الباحث على كثير من الامثلة على ما ذهبنا اليه. اذ كان أحد اسباب اصطدام الامير البابانى عبدالرحمن باشا بالسلطات العثمانية يتمثل في الطموحات التي كان يحملها الامير. حيث يؤكد العديد من المصادر على تلك الطموحات السياسية التي كان يحاول تنفيذها وهي تقوية ساعد الامارة لتحقيق المزيد من الاستقلال لها(١٤).

بالاضافة الى ذلك المثال هنالك مثال آخر اكثر بروزاً يتمثل في محاولات محمد باشا السوراني المشهور بـ(پاشاى گەورە- الباشا الكبير). فقد شجعه ضعف الدولتين العثمانية والايرانية في عهده على محاولة بناء كيان سياسي كوردي قوي على أساس امارته. اذ ان بناء القلاع الحصينة في امارته وضرب النقود وبناء المصانع المحلية للاسلحة والذخائر العسكرية ومحاولة تحقيق العدالة وعقد العلاقة مع والي مصر محمد علي باشا(١٥)، كانت تمثل أدلةً على سعة طموحاته السياسية والوطنية(١٦). ومن الامور الاخرى التي تبين ذلك قوله: ((ليس لي دخل في ممتلكات حكومة ملك الاسلام [السلطان العثماني] ولكن اذا وفقني الله فأنني سوف أسخر وأضبط الحكومات التي تحت تصرف أقطاعيي كوردستان))(١٧).

٢- وكانت تلك الانتفاضات في بعض الاحيان نتيجة رد فعل كوردي على السياسات العثمانية الجائرة في كوردستان، اذ لم تكن تلك السياسات تمر دائماً مرور الكرام على الكورد.

---

(١٤) كلوديوس ريج، م. س، ص٤٠. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٨. جەلیلی جەلیل، س. پ، ل٩٤.

(١٥) محمد علي باشا: ولد في البانيا عام ١٧٦٩ وأرسله العثمانيون على رأس قوة عسكرية لمحاربة فرنسا في مصر، وصل به المطاف هناك الى ان اصبح والياً على مصر في عام ١٨٠٥، وبذل مجهودات عظيمة لتحديث مصر وتوسيع رقعة نفوذ دولته، مات في عام ١٨٤٨. محمد فريد بك ، م. س، ص١٩٢-١٩٣.

(١٦) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٣. کاوس قەفتان، س. پ، ل٥٠.

(١٧) مەلا ئەسعەد خەیلانی، تەئریخی سوران (وهي مخطوطة للمولف الذي عاش في الفترة مابين (١٨٥٤-١٩٣١). الفت في بداية عشرينات القرن العشرين، والمؤلف هو ابن (ملا عمر افندي الخيلاني) الذي عاصر محمد باشا السوراني) نقلاً عن: جەمال نەبەز، بیری نەتەوەیی کوردی نەبیری قەومیەتی رۆژهەلاتییە و نەبیری ناسیونالیزمی رۆژئاواییە، ستۆکهۆلم/ سوید ١٩٨٤، ل٣٦.

فكانوا يتصدون لها في أغلب الاحيان وبالأخص تلك السياسات التي كانت تمس مصالحهم واوضاعهم مباشرة. وكذلك فان الامراء الكورد لم يكونوا يقفون مكتوفي الايدي أمام الاجراءات العثمانية التي كانت تهدد امتيازاتهم ومصالحهم الشخصية. فكانوا يلجأون الى القوة المسلحة للتصدي لتلك الاجراءات التي قد تتجسد في امر عثماني يقضي بعزل الامير الكوردي أو محاولة لفرض المزيد من النفوذ على الامارة الكوردية أو أجراءات اخرى.

وللتدليل على بعض ردود الافعال الكوردية نورد بعض الامثلة: فعندما قدم الامير البابانی ابراهيم باشا بقوة من جيش ايالة بغداد لاقامة قباد بك[١٨] أميراً على امارة بادينان في عام ١٨٠١، نجد الامير البادينی (مراد باشا) يرفض ذلك ويشتبك بالقوات المهاجمة، فقتل خمسون شخصاً من كل جانب ثم نزل الأخير من آميدي ليقابل ابراهيم باشا فخلع عليه الاخير وأقره على منصبه[١٩].

كما ان الامير علي ابن جان بولاد[٢٠] قد انتفض على الدولة العثمانية بعدما علم بان القائد العثماني جغاله زادة سنان باشا[٢١] قد قتل أخاه الامير حسين[٢٢] في بداية القرن السابع عشر بحجة عدم مساندته في الحرب مع ايران عندما طلب منه ذلك[٢٣].

٣- و الى جانب ذلك كانت هناك عوامل اخرى منها اقتصادية تتمثل في سوء الاحوال المعاشية للشعب الكوردي نتيجة جور الملاكين الاقطاعيين وتعسف المسؤولين العثمانيين في فرض الضرائب الباهضة، وعمليات النهب التي كانوا يمارسونها ضد السكان الكورد بشكل عام والفلاحين بشكل خاص. بالاضافة الى العامل الوطني المتمثل في محاولة التخلص من السيادة

---

(١٨) كانت تلك الحملة بناءاً على طلب قباد بك، أنور المائي، م. س، ص١٦١.

(١٩) صديق الدملوجي، م. س، ص٣٦.

(٢٠) حول ترجمته يراجع: محمد المحبي، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، ج٣، بيروت (د.س).

(٢١) كان ايطالي الاصل وقد حمل أسيراً الى الاستانة حيث اسلم وحينما شب ترقى في المناصب حتى اصبح صدراً أعظماً في عام ١٥٩٦ لكنه تنحى من منصبه بعد أربعة اسابيع، وكان له شأن كبير في الحروب العثمانية. دائرة المعارف الاسلامية، مج١٢، مادة: جغاله زادة.

(٢٢) هو الامير حسين بن جاد بولاد الذي كان اميراً على كليس في تلك الفترة. حول ترجمته يراجع: محمد المحبي، م. س، ج٢، ص٨٤. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٨٠.

(٢٣) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٦. سالح قەفتان، س. پ، ل٣٤٧، وسنأتي على تفاصيل ذلك فيما بعد.

العثمانية الاجنبية[٢٤]. يقول الباحث السوفياتي (فليجفسكي) بصدد الحركات الكوردية في مناطق بايزيد و وان والتي اندلعت في الربع الاول من القرن التاسع عشر: ((القضية لم تكن مجرد دسائس بعض الزعماء بل كانت ثورة جماهير صحيحة فالجماهير الكوردية تحت حكم الاتراك كانت تقاسي أبشع انواع الظلم من حكامها الطغاة))[٢٥]. وفي معرض تعليقه على الحركات الكوردية التي حدثت اثناء الحرب الروسية العثمانية (١٨٢٨-١٨٢٩) يذكر الباحث المذكور: ((لقد عمت الثورة بلادهم [كوردستان] آنذاك وكانت موجهة ضد الاقطاعيين الاتراك والاكراد على السواء... ولم يكن العامل الاقتصادي وحده سبب الثورة، فللعقيدة الوطنية أيضاً عمل كثير فيها وقد شرعت هذه العقيدة تتبلور اولاً في بيئة النخبة عند الزعماء وفي محيطهم حتى بلغت الجماهير))[٢٦].

٤- كانت الانتفاضات المسلحة الكوردية في بعض الاحيان نتيجة توافق الطموحات السياسية لدى أمير كوردي مع تشجيع خارجي. ونقصد بذلك وجود الدعم الايراني[٢٧] للأمير الكوردي الذي يضمر في داخله نية الوقوف في وجه الدولة العثمانية. أو قد لا يضمر الامير المعنى تلك النية بل تتولد لديه النية جراء التشجيع الخارجي.

ونستدل على ذلك من حوادث بعض الانتفاضات الكوردية وبالاخص في امارة بابان الواقعة على حدود الدولة العثمانية مع ايران. فقد قام الامير البابانى سليم باشا بحركاته المناهضة للدولة العثمانية بعد ان استند على دعم نادر شاه له[٢٨]. ومن الامثلة الاخرى على ذلك مايرويه (ريج) منّ ان المسؤولين الايرانيين راسلوا عبدالله باشا بابان[٢٩] ليحرضوه على القيام بعمل عسكري ضد الامير البابانى الحاكم والسلطات العثمانية. وقام عبدالله باشا بأخفاء

(٢٤)ن.أ. خالفين، م. س، ص١٩. عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٨٧.

(٢٥) فلجيفسكي، الاوضاع الاقتصادية لاكراد ماوراء القفقاس، في مجلة (سوفيتسكايا ايتنوكرافيا) ع(٤-٥) س (١٩٣٦)، نقلاً عن: جلال الطالباني، م. س، ص٨٢.

(٢٦) نفس المصدرين، ص٨٣.

(٢٧) سنأتي على تفاصيل الدور الايراني وتدخلاتها في كوردستان التابعة للدولة العثمانية في المبحث التالي.

(٢٨) رسول الكركوكلي، م. س، ص٩٤، محمد امين زكي، تاريخى ولآتى سليمانى، ل٦٧. حسين حزنى موكريانى، ميژووى كورد و نادرشا، ل٥٩-٦٠.

(٢٩) هو عم محمود باشا الذي كان أميراً على بابان خلال رحلة (ريج) الى السليمانية عام ١٨٢٠، أي انه كان أخي عبدالرحمن باشا البابانى.

الرسالة رغم انه حلف اليمين لمحمود باشا على عدم اخفاء اية رسالة قد تأتيه من ايران أو الدولة العثمانية، مما يدل على موافقته الضمنية على الرسالة. ولكنه لم يوفق في ذلك فسرعان ما عرف والي بغداد بذلك وأخبر محمود باشا بالامر وقام الأخير باعتقال عبدالله باشا(٣٠).

٥- بالاضافة الى كل ذلك، فقد كان بعض الامراء الكورد يلجأون في بعض الاحيان الى القيام بالحركات المسلحة والانتفاضة نتيجة سوء احوالهم المعاشية بعد ان انتزعت منهم ممتلكاتهم أو مناصبهم من قبل الدولة العثمانية، فتدفع بهم الفقر الى المغامرة والعمل المسلح، ولنا في حادثة الامير الايزيدي ميرزا داسني مثال على ذلك، فقد أناط اليه السلطان مراد الرابع حكم إيالة الموصل مكافأة له على خدماته في عملية استعادة بغداد عام ١٦٣٨، كما نال لقب الباشوية. ولكن العثمانيين قاموا فيما بعد بعزله دون أن يعطوه أي منصب. فأضطر الامير المذكور الى الذهاب الى استانبول ليبقى فيها مدة من الزمن، حتى يئس من سوء حالته وتدهور أوضاعه المعاشية وذلك في عام ١٦٥١، فعبر مع جمع من رجاله الى الاناضول معلناً التمرد والعصيان. فردت عليه السلطات العثمانية وقتلت عدداً من أتباعه، كما تم القبض على ميرزا داسني وقتل أيضاً(٣١).

نتيجة تلك العوامل وعوامل اخرى أقل أهمية لم تشهد المناطق الكوردية التابعة للدولة العثمانية حالة سلم طويلة طوال الفترة المعنية بالدراسة، بل ان الحركات المسلحة والانتفاضات الكوردية كانت مستعرة في منطقة من مناطقها بأستمرار أو في مناطق عدة منها في بعض الاحيان. وسنعرض بعض الحركات والانتفاضات الكوردية على سبيل المثال:

١- انتفاضة ابن جان بولاد:

قام القائد العسكري العثماني جغاله زادة سنان باشا في عام ١٦٠٥ بقتل الامير (حسين بك بن جان بولاد بك) امير كليس الذي كان قد اصبح والياً على إيالة حلب في السنة نفسها. وذلك بدعوى تخلفه عن المشاركة في حرب الدولة الصفوية الى جانبه حينما دعاه الى ذلك(٣٢). فقد عدّ القائد العثماني المذكور عدم مشاركة الامير حسين باشا سبباً للهزيمة التي مني بها أمام

(٣٠) كلوديوس ريج، م. س، ص١٠٣.

(٣١) ياسين العمري، منية الادباء...، ص٧٤-٧٥. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٥، ص٤٣.

(٣٢) محمد المحبي، م. س، ج٢، ص٨٧. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٦.

الصفويين في اطراف (سلماس) في عام ١٦٠٥[٣٣]. وقد أدت تلك الحادثة الى غضب الامير علي بن جان بولاد بك أخي[٣٤] الأمير حسين باشا، فتوجه الى حلب ليعلن عن انتفاضة مسلحة ضد الدولة العثمانية توسع نطاقها لتشمل الانتفاضة أطراف الشام وقراها. حيث مد الأمير نفوذه الى مدينة طرابلس الشام[٣٥] وكذلك حمص وبعض النواحي الاخرى في الشام، فلما ترسخ نفوذه أعلن استقلاله[٣٦]. إذ تم له تأليف جيش كبير وسك باسمه النقود كما ذكر اسمه في الخطب، وفي عام ١٦٠٧ عقد معاهدة مع دويلة توسكانا الايطالية[٣٧]. وكانت تلك الانتفاضة متزامنة مع ((اضطراب الاحوال في الولايات الشرقية عموماً وسعي كل امة من الامم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال)) كما يذكر أحد المؤرخين[٣٨] قاصداً بذلك انتفاضة الجلاليين في الاناضول وحركة الامير فخرالدين الدرزي[٣٩] في لبنان[٤٠]. كا أستغل المنتفضون فرصة انشغال الدولة العثمانية بمحاربة النمسا في تلك الفترة[٤١].

---

(٣٣) Uzunçarşili, op. cit, cilt 3, S. 104.

(٣٤) يقول محمد المحبي انه ابن أخي الامير حسين وليس أخاه. ينظر: خلاصة الاثر...، ج٢، ص٨٤، ولكن الصحيح ما ذكرناه في المتن.

(٣٥) مدينة تقع في شمالي لبنان، تشكل حالياً مركزاً لمحافظة طرابلس وهي مرفأ تجاري هام، بسط العثمانيون السيطرة عليها عام ١٥١٦. المنجد في الاعلام، ط١٢، مادة: طرابلس.

(٣٦) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٦. Uzunçarşili, op. cit, cilt 3, S. 105.

(٣٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٦. Uzunçarşili, op. cit, cilt 3,S. 105.

سالح قەفتان، س. پ، ل٣٤٧. توسكانا: احدى الدويلات الايطالية قبل تحقيق الوحدة الايطالية في القرن التاسع عشر.

(٣٨) محمد فريد بك ، م. س، ص١٢٠.

(٣٩) هو الامير فخرالدين الثاني المعروف بالامير الكبير (١٥٧٢-١٦٣٥) أمير الامارة المعنية في لبنان وهو الذي سعى الى الاستقلال عن الدولة العثمانية متحالفاً مع الامير علي ابن جان بولاد. وكان له شأن كبير في تنمية بلاده. ابراهيم خليل احمد، م. س، ص١٠١-١٠٢.

(٤٠) م. ن، ص١٢٠.

(٤١) Uzunçarşili, op. cit, cilt 3, S. 105.

أمام هذه الاوضاع المستعرة نصب السلطان احمد الاول (١٦٠٣-١٦١٧) الصدر الاعظم مراد باشا الملقب بـ(قويوجي)[٤٢] قائداً للجيش المكلف بأطفاء تلك الانتفاضات في عام ١٦٠٧، وتم له ذلك بالفعل فانتصر في جميع مهامه. وفيما يتعلق بالانتفاضة الكوردية فأنه التقى بقوات ابن جان بولاد البالغ أربعين ألفاً في (سهل أورج) في الرابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٦٠٧، فدارت رحى معركة حامية أسفرت عن انهزام الجيش الكوردي متكبداً خسائر جسيمة في الارواح. واضطر ابن جان بولاد الى الانسحاب الى مدينة حلب التي لم يستطع الصمود فيها. فالتجأ أخيراً الى الباب العالي طالباً الصفح من السلطان. فنال منه العفو وعين والياً لتيمشوارا[٤٣] التي لم يبلغها قط، حيث لم يرق هذا العفو للصدر الاعظم فأرسل من يقتله في بلغراد[٤٤] وهو ذاهب الى مقر عمله الجديد[٤٥].

٢- انتفاضة اكراد المللي بقيادة تيمور باشا:

قبل بدء الحديث عن هذه الانتفاضة لابد من التنويه بان قيادتها تمتاز عن غيرها من قيادة الانتفاضات الكوردية في تلك الفترة. وذلك لأن قائدها لم يكن أميراً على امارة كوردية ذات سلطة سياسية، بل برز بشكل زعيم قبلي اضطلع بمهام القيادة في عشائر المللي وانتفاضتها ضد السلطات العثمانية.

كانت عشائر المللي القاطنة في نواحي طور عابدين وقرهجهداغ من منطقة ماردين معروفة بقوة شكيمتها وتمردها وعدم خضوعها للسلطات العثمانية. ولذلك كانت مناطقها في اضطراب دائم ومشحونة بالمشاكل والاخطار بالنسبة للعثمانيين. واكتسبت هذه العشائر قوة اضافية عندما تسلم تيمور باشا مقاليد أمورها، والمذكور ينتمي الى اسرة كوردية عريقة[٤٦]، وقد تولى مناصب مهمة في استانبول ولكنه كان يبحث عن الفرصة التي يستطيع فيها الخروج من

---

(٤٢) كان المذكور قد تجاوز عمره الثمانين حينذاك. محمد فريدبك، م. س، ص١٢٠.

(٤٣) احدى مقاطعات بلاد النمسا الخاضعة آنذاك للعثمانيين، وتقع حالياً في رومانيا.

(٤٤) عاصمة يوغسلافيا السابقة وصربيا الحالية، تقع على ملتقى نهر الدانوب و الساف، مركز صناعي وتجاري هام، المنجد في الاعلام، مادة: بلغراد.

(٤٥) محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٨٧. محمد فريد بك ، م. س، ص١٢٠. سالح قەفتان، س. پ، ل٣٤٧-٣٤٨.

(٤٦) من الواضح انه كان من الاسرة التي تتولى زعامة عشائر المللي.ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٥٣.

العاصمة، فتم له ذلك والتحق بالعشائر الملية في بداية العقد الأخير من القرن الثامن عشر ليتسنّم رئاستها[٤٧].

ومن الواضح ان تيمور باشا كان قد وضع نصب عينيه احتمال اصطدامه بالعثمانيين الذين كانوا موضع حقده ويشكلون حجر عثرة في طريق تحقيق اهدافه، لذلك أخذ منذ تسلّمه مهام قيادة الملية يسعى الى تقوية قواته وتوسيعها وتجهيزها بالاسلحة والمعدات الحربية حتى تألف له جيش قوي يضم محاربين أشداء. واعتمد على ذلك الجيش لتوسيع نطاق نفوذه ليشمل بعض المناطق والعشائر المجاورة. الامر الذي ادى الى هلع الحكام العثمانيين المجاورين وخاصة واليا حلب و دياربكر.اذ اصبحت تحركات تيمور باشا مصدر خطر على النفوذ العثماني في تلك الانحاء. ومما زاد العثمانيين غضباً عليه هو عدم التفاته الى السلطات العثمانية وقيامه بنشاطات معادية لها على جميع الطرق المؤدية الى دياربكر وحلب والموصل، وازاء ذلك بذل العثمانيون محاولات عدة للقضاء على ذلك الزعيم الكوردي ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك[٤٨].

وعندما توسع نفوذ زعيم عشائر المللي أو ((عظمت شوكة تمر باشا)) حسب تعبير ياسين العمري[٤٩]، أصبحت مسألة القضاء على تلك الانتفاضة أمراً لايمكن التهاون معه في نظر العثمانيين، فعهد المسؤولون العثمانيون بالمهمة الى والي بغداد سليمان باشا الكبير، نظراً لان مناطق الانتفاضة (وهي نواحي ماردين) كانت في تلك الفترة تدخل ضمن حدود إيالة بغداد[٥٠]. وبعد ان جهز سليمان باشا حملة واسعة النطاق في عام ١٧٩١ توجه نحو الموصل ومنها الى ماردين، ليبلغ تعداد جيشه ثلاثين الف مقاتل بعد ان التحق به واليا الموصل واورفه بقواتهما، وذلك بالاضافة الى قوات امارة بابان والكثير من العشائر العربية التي كانت بمعية الوالي[٥١]. أما تيمور باشا فكان قد جمع مايقارب (١٥) الف مقاتل كما جاء في بعض المصادر[٥٢]. لذلك

---

(٤٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢١٩-٢٢٠. د. احمد عثمان أبوبكر، اكراد المللي وابراهيم باشا، بغداد ١٩٧٣، ص٢١.

(٤٨) ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٥٣. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، بغداد ١٩٥٤، ص١١٠.

(٤٩) غرائب الاثر...، ص٢٣.

(٥٠) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٩٤-١٩٥. ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٥٢. حول نطاق نفوذ ايالة بغداد في تلك الفترة يراجع: سعدي عثمان، م. س، ص١١٢.

(٥١) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٢٣-٢٤. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، ص١١٠.

(٥٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، ص١١٠.

لم يتمكن من الصمود، اذ رأى عدم قدرته على مقاومة الجيش الزاحف فتشتت شمل قواته والتجأ الى نواحي حلب(٥٣).

بالرغم من ذلك فقد مدّت القوات المهاجمة يد البطش الى مناطق الملليين فتعرض سكان تلك المناطق لانواع الدمار والخراب، فأصبحت الممتلكات لقمة سائغة لجنود سليمان باشا الذين عادوا من الحملة بغنائم وافرة(٥٤). وبعد أن عمد سليمان باشا الى اعدام بعض زعماء المللي من اقرباء تيمور باشا ومنهم أخوه سعدون بك وابن عمه محمود بك، عين ابراهيم بك أخا تيمور باشا زعيماً لعشائر المللي(٥٥).

ومع ذلك لم يتخلى الملليون عن مواقفهم المعادية للعثمانيين بصورة نهائية، اذ واصلوا تحركاتهم فيما بعد وخاصة عندما تسلم أيوب بك الزعامة بعد ابراهيم بك، فأصطدموا مرات عدة بالقوات العثمانية(٥٦).

٣- انتفاضات عبدالرحمن باشا الباباني:

تولى عبدالرحمن باشا بن محمود باشا الباباني امارة بابان في عام ١٧٨٩، وحكمها مايقارب أربعاً وعشرين سنة في مدد متقطعة(٥٧). وبلغت الامارة في عهده أعلى درجات القوة والعظمة، اذ توسعت حدودها كثيراً حتى ضمت اليها أربيل ونواحيها، كما هددت بالاستيلاء على مدينة كركوك(٥٨)، وصار لأمير بابان نفوذ على ايالة بغداد نفسها، فكان تعيين عبدالله باشا الخزنهدار (١٨١٠-١٨١٢) والياً على بغداد اثر مقتل سليمان باشا الصغير في عام ١٨١٠ بتعضيد من

---

(٥٣) ياسين العمري، غاية المرام...، ص١٩١. ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٥٣.

(٥٤) ياسين العمري، غاية المرام...، ص١٩١. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، ص١١٠، ولم يتمكن سليمان باشا من القاء القبض على تيمور باشا ولكن الأخير قام بعد ثلاث سنوات من ذلك الحادث بالذهاب الى بغداد طالباً العفو من سليمان باشا فناله، وحصل على مناصب عدة مرموقة في الدولة بعد ذلك. ياسين العمري، زبدة الآثار...، ص٢٤٩.

(٥٥) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢١. احمد عثمان ابوبكر، م. س، ص٢٢.

(٥٦) للوقوف على بقية الحوادث يراجع: ياسين العمري، زبدة الآثار...، ص١٦٧-١٦٨.

(٥٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٧. جەليلى جەليل، كوردەكانى ....، ل٩٣.

(٥٨) ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٨٠. حسين ناظم بيگ، م. س، ص٢٧٤.

عبدالرحمن باشا وتأثيره[٥٩]. وفي وصف لتطور سطوة الامير المذكور يذكر أحد المسؤولين الايرانيين المقيمين في بغداد خلال تلك الفترة مانصه: ((ليس هناك من يقتل ويقطع وينصب ويعزل غير عبدالرحمن باشا، اذ لاسلطة لأحد غيره))[٦٠]. واستغل عبدالرحمن باشا تلك الفرصة لتطوير قواته العسكرية تحسباً للتقلبات اللاحقة، فقد نقل كمية من الاسلحة والمعدات العسكرية بينها عدد من المدافع من ايالة بغداد الى السليمانية خلال تلك الفوضى التي نشبت اثناء حادثة تنصيب عبدالله باشا على بغداد[٦١].

كان ذلك التقدم والتطورالذي شهدته امارة بابان نتيجة قوة شخصية عبدالرحمن باشا وسعة طموحاته، فقد كتب محمد امين زكي بصدد ذلك يقول: ((وكانت اطماعه السياسية ومطامحه القومية ترمي دائماً الى تأسيس حكومة مستقلة كبيرة فأجتهد في سبيل ذلك كثيراً))[٦٢]. ويذكر (ميجرسون): ((استيقظت الروح القومية خلال القرن الأخير أربع مرات وأفصحت عن نفسها في محاولات انصبت على نبذ نير الاتراك، وكانت الاولى في سنة ١٨٠٦ حين حارب (عبدالرحمن باشا بابان السليمانية) بإزاء الاتراك))[٦٣]، ويشير (ريج) الى ذلك ايضاً عندما يتحدث عن تحصينات (عبدالرحمن باشا) بقوله: ((كان يسعى للظفر باستقلال كردستان))[٦٤]. وكانت تلك الطموحات تأتي في اطار تنامي الروح القومية لدى الشعب الكوردي في القرن التاسع عشر، والتي يؤكدها ميجر ميلنجن بقوله: ((وقد أظهرت الحوادث والوقائع التي نشأت بكوردستان في القرن التاسع عشر الميلادي وجود العاطفة القومية الكوردية هذه بأجلى

---

(٥٩) سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٤٠. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، بغداد ١٩٤٨، ص١٠، وانظر أيضاً: ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص١٢٠.

(٦٠) ينظر نص رسالة المسؤول المذكور (وهو محمد حسين عبدالراجي) الى نائب السلطنة عباس ميرزا والمؤرخة في ١٨١٠، في: محەمەد حەمە باقی، میرنشینی ئەردەلان- بابان- سۆران لە بەلگەنامەی قاجاریدا ١٧٩٩-١٨٤٧، هەولێر ٢٠٠٢، ل٦١-٦٤.

(٦١) ينظر نص رسالة الممثل الايراني في بغداد(محمد صادق خان) الى رئيس وزراء البلاط القاجاري، المؤرخة في ١٨١٠، في: محەمەد حەمە باقی، س.پ، ل ٦٥-٦٦.وانظر ايضاً: ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص١٢١.

(٦٢) خلاصة...، ص٢٢٨.

(٦٣) رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان، ت: فؤاد جميل، ج٢، ط١ بغداد ١٩٧١، ص١٤٨.

(٦٤) رحلة ريج...، ص٤٠.

مظاهرها))[٦٥]. أما المصادر العثمانية فتصف تلك الطموحات بمحاولات التمرد والعصيان كما ذكرنا مراراً، ولذلك فليس في الامر عجب حينما يصف المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي طموحات عبدالرحمن باشا بقوله: ((بدأ عبدالرحمن باشا يتمرد على الاوامر الصادرة اليه من بغداد))[٦٦] ويذكر مؤرخ عراقي آخر فيقول: ((غزا عبدالله باشا الوزير ديار عبدالرحمن باشا الكردي لخروجه عن الطاعة))[٦٧].

وكانت تلك الطموحات التي يحملها عبدالرحمن باشا تتوافق مع مقدرات امارة بابان ذاتها، منها طبيعة موقعها وخصوبة أراضيها وغناها الاقتصادي وقوة جيشها المدرب[٦٨]. ولذلك فلا غرابة ان يتوجه عبدالرحمن باشا ذلك الاتجاه في محاولة ابعاد امارته عن السيادة العثمانية وتأثيراتها، وبالأخص تدخلات إيالة بغداد التي كانت بابان تابعة لها[٦٩]. الامر الذي عرضه للاصطدام بقوات إيالة بغداد مراراً، فقد أشتبك مرتين مع تلك القوات في مضيق بازيان ولكنه انهزم في كل منهما لخيانة ابن عمه خالد باشا واتفاقه مع والي بغداد سراً[٧٠]. وفي المرة الثالثة حاول عبدالرحمن باشا توسيع نطاق إمارته لتضم أطراف اربيل[٧١]، الامر الذي جلب اليه حنق الوالي وغضبه فزحف عليه عبدالله باشا والي بغداد[٧٢] بجيش كبير والتقيا في كفري[٧٣] في عام ١٨١٢. فوقعت بينهما معركة دامية انتصرت فيها قوات بابان في بداية المعركة، ولكن صمود

---

(٦٥) . Milingen ,Major. F: Wild Life among the Koords, London 1870, P216.

(٦٦) دوحة الوزراء، ص٢١٦.

(٦٧) عثمان بن سند، م. س، ص١١٥.

(٦٨) كاوس قەفتان، س. پ، ل٢٦.

(٦٩) يتحدث (ريج) عن محاولة قام بها عبدالرحمن باشا في اطار ذلك، حينما عرض مبلغاً سنوياً ضخماً يدفعه الى السلطات العثمانية مقابل ان تكون امارته مستقلة عن سلطات الإيالات المجاورة لتصبح تابعة لأستانبول بصورة مباشرة، ولكنه أخفق في مسعاه. ينظر: رحلة ريج...، ص٦٧.

(٧٠) م. ن، ص٤٢-٤٣.ستيفن لونكريك، م. س، ص١٧٩-١٨٠. محمد امين زكي، تـاريخى ولآتـى سـليمانى، ل١٠٤-١٠٩.

(٧١) حسين ناظم بيگ، م. س، ص٢٧٤. عباس العزاوي، شهرزور...، ص١٩٩.

(٧٢) بالرغم من ان عبدالله باشا كان مديناً بمنصبه الى عبدالرحمن باشا الا انه كان يضيق ذرعاً بأعماله اللا أبالية تجاه ايالة بغداد. محمد امين زكي، تاريخى ولآتى سليّمانى، ل١٢٤.

(٧٣) تشكل حالياً مركز قضاء كفري التابع لمحافظة كركوك.

قوات بغداد قلب الموقف فأنهزم عبدالرحمن باشا مع بعض رجاله الى ايران تاركاً وراءه قوات بغداد ليشيدوا منارة من رؤوس قتلى الكورد[٧٤].

بالرغم من عوده عبدالرحمن باشا من ايران بعد هذه الواقعة وتسلمه مهام الامور في السليمانية ولكنه توفي بعد ذلك بسنة واحدة تقريباً (أي في عام ١٨١٣). وبذلك لم تثمر جهوده عن تحقيق اهدافه بالرغم من طموحاته الكثيرة ومقدراته الكبيرة. ويرجع ذلك الى اسباب عدة في مقدمتها النزاعات العائلية التي ادت الى خيانة اقرباء عبدالرحمن باشا له[٧٥] كما مربنا. وذلك بالاضافة الى قوة ولاة بغداد المعاصرين لعبدالرحمن باشا وحنكتهم السياسية، حيث كان لهؤلاء دور مؤثر في افشال مخططاته. كما ان الظروف السياسية العامة في الدولة العثمانية لم تكن مساعدة للامير البابانى، فقد عاصر عبدالرحمن باشا فترة كانت الدولة العثمانية تحاول فيها استعادة انفاسها وتقوية ساعدها[٧٦]. ونقصد بذلك عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) الذي حاول باصلاحاته اعادة بناء الدولة على اسس جديدة. كما سنفصل ذلك في الفصل التالي.

ثانياً: مواقف الدول المجاورة:

أ- موقف إيران:

١ - السياسة الايرانية في كوردستان:

كانت ايران- كما مربنا في الفصل الاول- في مستهل العهد الصفوي تهيمن على جزء كبير من كوردستان الى ان بدأت الدولة العثمانية تتجه بانظارها نحو الشرق، وتنافسها على كوردستان. وفي اعقاب معركة چالديران فقدت ايران ممتلكاتها الكوردية في غربي جبال زاگروس،

---

(٧٤) عثمان بن سند، م. س، ص١١٥. سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٤٥-٤٦. وللوقوف على تفاصيل المعركة ينظر: حسين ناظم بيگ، م. س، ص٢٧٥-٢٧٨.

(٧٥) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٨. حسين ناظم بيگ، م. س، ص٢٧٥.

(٧٦) كاوس قەفتان، س. پ، ل٣٩.

نتيجة خسارتها في المعركة المذكورة والمواجهات اللاحقة التي حدثت بين الجانبين. ولكنها بالرغم من ذلك لم تنفض يدها مما فقدته بل كانت تحاول جاهدة استعادة هيمنتها على ما تستطيع من مناطق كوردستان كما تبرهن الحوادث التالية على ذلك.

وكان ذلك الهدف يحدد السياسة الايرانية ازاء الدولة العثمانية ومناطق نفوذها في كوردستان في المدى البعيد. ويمكننا القول ان المطامع الايرانية في كوردستان كانت وراء جميع تدخلاتها في شؤون الامارات الكوردية والدولة العثمانية. كما كانت المطامع المذكورة تشكل دافعاً قوياً لمعظم حملاتها العسكرية الموجهة الى الدولة العثمانية[٧٧]. وقد أتخذت السياسة الايرانية ازاء كوردستان ثلاثة محاور:

١- التدخل في الشؤون الداخلية للامارات الكوردية التابعة للدولة العثمانية بهدف تقوية نفوذها في كوردستان. اذ كان المسؤولون الايرانيون يسعون من وراء ذلك الى ان تكون لهم كلمة مسموعة في مسألة تنصيب الامراء على بعض الامارات الكوردية[٧٨]. ليضمنوا بذلك وصول الامراء الموالين لهم الى الحكم في تلك الامارات، مما قد يساعد في تحقيق اهدافهم ومطامعهم في كوردستان. ونلاحظ محاولات ايرانية كثيرة من هذا القبيل وخاصة في حركات عبدالرحمن باشا الباباني. فقد توسطت السلطات الايرانية لدى إيالة بغداد مراتٍ عدة لتعيد اليه منصب امارة بابان[٧٩]. وفي عام ١٨١٦ أرسلت الدولة القاجارية قوة عسكرية لمساعدة الامير محمود باشا ابن عبدالرحمن باشا الباباني ضد عمه عبدالله باشا الذي كان ينافسه على الحكم[٨٠]. ولكن المسؤولين القاجاريين غيروا موقفهم تماماً في عام ١٨٢١ حينما حاولوا جاهدين تنصيب عبدالله

---

(٧٧) كلوديوس ريج، م. س، ص٥١. عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص٢٠٠. محمد امين زكي، تاريخى ولآتى سليّمانى، ل١٢٧.

(٧٨) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص١٩٧. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، ص١٧٢.

(٧٩) ينظر نص رسالة فتح عليّ شاه القاجاري الى علي باشا والي بغداد في عام ١٨٠٥ في: محهمهد حهمه باقى، س. پ، ل٤٧-٤٨. وكذلك: ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٨١. محمد امين زكى، تاريخى ولآتى سليّمانى، ل١٢٧.

(٨٠) ينظر نص رسالة محمود باشا الباباني المؤرخة ١٨١٦/٦/٢١ الى والي كركوك، في: محهمهد حهمه باقى، س. پ، ل٧٤-٧٥.

باشا بابان الموالي لهم في تلك الفترة محل محمود باشا، ونشبت بسبب ذلك نزاعات ومعارك كثيرة بين الدولة القاجارية وإيالة بغداد[٨١].

واتبعت ايران في سبيل اهدافها في كوردستان سياسة (فرق تسد) التي أتبعتها منافستها العثمانية أيضاً، اذ كانت تعمد الى بذر بذور الخلافات بين أفراد العائلة الحاكمة الواحدة في الامارة الكوردية ليتنافسوا حول مناصب الامارة[٨٢]. وكانت تجني من وراء ذلك مكاسب عدة، منها اضعاف الكيانات الكوردية وخلق المبررات للتدخل في شؤون الامارات الكوردية التابعة للدولة العثمانية على نطاق أوسع، وخاصة حينما يستنجد بها أحد الامراء الكورد، وذلك بالاضافة الى اضعاف عدوتها التقليدية (وهي الدولة العثمانية) عن طريق اضعاف الكيانات السياسية التي تساعدها في حروبها، ونقصد بها الامارات الكوردية التي كانت لها حضور دائم في حروب الدولة العثمانية ضد ايران.

اذ كان ذهاب محمود باشا بابان بصحبة عمه عبدالله باشا وأخويه عثمان وسليمان الى دار مولانا خالد النقشبندي واستحلاف الاخيرين على ان لايفتحوا أية رسالة قد تأتيهم الا في دار مولانا خالد وبحضورهم جميعاً- كما ذكرنا ذلك سابقاً-[٨٣]. كان محاولة لدرء خطر المؤامرات الايرانية، نظراً لتوقعهم أعمالاً من هذا القبيل من جانب ايران اضافة الى الجانب العثماني.

ومن جانب آخر فان السلطات الايرانية كانت تسعى الى خلق الشقاق بين الامراء الكورد والسلطات العثمانية، أو توسيع هوة الشقاق اذا كان موجوداً. وكانت تستهدف من ذلك اضعاف غريمتها العثمانية واضعاف الامارات الكوردية، بالاضافة الى تبرير تدخلاتها في شؤون الدولة العثمانية الداخلية ثم تنفيذ سياساتها في كوردستان[٨٤]. ومن الامثلة البارزة على ذلك أقدام نادر شاه على كسب ود الامير البابانى سليم باشا في العقد الرابع من القرن الثامن عشر ثم استخدامه لمحاربة الدولة العثمانية كما مرينا سابقاً[٨٥]. وبذلك كانت ايران تحاول ان تجعل من القوى الكوردية سلاحاً تحارب به الدولة العثمانية. فالى جانب ماذكرنا كان من البديهي أن

---

(٨١) عثمان بن سند، م. س، ص١٤٢. محمدامين زكى، تاريخى ولاَتى سليَمانى، ل١٤٢.

(٨٢) جمال بابان، سليَمانى...، ل٦٧.

(٨٣) يراجع: كلوديوس ريج، م. س، ص١٠٣.

(٨٤) عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج٦، ص١٧١. فيصل الارحيم، م. س، ص٨٨.

(٨٥) يراجع موضوع (الحركات الكوردية المسلحة) في بداية هذا الفصل.

تسخر السلطات الايرانية القدرات العسكرية للامارات الكوردية التابعة لها أيضاً في الصراع مع الدولة العثمانية. فقد افاد الشاه عباس الاول الصفوي فائدة كبيرة من الامير الاردلاني خان احمد خان الذي لعب دوراً ملحوظاً في التوسعات الصفوية في مناطق كوردستان الجنوبية التابعة للعثمانيين. واستولى على كركوك وشهرزور والبقاع المجاورة(٨٦) أعتماداً على القوات الاردلانية وحدها(٨٧).

٣- دعم الشخصيات الكوردية الناقمة على السيادة العثمانية أو الطامعة في منصب الامارة، واسنادهم بالقوات العسكرية عندما كانوا يستنجدون بها بعد معركة فاشلة مع الجانب العثماني أو فقدانهم لمناصبهم. فكان المسؤولون الايرانيون يجدون ضالتهم في الامير الكوردي اللاجيء اليهم لينفذوا بواسطته سياساتهم المذكورة، ولذلك قلما ردّوا الامير الكوردي اللاجيء خائبا. وهناك الكثير من الامثلة على ذلك الدعم الايراني الهادف الى تحقيق اغراضه سراً الى جانب نوايا الامير الكوردي المعلنة. فعندما التجأ محمد باشا البابانى(٨٨) الى كريم خان الزند(٨٩) في عام ١٧٧٤ عقب توجيه حملة عثمانية عليه في قلاچوالان ـ التي كانت حاضرة بابان وقتذاك ـ أستحصل منه قوة عسكرية قوامها عشرة الآف مقاتل تحت قيادة أحد قواده(٩٠) للاغارة بها على شهرزور، واستعادة منصب امارة بابان الضائع، وقد انتصرت هذه القوات في

---

(٨٦) تبالغ المصادر الاردلانية في ذكر تلك البقاع و دور خان احمد خان في الاستيلاء عليها. حول ذلك ينظر: سعدي عثمان، م. س، ص٢٨٢ وما بعدها.

(٨٧) أسكندر بيك تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، تصحيح: ميرزا محمود تاجر كتابفروشي، تبريز ١٣١٤هـ، ج٣، ص٧٥٩. محەمەد ئیبراهیم ئەردەلانی، زەیلی شەرەفنامە، لە: ئەنوەر سولتانی، س. پ، ل٩٥. وانظر أيضاً: نظمي زاده ، م. س، ص٢٢١.

(٨٨) هو ابن خالد باشا البابانى، حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، تاريخى ولاتى سليمانى، ل٧٥.

(٨٩) هو مؤسس الاسرة الزندية الحاكمة في ايران (١٧٥٠-١٧٧٩)، حول ترجمته يراجع: ميرزا محمد صادق موسوي نامى اصفهاني، تاريخ گيتى گشا در تاريخ خاندان زند، تصحيح: سعيد نفيسي، طهران ١٣١٧ ه. ش،

(٩٠) هو (علي مراد خان) الذي ينتمي الى الاسرة الزندية الحاكمة. حول ترجمته يراجع: محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٣٣.

البداية على القوات العثمانية- البابانية المشتركة ولكنها خسرت المعركة أخيراً، ووقع القائد الايراني نفسه في الاسر(٩١).

وكانت السلطات الايرانية تستفيد في تنفيذ سياساتها السابقة من جملة أمور ساعدتها على ذلك، وفي مقدمتها سيطرتها على جزء من كوردستان، ووقوعها على موقع محادد للامارات الكوردية التابعة للدولة العثمانية. مما هيأ الفرصة لها لتكون قريبة من الاحداث وتستطيع ان تؤثر في وقائع كوردستان التابعة للدولة العثمانية. وتظهر فاعلية هذين العاملين باقترانهما بعامل آخر وهو نشوب النزاع بين الامراء الكورد والسلطات العثمانية ثم اتجاه الطرف الاول الى ايران طالباً المعونة والمساعدة. لتهيىء لها الفرصة لتحقيق اغراضها في كوردستان العثمانية. فكان الامير الكوردي الذي يتعرض لمحاربة السلطات العثمانية أو يعزل لأي سبب من الاسباب يلجأ الى ايران. وكانت تلك الحوادث من الكثرة بحيث أدت الى ان تكون لأيران نفوذ دائم في بعض الامارات الكوردية، وخاصة امارة بابان المحاددة لها. حيث ان كثرة النزاعات الشخصية بين افراد العائلة البابانية الحاكمة ولجوء العديد من امرائها الى إيران لطلب مساعدتها، وكثرة نزاعات امرائها مع السلطات العثمانية جعلتها محل تدخل السلطات الايرانية بأستمرار(٩٢).

وكان الاهتمام الايراني بتلك السياسة يصل الى أعلى المستويات، اذ كان الشاه يتدخل بنفسه أحياناً في مسألة اعادة تنصيب الامراء البابانيين الفارين الى ايران على امارتهم. فقد بذل فتح على شاه القاجاري جهوداً دبلوماسية وعسكرية مهمة مع العثمانيين- وخاصة، والي بغداد- لاعادة الامير عبدالرحمن باشا الباباني الى الحكم في السليمانية مجدداً، وذلك في عامي

---

(٩١) ميرزا محمد صادق أصفهاني، م. س، ص١٧٨-١٧٩. رسول الكركوكلي، م. س، ص١٤٩.ستيفن لونكريك، م. س، ص٢١٦-٢١٧. والجدير بالذكر ان كريم خان لم يرتدع بتلك الهزيمة فارسل قوات أخرى للانتقام، حول بقية التطورات يراجع: رسول الكركوكلي، م. س، ص١٥٠. وللمزيد من الامثلة راجع: عثمان بن سند، م. س، ص١٤١. ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٧١-٧٢.

(٩٢) احمد جودت، م. س، ج١، ص٢٧٠، وحول بعض الامثلة يراجع: عثمان بن سند، صفحات ٣٦، ٥٠، ١١٥، رسول الكركوكلي، م. س، ص١١٦، ١٤٩. احمد الصوفي، م. س، ص٢٢-٢٣.

١٨٠٥ و ١٨٠٦ [٩٣]. واعترافاً بالجميل لم يقبل الامير المذكور حكم إمارته عندما فوض اليه من قبل السلطات العثمانية في عام ١٨٠٧ إلا بعد ان عرض الامر على الجانب الايراني[٩٤].

ونتيجة لتلك السياسة كانت ايران تنجح في بعض الاحيان في فرض هيمنتها السياسية على امارة بابان، كما رأينا في الحالة السابقة. ومن ذلك أيضاً يمكن الاشارة الى بعض سنوات حكم سليم باشا البابانى (١٧٤٣-١٧٥١)[٩٥] الذي مالأ نادرشاه واصبحت امارة بابان في حكم التبعية لايران[٩٦]. وكذلك في بعض فترات عهد محمود باشا، اذ يقول (المنشيء البغدادي) في رحلته: ((ونحن في سنة ١٢٣٧هـ [١٨٢٢م] قد دخلت كردستان [امارة بابان] في حكم العجم، وان حاكم ديار الكرد يؤدي لايران في كل سنة عشرين الف تومان))[٩٧]. وقد وصل الامر الى الحد الذي كان الامير البابانى ملزماً بارسال عدد من الفرسان للمشاركة في الحرب ضد روسيا الى جانب الجيش الايراني[٩٨]. أما الرحالة الانكليزي (فرايزر) الذي جاء الى السليمانية في عام ١٨٣٤ فقد كتب في اول تشرين الثاني يقول: ((وقعت الباشوية التي كانت تابعة الى باشوية بغداد من قبل في أيدي أمير كرمنشاه الايراني محمد علي ميرزا...))[٩٩].

وكانت الادعاءات الايرانية وتدخلاتها في امارة بابان على أشدها على يد الاخير الذي كان في الواقع حاكماً في كرمنشاه الا انه كان واسع الصلاحيات مستفيداً من كونه الابن الاكبر لفتح علي شاه القاجاري[١٠٠] (١٧٩٧-١٨٣٤م) حيث كان يحاول ان يجعل امارة بابان تتبع رسمياً

---

(٩٣) ينظر نصوص الرسائل الايرانية الموجهة الى الدولة العثمانية في: محەمەد حەمە باقى، س. پ، ل٤٧-٥٦.

(٩٤) ينظر نص رسالة عبدالرحمن باشا الى الشاهزاده محمد علي ميرزا في: محەمەد حەمەباقى، س. پ، ل٥٦-٥٧.

(٩٥) كان سليم باشا يحكم إمارة بابان خلال السنوات المذكورة باستثناء المدة مابين (١٧٤٧-١٧٤٩).

(٩٦) احمد جودت، م. س، ج١، ص٢٧٤. رسول الكركوكلي، م. س، ص٩٣.

(٩٧) رحلة المنشيء البغدادي، ص٦١.

(٩٨) ينظر رسالة ولي العهد القاجاري عباس ميرزا الى محمود باشا البابانى في: محەمەد حەمەباقى، س. پ، ل١١٣-١١٤.

(٩٩) جيمس بيللي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، ت: جعفر الخياط، ط١، بغداد ١٩٦٤، ص٢٩.

(١٠٠) ستيفن لونكريك، م. س، ص٢٧٩.

دولته، ولا ينفك في سبيل ذلك يتدخل في شؤون تلك الامارة[١٠١]. وبعد وفاة الشهزاده المذكور في عام ١٨٢٢ حل أخوه (عباس ميرزا) محله في تنفيذ تلك السياسة، وقد وصلت تدخلات الأخير في شؤون بابان الى درجة اثارت شكوك ابيه (فتح علي شاه) من محاولة توسيع نطاق نفوذه لمصلحته الشخصية[١٠٢].

وبذلك أصبحت مسألة تبعية امارة بابان محل نزاع بين ايران والدولة العثمانية بحيث ان معظم المعاهدات التي عقدت بين الدولتين- وخاصة في القرن التاسع عشر- قد احتوت على بعض المواد بخصوص تبعيتها أو علاقتها باحدى الدولتين. ففي المفاوضات التي سبقت معاهدة ارضروم الاولى طالب الايرانيون بامارة بابان والحوا في ذلك إلحاحاً شديداً[١٠٣]. ولكنهم لم يحصلوا على مبتغاهم في المعاهدة المذكورة[١٠٤]. كما نصت المادة الثانية من معاهدة ارضروم الثانية المعقودة عام ١٨٤٧ على تنازل الحكومة القاجارية عن كل ماالديها من ادعاءات في مدينة السليمانية ومناطقها التابعة، وتعهدها رسمياً بعدم التدخل في السيادة العثمانية عليها[١٠٥]. ويدل ذلك على كثرة التدخلات الايرانية في كوردستان، وجدية أطماعها في تلك المناطق التابعة للدولة العثمانية.

ومن العوامل الاخرى المساعدة للتدخلات الايرانية الهجرة الموسمية للعشائر الكوردية وعبورها الحدود بين الدولتين، مما كان يخل بتبعية تلك العشائر الى كل من الدولتين، ومن النماذج البارزة على ذلك قبيلة (الجاف) التي كانت من القبائل الكوردية الكبيرة الشبه رحالة، اذ ان تلك القبيلة لم تكن تعترف بالحدود المصطنعة التي رسمت بين الدولتين في كوردستان، فظلت

---

(١٠١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٥، وصول بعض تلك التدخلات ينظر: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٤٢-٤٤ وكذلك: احمد جودت، م. س، ج١١، ص٣٠-٣١.

(١٠٢) ينظر نص رسالة عباس ميرزا الى فتح علي شاه والتي يدفع فيها تلك التهمة عن نفسه. وذلك في: محەممەد حەمەباقی، س. پ، ل٩٢.

(١٠٣) ينظر نصوص رسائل بعض المسؤولين الايرانيين الى السلطات العثمانية في: هـ. س، ل١٠٢-١١١.

(١٠٤) ينظر نص المعاهدة في: أحمد جودت، م. س، ج١٢، ص٢٦٦-٢٧٤. وكذلك شاكر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، بغداد ١٩٦٦، ص٥٨-٦٠.

(١٠٥) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص٤٢٢. وانظر نص المعاهدة في: عبدالعزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية الايرانية/ دراسة في دبلوماسية المؤتمرات، مؤتمر أرضروم ١٨٤٣-١٨٤٤، القاهرة ١٩٧٤، ص٣٠ وما بعدها.

تمارس عادتها القديمة في الهجرة من مصايفها في كوردستان الشرقية الى مشاتيها في كوردستان الجنوبية وبالعكس. مما كان يؤدي بالنتيجة الى نمو بذور النزاع بين الدولتين، وخلق الذرائع للسلطات الايرانية للتدخل في شؤون المناطق التابعة للدولة العثمانية[١٠٦]. وكان الامر كذلك بالنسبة للعشائر الكوردية القاطنة في كوردستان الشمالية .

وفان بُعد كوردستان من مركز الدولة العثمانية ووقوعها على الحدود مع ايران، الى جانب ضعف السلطات العثمانية في كثير من الاحيان وعدم قدرتها على التصدي للاطماع الايرانية، كانت من العوامل الاخرى المساعدة للتدخلات الايرانية في كوردستان، حيث ان الامراء الكورد- وخاصة البابانيين- كانوا يجدون أنفسهم في بعض الاحيان عاجزين عن مواجهة السياسة الايرانية وتدخلاتها في شؤون امارتهم، مما يوقعهم في موقف حرج، فقد أشار محمود باشا بابان الى ذلك صراحة في خضم حديثه مع (ريج) عندما ((تكلم عن حالة البلاد مبدياً لي [أي لريج] الصعوبات التي يكابدها بسبب وضعه على حدود سلطتين متنافستين لا تنفك الاولى عن اضطهاده في طلب الجزيات والضرائب، والثانية وهي السلطة المنقاد اليها أي سلطة الاتراك الذين يلحون عليه ان لا يخدم الايرانيين ولا يؤدي لهم المال، ومع ذلك فلم يتمكن الاتراك من الدفاع...))[١٠٧].

وقد أثرت هذه المحاولات الايرانية تأثيراً سلبياً في اوضاع كوردستان، فقد ظلت المناطق الكوردية في حالة اضطراب وعدم الاستقرار بسبب تلك الحوادث المتتالية التي كانت تؤدي الى تدني الاوضاع الاقتصادية والعمرانية دون شك. ويشير المقيم البريطاني (ريج) الى ذلك بوضوح عندما يكمل الحديث السابق لمحمود باشا الباباني: ((وقد اشار الى النتائج الوخيمة التي تورثها هذه الادارة المزدوجة في خيرات البلاد وازدهارها))[١٠٨] . وعلى صعيد آخر كانت تلك الادارة المزدوجة توقع الامراء الكورد في حالة لا تساعدهم على الالتفات الى شؤون بلادهم وخدمتها بسبب قلقهم الدائم على وضعيتهم. ويبين محمود باشا تلك الوضعية لريج بقوله: ((ومن الذي يرمم شيئاً وهو غير متأكد من استمتاعه به؟ وقد يقوضه الاتراك أو الايرانيون بعد أيام

---

(١٠٦) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٤. عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص١٩٥.

(١٠٧) رحلة ريج...، ص٥١.

(١٠٨) م. ن، ص٥١.

معدودات))[١٠٩]. والى جانب ذلك كله كانت الحملات الايرانية والعثمانية الموجهة الى كوردستان في اطار تنافسهما على تلك البلاد توقع الخسائر المادية والبشرية في المناطق الكوردية.

بالرغم من ذلك فان الامراء الكورد قد تمكنوا من المحافظة على استقلالهم الداخلي الى حد كبير عن طريق التدخلات الايرانية واستنادهم الى دعمها. فقد استغل أولئك الامراء الصراع العثماني الايراني لانتهاج سياسة (الاستفادة من توازن القوى) بتقديمهم الولاء لكل من الدولتين في آن واحد[١١٠]. وعلى رأس هؤلاء الامير البابانى عبدالرحمن باشا الذي تقرب من الشاهزاده الايراني محمد علي ميرزا بالهدايا والاموال واستند على دعمه في الوقت الذي لم يقطع صلته بوالي بغداد عبدالله باشا، فاستفاد من ذلك لتوسيع نفوذه ليشمل اربيل وضواحي كركوك[١١١] وكان الامير المذكور قد استعاد منصبه في عام ١٨٠٨ بفضل المساعدة العسكرية الايرانية التي كانت قوامها قوات امارة اردلان التابعة لايران. وذلك حينما استمع والي بغداد سليمان باشا الصغير الى صوت الحكمة وقرر اعادة تنصيب عبدالرحمن باشا أميراً في السليمانية لتلافي نشوب الحرب مع ايران[١١٢]. ويجدر بالذكر ان ذلك الامير البابانى كان قد فرض نفسه على الحكم في عام ١٨٠٧ بوساطة القوات الايرانية أيضاً[١١٣].

وقد أدت هذه السياسة الكوردية الى تذبذب السيطرة العثمانية على المناطق الكوردية، بل ان الامراء الكورد كانوا يساهمون بذلك في اضعاف السلطتين العثمانية والايرانية لصالح اماراتهم. اذ ان التجاء اولئك الامراء الى احدى الدولتين لم يكن بدافع الرغبة الشخصية فقط، بل كان فيه مصالح اماراتهم أيضاً كما يشير أحد المؤرخين[١١٤]، ويبدو ان المسؤولين الايرانيين قد تفهموا تلك السياسة أخيراً، ووصلوا الى قناعة مفادها ان امراء بابان يلعبون دوراً كبيراً في خلق المشاكل والمنازعات بين الدولتين الايرانية والعثمانية. فحاولوا ان ينقلوا وجهة نظرهم هذه

---

(١٠٩) م. ن، ص٥٧.

(١١٠) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤. جان مالكم، م. س، ج٢، ص١١٠. ڕەشید یاسمی، مێژووی نەژاد و پەیوەستەگی کورد، و: قانعی هونەر و کەریم زەند، سلێمانی ١٩٦٩، ل١١٠.

(١١١) محمد امين زكي، تاریخی ولاتی سلیمانی، ل١٢٤.

(١١٢) احمد راسم، م. س، ج٤، ص١٦٢١-١٦٢٢. رسول الكركوكلي، م. س، ص٢٤٣-٢٤٤. حسين ناظم بيگ، م. س، ص٢٤١-٢٤٢.

(١١٣) ياسين العمري، غرائب الاثر...، ص٧١. سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص٣٠-٣١.

(١١٤) كاوس قەفتان، س. پ، ل١٢، وينظر أيضاً: احمد الصوفي، م. س، ص١٣.

الى الدولة العثمانية، وذلك لتبرئة أنفسهم فيما يتعلق باسباب نشوب الحرب واندلاع المنازعات المسلحة بين الجانبين[١١٥].

وبناءً على ذلك دعى ولي العهد القاجاري عباس ميرزا في عام ١٨٢٢ الى اتباع سياسة جديدة ازاء امارة بابان، كانت تقوم على نقاط ستة هي:

١- محاولة الاستفادة من القوات البابانية في الحرب ضد الدولة العثمانية.

٢- حث أفراد العائلة البابانية الحاكمة على زيارة ايران والاقامة فيها لفترات طويلة لضمان كسبهم الى جانب ايران.

٣- الاحتفاظ بالحاميات العسكرية الايرانية في مناطق بابان واستخدام فرسان بابان وبلباس وغيرهم في الحرب عوضاً عنها.

٤- تجنب فرض تكاليف مادية باهضة على الامير الباباني بحيث لا يتمكن من دفعها.

٥- محاولة تطويق إمارة بابان بالمناطق الخاضعة للنفوذ الايراني.

٦- الاحتفاظ بمنافس الامير الباباني الحاكم لديهم عن طريق اسكانه مع اتباعه في ايران، وذلك لاستخدامه كعامل ضغط على الامير الحاكم في السليمانية[١١٦].

وعلى العموم لم يتمكن امراء بابان من الاستمرار في سياسة (الاستفادة من توازن القوى)، اذ إقتنع الجانبان العثماني والايراني في النهاية بان القضاء على أحد أسباب التوتر بين الدولتين إنما يتم بانهاء امارة بابان من الوجود كما سنأتي الى ذلك في الفصل التالي.

٢- استمرار الصراع العثماني الايراني على كوردستان:

كانت معركة چالديران عام ١٥١٤ فاتحة صراع طويل الامد بين الدولة العثمانية والدول التي تعاقبت على حكم ايران، حيث استمر ذلك الصراع مدة تزيد على ثلاثة قرون وطغى على العلاقات القائمة بين الجانبين، فتميزت تلك العلاقات بالمنافسة والحروب المتتالية.

---

(١١٥) ينظر نص رسالة الشاهزاده محمد علي ميرزا الى والي الموصل في عام ١٨٢١ في: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل٨٥-٩٠.

(١١٦) ينظر تفاصيل تلك السياسة في رسالة ولي العهد عباس ميرزا الى فتح علي شاه القاجاري في: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل٩٣-٩٧.

لقد ذكرنا في الفصل الاول ان السبب الرئيس لنشوء الصراع العثماني الايراني يكمن في محاولة الجانبين السيطرة على كوردستان أو بعض مناطقها، وبأمكاننا التأكيد على ان السبب المذكور يمثل عاملاً رئيساً لاستمرار ذلك الصراع أيضاً. حيث ان ايران كانت تحاول جاهدة استرجاع مكانتها السابقة في كوردستان باعادة سيطرتها على المناطق الكوردية الواقعة في غربي جبال زاگروس و شمالي كوردستان أو على اجزاء منها كما مربنا سابقاً. وكانت تلك الرغبة تحدد مواقفها المشار اليها في كوردستان التابعة للدولة العثمانية. وفي الجانب الآخر كان العثمانيون يتطلعون الى مكاسب اكثر في كوردستان. فرغم انهم كسبوا النفوذ على أجزاء كبيرة منها في اعقاب معركة چالديران ثم على اجزاء اخرى خلال عهد سليمان القانوني، الا انهم لم يكتفوا بذلك وكانوا يحاولون توسيع رقعة نفوذهم في كوردستان باضافة الاجزاء الواقعة تحت السيطرة الايرانية الى مناطق نفوذهم كلما تمكنوا من ذلك.

والى جانب ذلك الدافع كانت هناك عوامل اخرى ثانوية تفعل فعلها في تجدد الصراع بين الجانبين، وخاصة التجاء الامراء والشخصيات السياسية الى احدى الدولتين هرباً من الاخرى، وخاصة الامراء الكورد في الدولة العثمانية ،الذين كانوا يعدون ايران ملجأ لهم للشدائد وعوناً لهم حين يطلبون مساعدتها على اعدائهم، الامر الذي كان يؤدي الى تدخل تلك الدولة في المسألة ثم تتجدد الصراع[١١٧]. فقد كان أحد أسباب الحرب العثمانية الصفوية في عام ١٥٣٤ وحملة السلطان سليمان القانوني على ايران في تلك السنة يكمن في التجاء الامير شرفخان (أمير بدليس) الى ايران وتقديمه الطاعة للشاه طهماسب الاول إثر تعرضه لمواقف جائرة من قبل السلطات العثمانية[١١٨].

كما ان غارات العشائر والاشقياء التي كانت تتجه من احدى الدولتين فتهاجم الاخرى لتقوم في المناطق الحدودية باعمال السلب والنهب كانت تؤدي الى توتر العلاقات بين الدولتين[١١٩]. وبالاضافة الى ذلك كانت الهجرات العشائرية بين الدولتين تعد من اسباب تجدد الصراع في بعض

---

(١١٧) عثمان بن سند، م. س، ص١٤٢-١٤٣. عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص١٩٦.

(١١٨) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٦. محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٧٨.

(١١٩) احمد راسم، م. س، ج٤، ص١٧٧٦-١٧٧٧. پ. ی. ئەڤيريانۆڤ، كورد لە جەنگى روسيا لەگەڵ ئێران و توركيادا، و: ئەفراسياو هەورامی، سلێمانی ٢٠٠٤، ل٣٢-٣٣. وللمثال على تلك الحالة ينظر: نظمي زاده،م. س، ص٣٣٠.

الاحيان، فعندما أخذت عشيرة حيدرانلو[١٢٠] الرحالة فيما بين الاراضي الايرانية والعثمانية تستقر في نهاية المطاف في الاراضي الكوردية التابعة للعثمانيين طالبت السلطات الايرانية باعادتها اليها، ولم تتمهل للحصول على مبتغاها فهاجمت الاراضي العثمانية في عام ١٨٢٠[١٢١]. ولكن المسؤولين الايرانيين تنازلوا عن ادعاءاتهم بشأن تبعية تلك العشيرة في معاهدة ارضروم الاولى المعقودة في عام ١٨٢٣[١٢٢]. ولذلك كان المسؤولون في الدولتين يأخذون الحيطة والحذر ازاء ذلك العامل حينما يحرصون على استمرار العلاقات السلمية بين الجانبين. وذلك ما يظهر جلياً في رسالة وجهها فتح علي شاه القاجاري الى والي بغداد سليمان باشا الكبير في عام ١٧٩٩م[١٢٣]. بالاضافة الى ذلك كلما رأت احدى الدولتين في نفسها القوة التي تمكنها من تحقيق الانتصار على جارتها المنافسة لها، وبالاخص عندما تكون الاخيرة في وضع مضطرب وفي حالة من عدم الاستقرار السياسي والضعف العسكري، تبادر الى اغتنام الفرصة واعلان الحرب عليها لتحقيق بعض المكاسب لها[١٢٤]، كما سنرى فيما بعد. وبعكس ذلك كلما انشغلت الدولتان بمشاكلهما الداخلية ومنازعاتهما مع الجهات الاخرى، كانا يحرصان على المحافظة على السلام واستتباب الأمن والاستقرار النسبيين على الحدود بين الجانبين. وهذا ماينطبق على مدة السلم الطويلة التي سادت بين الدولتين في اعقاب معاهدة زهاب المعقودة في عام ١٦٣٩[١٢٥].

وكانت تتخلل هذا الصراع معاهدات عديدة تعقد بين الدولتين عقب كل جولة قتال جديدة، لتوقف ذلك الصراع مدة من الزمن، ولكن تلك المعاهدات سرعان ما تتعرض للخرق ليتجدد الصراع مرة اخرى. لذلك يمكننا الجزم بان تلك المعاهدات لم تكن في معظم الاحيان سوى هدنات توقف القتال لمدة محدودة، نظراً لعدم قدرة تلك المعاهدات على حسم النزاعات العالقة بينهما،

---

(١٢٠) كانت عشيرة كبيرة في المنطقة الواقعة بين موش و ورمى وارضروم. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٤٠٧.

(١٢١) احمد جودت، م. س، ج١٢، ص٣-٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٤.

(١٢٢) ينظر نص فرمان فتح علي شاه القاجاري الى ولي عهده عباس ميرزا في: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل٩٩-١٠١، وانظر نص المعاهدة في: احمد جودت، م. س، ج١٢، ص٢٦٦-٢٧٤.

(١٢٣) ينظر نص الرسالة في الوثيقة رقم (٩) في: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل٣٥-٣٦.

(١٢٤) سي. جى. ادموندز، كرد وترك وعرب، ت: جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١، ص١٢٠.

(١٢٥) علي شاكر، تاريخ العراق...، ص٨١.

وبقاء العوامل نفسها التي كانت تثير الصراع باستمرار. فمعاهدة زهاب عام ١٦٣٩ تعد خير مثال على ذلك، فرغم ان تلك المعاهدة قد أتخذت أساساً لمعظم المعاهدات التالية لها حتى عام ١٨٤٧، الا انها تركت مناطق (سقز وزهاب ودرنه) دون تعيين حدودها بدقة[١٢٦]. ويمكننا ان نتلمس الحقائق السابقة من خلال الاستعراض السريع التالي لصفحات ذلك الصراع.

بالرغم من ان معاهدة آماسية المعقودة في عام ١٥٥٥ قد أدت الى تخفيف حدة التوتر بين الدولتين مدة ثلاثة وعشرين عاماً الا انها لم تمنع نشوب الحرب بينهما مجدداً[١٢٧]. فقد انتهزت الدولة العثمانية فرصة ضعف الدولة الصفوية اثر الاضطرابات التي عمت بلاد ايران عقب وفاة الشاه طهماسب الاول عام ١٥٧٦. فقامت باعلان الحرب عليها واحتلت مناطق شاسعة من ايران[١٢٨]. وانتهت هذه الحرب بالمعاهدة التي ابرمت في عام ١٥٩٠ بمبادرة من الشاه عباس الاول الصفوي[١٢٩] الذي أراد من ذلك تحقيق السلام في الجبهة الغربية ليتفرغ لقتال قبائل الاوزبك[١٣٠] التي كانت تقوم بغزوات متوالية على الاقاليم الصفوية الشرقية[١٣١]. وبمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه للدولة العثمانية عن اقاليم تبريز وشيروان وجورجيا ولورستان وشهرزور، وكانت الاخيرة قد أحتلت هذه المناطق كلها، كما احتوت المعاهدة بنوداً أخرى[١٣٢] لا تهمنا في هذه الدراسة.

---

(١٢٦) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ص١٩٥.

(١٢٧) كنا قد توقفنا في الفصل الثاني عند هذه المعاهدة في الحديث عن هذا الصراع.

(١٢٨) نظمي زاده ، م. س، ص٢٠٩-٢١٠، محمد فريد بك ، م. س، ص١١٤-١١٦.

(١٢٩) من الشاهات الصفويين العظام اشتهر بالكبير، حكم الدولة فيما بين ١٥٨٧-١٦٢٩، فأنجز خلال تلك الفترة الكثير من الاصلاحات والانتصارات في ايران. حول ترجمته ينظر: اسكندر بيك تركمان، م. س.

(١٣٠) قبيلة تركية كانت قد استولت على مقاليد الامور في تركستان بزعامة محمد الشيباني الذي قضى على بقايا التيموريين في خراسان وهراة في عام ١٤٩٤، لتصبح متاخمة لايران وأخذت تهدد حدودها تهديداً متواصلاً، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ت: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٩، بيروت ١٩٨١، ص٤٩٧.

(١٣١) راجر سيوري، م. س، ص٨١-٨٢. د. محمد وصفي ابومغلي، ايران/ دراسة عامة، البصرة ١٩٨٥، ص٢٥١. علاء نورس، م. س، ص٢٦.

(١٣٢) شاكر صابر الضابط، م. س، ص٢١. علاء نورس، م. س، ص٢٦.

ولكن الشاه عباس بعد ان تخلص من مشاكله في الشرق وفرغ من اصلاحاته الداخلية التي ادت الى تقوية قواته العسكرية بدأ يعد العدة للانتقام من العثمانيين، فبدأ الحرب في عام ١٦٠٢ واسترد منهم تبريز في عام ١٦٠٣ ثم يريڤان (اريوان) وقرهباغ فيما بعد. وبحلول عام ١٦٠٧ تمكن الشاه عباس من طرد آخر جندي عثماني على الاراضي الصفوية التي نصت عليها معاهدة آماسية. ولكن ذلك لم يمنع استمرار الحرب بين الجانبين، اذ لم يكن الجانب العثماني مستعداً للعودة الى وضعية المعاهدة المذكورة، كما كانت المطامع التوسعية تدفع الشاه الى ضم المزيد من الاراضي[١٣٣]. ولذلك شن عدة حملات على الاراضي العثمانية وبالاخص الكوردية منها. فتوغل فيها عام ١٦١٧ حتى وصل انحاء وان، وذلك عندما استغل المنازعات التي نشبت بين بعض الزعماء الكورد و والي وان العثماني، حينما انحسب هؤلاء الزعماء من الحملة التي اعدها الاخير للرد به على الهجمات الصفوية إثر تعرض اماراتهم للخطر الصفوي مباشرة وعودتهم للدفاع عنها[١٣٤]. فأصحبت هذه الحرب فاتحة لسلسلة من الحروب لم تنتنه الا في سنة ١٦٣٩، وجرت خلال هذه المدة الطويلة محاولات عدة للصلح ووقف القتال[١٣٥].

كان الحدث البارز في تلك الحرب يتمثل في احتلال بغداد من قبل الجيش الصفوي في سنة ١٦٢٣، وذلك باستغلال الاضطرابات التي نشبت فيها جراء حركة التمرد التي قام بها بكر الصوباشي[١٣٦]. ولكن العثمانيين لم يتنازلوا عن بغداد وكانوا في محاولات مستمرة لاعادة السيطرة عليها. الا انهم لم يتمكنوا من ذلك الا في سنة ١٦٣٨ حينما قاد السلطان مراد الرابع بنفسه حملة ضخمة تمكنت من تحقيق النجاح. وكانت القوات العسكرية التابعة للامارات والزعامات الكوردية وكذلك بعض الشخصيات الدينية الكوردية قد شاركت بشكل ملحوظ وفعال في جميع تلك المحاولات العثمانية الرامية الى استعادة بغداد وخاصة حملة السلطان مراد

---

(١٣٣) راجر سيوري، م. س، ص٨٣-٨٥. عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص٥٨.

(١٣٤) حول تفاصيل ذلك ينظر: محمد امين زكي، خلاصة...، ص١٩٧.

(١٣٥) حول تفاصيل تلك الحرب ومحاولات الصلح المذكورة ينظر: اسكندر بيك تركمان، م. س، ج٣، ص٦٥١-٦٦٨. راجر سيوري، م. س، ص٨٤-٨٦. شاكر صابر الضابط، م. س، ص٢٢-٢٧.

(١٣٦) حول تفاصيل عملية استيلاء الصفويين على بغداد وحركة بكر الصوباشي ينظر: مصطفى نعيما الحلبي، تأريخ نعيما (أو: روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين)، ج٢، استانبول ١٢٨١هـ، ص٢٧٨-٢٧٩. اسكندر بيك تركمان، م. س، ج٣، ص٧٥١-٧٥٣ وكذلك: علي شاكر، تاريخ العراق...، ص٢٩-٣٧.

المذكورة، التي كانت مجهوداً حربياً ضخماً وناجحاً في آن واحد، كما أصبحت الاراضي الكوردية ممراً لتلك الحملات العسكرية بل انها كانت تمثل ساحة رئيسة للمواجهة في بعض الاحيان[١٣٧].

بعد رجحان كفة الحرب لصالح العثمانيين اضطرت الدولة الصفوية الى طلب الصلح لوقف القتال الدائر بينهما، فتوصل الطرفان في عام ١٦٣٩ الى عقد معاهدة عرفت بمعاهدة زهاب التي نصت على ان تكون للدولة العثمانية كل من بدرة و جسان و مندلي و درنه و درتنك و سرمنيل والقرى الواقعة غربي قلعة زنجير حتى قلعة زلم في ضواحي شهرزور، وجميع الجبال المحيطة بهذه القلعة حتى الممر المؤدي الى شهرزور، والذي يكون نقطة الحدود بين الدولتين، بالاضافة الى قلعة قزلجة وتوابعها. كما تمتنع ايران عن التدخل والتعرض لجميع النواحي الواقعة ضمن حدود أخسخة وقارص و وان و شهرزور و البصرة والحصون الاخرى التي تحمي حدود الدولة العثمانية. ونصت المعاهدة كذلك على هدم قلعة زنجير وقلعتي كوتور و ماكو الواقعتين في أعالي وان و قلعة مغازبرد في قارص، كما نصت على عدم تدخل الدولتين في شؤون بعضهما البعض بالاضافة الى مواد أخرى حددت العلاقات القائمة بين الدولتين[١٣٨].

ويجب ان لا يغيب عن البال بانه مثلما كان الصراع العثماني الايراني على الاراضي الكوردية وبالمقدرات البشرية والاقتصادية الكوردية في معظم الاحيان، كانت التسوية التي جاءت بها معاهدة زهاب على حساب الكورد أيضاً، اذ ان الجانبين قد اتفقا على تقسيم الاراضي الكوردية بل و العشائر الكوردية أيضاً في هذه المعاهدة.

وقد ادت معاهدة زهاب الى التوصل الى علاقات سلمية بين الدولتين استمرت حوالي ثمانين عاماً، واصبحت هذه المعاهدة أساساً لكثير من المعاهدات الاخرى التي عقدت بين الدولتين فيما بعد، وذلك لكونها اكمل واكثر وضوحاً مما سبقها من المعاهدات التي عقدت بينهما حتى ذلك اليوم[١٣٩].

---

(١٣٧) ينظر: اسكندر بيك تركمان، م. س، ج٣، ص٧١٦-٧١٧. هامر، م. س، ج٩، ص١١١-١١٥. محمد سعيد المدرس، م. س، ج١، ص٦٦٧. احمد راسم، م. س، ج٢، ص٥٥٢-٥٥٤.

(١٣٨) حول نص المعاهدة يراجع: مصطفى نعيما، م. س، ج٣، ص٤٣٠. محمد سعيد المدرس، م. س، ج١، ص٧٠٢.

Hurewitz, J. C., Diplomacy in the Near and Middle Eeast, Vol. 1, 2ed pub. USA, 1958, p 21-23.

(١٣٩) شاكر صابر الضابط، م. س، ص٣٤. علاء نورس، م. س، ص٦٦-٦٧.

بالرغم من ذلك تجددت الحرب مرة اخرى، وذلك حينما استغل العثمانيون الغزو الافغاني لايران في عام (١٧٢٠) وسيطرتهم على جزء كبير من البلاد الايرانية التي وقعت جراء ذلك في حالة يرثي لها من الاضطراب والوهن[١٤٠]. فاعلنوا الحرب عليها في عام ١٧٢٣ ووجهوا حملتين عسكريتين اليها، أسندت قيادة الحملة في جنوبي كوردستان الى والي بغداد حسن باشا الذي كان في معيته الكثير من الامراء الكورد مع بعض العشائر الكوردية والعربية، وتمكنت هذه الحملة من تحقيق مكاسب مهمة، فقد سيطرت على مدينة كرمنشاه في تشرين الاول ١٧٢٣ واعلنت امارتا اردلان ولورستان ولاءهما للدولة العثمانية في السنة نفسها. ولكن حسن باشا توفي اثناء تلك الحملة فحل محله ابنه احمد باشا الذي واصل تقدمه واحتل مدينة همدان في ٣١ آب ١٧٢٤[١٤١].

أما في الجبهة الشمالية (شمال غربي ايران) فقد تمكن العثمانيون حتى صيف ١٧٢٥ من الاستيلاء على ايالات جورجيا و ارمينيا و آذربيجان و شيروان باستثناء جزء صغير من الايالتين الاخيرتين والذي كان بيد الروس[١٤٢]. وساهم الكورد في تلك الحملة أيضاً وقدموا ضحايا كثيرة في الجانبين. فقد أباد العثمانيون في عام ١٧٢٤ ثلاثة آلاف محارب كانوا يدافعون عن مدينة (خوى) بقيادة (شهباز خان) بعد القضاء على مقاومتهم الباسلة التي طالت أشهراً عدة. كما تعرضت المدينة للبطش والتخريب، فبلغ مجموع خسائرها ثمانية آلاف شخص، ويجدر بالذكر ان الجيش العثماني المهاجم كان بقيادة والي وان (عبدالله كوبريلي زاده)[١٤٣]، ويضم في

---

(١٤٠) محمد فريد بك ، م. س، ص١٤٦. وحول تفاصيل تلك الاوضاع ينظر: لارنسى لاكهارت، م. س، ص١٠١ ومابعدها.

(١٤١) ينظر: اسماعيل عاصم كوچك چلبي زاده، م. س، صفحات ٧٩، ٨٦-٨٨، ١٩٩. سليمان فائق بك، حروب الايرانيين...، ص١٠٢-١٠٥. لارنس لاكهارت، م. س، ص٢٣٤-٢٣٥.

(١٤٢) لارنس لاكهارت، م. س، ص٢٣٣.

(١٤٣) جوزيف هامر، م. س، (فارسي)، ج٤، ص٣٠٩٦. نعمت شهاب حاجى، كوردستانى رۆژهەلآت لە سەردەمى فەرمانڕەوايى زەندييەكان ١٧٥١-١٧٩٤، نامەى ماستەر، كۆلێژى ئاداب زانكۆى سەلاحەددين ٢٠٠٦، ل٢٦. ينظر ايضاً: عبدالرزاق بيك دنبلي، تجربة الاحرار وتسلية الابرار، تصحيح: حسن قاضي طباطبائي، تبريز، ١٣٤٩هـ. ش، ص٥٧-٥٨. يجدر بالذكر ان والد المؤرخ الاخير كان معاصراً للحدث المذكور.

صفوفه عدداً من القوات الكوردية[١٤٤]. كما كانت مدينة خوي مركزاً لامارة دنبلي الكوردية، اما شهباز خان فكان اميراً على تلك الامارة[١٤٥].

استمرت هذه الحرب مدة طويلة من الزمن لكنها لم تكن على وتيرة واحدة دائماً، فقد أنعكست الآيه حينما أتخذ الايرانيون موقف الهجوم، ولم يكتفوا بتحرير المدن التي استولى عليها العثمانيون فحسب بل عمدوا الى غزو الاراضي العثمانية. وذلك عندما ظهر نادرخان الافشاري على مسرح الاحداث في ايران، فقضى على الوجود الافغاني فيها ليتفرغ بعد ذلك لازاحة العثمانين على اراضي ايران، ثم توغل في الاراضي العثمانية مرات عدة محدثاً فيها الخراب والدمار[١٤٦]. وقد أصبحت كوردستان جراء تلك الحملات مسرحاً للحركات العسكرية، ونالت كركوك و اربيل والمدن والقصبات الكوردية الاخرى قسطاً وافراً من التخريب والبطش والنهب على أيدي الغزاة المهاجمين[١٤٧]. ولكن الدولتين قد توصلتا أخيراً الى اتفاق حول ايقاف الحرب بينهما، ووقعتا معاهدة سميت بمعاهدة (كردن) في عام ١٧٤٦، والتي نصت على اعتبار الحدود التي حددتها معاهدة زهاب حدوداً معترفاً بها من قبل الدولتين[١٤٨].

هدأت الاوضاع بعد تلك الحرب الطويلة بين الدولتين مدة من الزمن، ولكن تلك المدة لم تكن تخلو من المناوشات والمعارك القصيرة وبالأخص في كوردستان الجنوبية، وبالتحديد في امارة بابان التي شهدت حملات ايرانية عدة عبرت الحدود مخترقة الاراضي الكوردية التابعة للدولة العثمانية في اطار تدخلها في الشؤون الداخلية لتلك الامارة[١٤٩]. وكانت القوى المحلية المتمثلة بقوات ايالة بغداد والايالات العراقية الاخرى تجابه تلك الحملات، لذلك كان اغلبها تنسحب دون ان تسيطر

---

(١٤٤) لارنس لاكهارت، م. س، ص٢٣٠.

(١٤٥) عبدالرزاق بيك دنبلي، م. س، ص٥٦-٥٧. نعمت شههاب، س. پ، ل٢٦.

(١٤٦) جان مالكم، م. س، ج٢، ص٢٧ ومابعدها.

(١٤٧) للوقوف بالتفصيل على تلك الحملات وآثارها ينظر: عبدالرحمن السويدي، م. س، ج٢، في: محمد بهجة الاثري، م. س، ص٤٤ ومابعدها. وكذلك: سهيل قاشا، حملات ناردشا على العراق في وثائق سريانية، ق٢، مجلة (كاروان)، ع(٧٥) آيار ١٩٨٩، ص١٥٢-١٥٥.

(١٤٨) ينظر نص المعاهدة في: رسول الكركوكلي، م. س، ص٧٥-٧٦ وكذلك: شاكر صابر الضابط، م. س، ص٤٧-٤٩. Hurewitz, op. cit, vol. I, P51-52.

(١٤٩) حول هذه التدخلات يراجع موضوع (السياسة الايرانية في كوردستان) في هذا الفصل.

على مواقع معينة[١٥٠]. وكذلك فان تلك الحروب ـ على العموم ـ لم تكن ترقى الى مصاف الحروب الواسعة النطاق والمعلنة رسمياً بين الدولتين.

ولكن عهد كريم خان الزند في ايران قد شهد تطوراً في الاوضاع القائمة اثر الاحتلال الايراني للبصرة والحملات التي وجهها كريم خان الى كوردستان الجنوبية في عام ١٧٧٥[١٥١]. مما ادى الى ان تعلن الدولة العثمانية الحرب رسمياً على ايران، الا ان هذا الاعلان لم يأخذ طابعاً فعلياً شاملاً لانشغال العثمانيين بمشاكلهم في اوربا، فكانت على مستوى الايالات العراقية في الجانب العثماني[١٥٢].

وقد استمر الحال على هذا المنوال الى بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر، حين تجددت الحرب مرة اخرى عندما تذرعت ايران بحجج واهية لتوجه حملات عدة على الدولة العثمانية وذلك في عام ١٨٢٠[١٥٣]، وحدثت معارك عدة بين الجانبين في جبهات عديدة كان معظمها في كوردستان، حيث أخترقت القوات الايرانية مناطق بايزيد و موش و ارجيش في شمال كوردستان[١٥٤]. وتوغلت هذه القوات حتى وصلت الى دياربكر وانحاء وان[١٥٥].كما أصبحت مناطق كوردستان الجنوبية جبهة ساخنة للعمليات العسكرية المصاحبة لتلك الحرب، اذ اخترق الجيش الايراني شهرزور و مناطق امارة بابان الاخرى لمرات عدة. ففي حملة عام ١٨٢٢ وصل ذلك الجيش في زحفه نحو بغداد الى بلدة دللي عباس (المنصورية- حالياً). وذلك في اعقاب

---

(١٥٠) رسول الكركوكلي، م. س، ص١٤٩-١٥٠. عثمان بن سند، م. س، ص٨٩، ١٤١. محمد امين زكي، تاريخى ولأتى سليمانى، ل١٢١-١٢٧.

(١٥١) ميرزا محمد صادق موسوي، م. س، ص١٧٨ ومابعدها. يجدر بالذكر ان كريم خان قد وجه تلك الحملات بناءً على طلب محمد باشا بابان الذي التجأ الى ايران بعد عزله عن امارة بابان وتعيين أخيه محمود باشا. رسول الكركوكلي، م. س، ص١٤٨-١٤٩.

(١٥٢) علاء نورس، م. س، ص٢٧٥. نعمت شهاب، س. پ، ل١١٧.

(١٥٣) حول تلك الحجج ينظر نص رسالة الشاهزاده محمد علي ميرزا في: محهمهد حهمهباقى، س. پ، ل٨٥-٩٠، وكذلك: احمد جودت، م. س، ج١٢، ص٣-٤.

(١٥٤) ينظر نص رسالة عباس ميرزا في: محهمهد حهمهباقى، س. پ، ل٩٣. وكذلك: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٥.

(١٥٥) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٥. عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب...، ج١، ص٢٠٧-٢٠٨.

الانتصار على قوات إيالة بغداد، التي كانت تضم قوات امارة بابان ايضاً. ولكن الايرانين لم يتابعوا تقدمهم بسبب انتشار وباء الكوليرا في معسكرهم. فقفلوا راجعين الى بلادهم وهم يحملون نعش قائدهم الشاهزاده محمد علي ميرزا، الذي مات جراء ذلك الوباء[١٥٦].و بالرغم من ذلك استمرت الحرب حتى عام ١٨٢٣ ثم انعقد الصلح بينهما في مدينة ارضروم، التي اطلق اسمها على المعاهدة التي وقعت فيها، فعرفت بمعاهدة ارضروم الاولى. والتي اتفقوا فيها على العودة الى معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ وعلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة المقابلة[١٥٧].

ومع ان هذه المعاهدة قد اوقفت الحرب رسمياً بين الدولتين، ولكن المناوشات والغارات الحدودية لم تتوقف. فقد هاجم والي بغداد علي رضا باشا[١٥٨] مدينة المحمرة[١٥٩] الايرانية واحتلها. كما أعادت قوات إيالة بغداد السيطرة على مدينة كربلاء المقدسة التي كانت قد خرجت عن الادارة العثمانية. وقتل جرائها عدد كبير من سكانها الشيعة. وظلت المشاكل التي اوصت المعاهدة بحلها عالقة بين الطرفين، حيث ان السلطات القاجارية لم تخل منطقة زهاب، كما بقيت مسألة تدخلها في امارة بابان على حالها[١٦٠].

لهذه الاسباب ابتدأت الحرب بين الدولتين مرة اخرى في عام ١٨٤٧، ولكنها لم تدم طويلاً نظراً لتدخل الدولتين الروسية والبريطانية وتوسطهما بين المتحاربين. فانعقدت معاهدة صلح جديدة في ارضروم في السنة نفسها عرفت بمعاهدة (ارضروم الثانية). شطرت هذه المعاهدة منطقة زهاب المتنازع عليها الى شطرين، شطر بقي تحت حكم الدولة القاجارية أما الشطر الآخر فقد

---

(١٥٦) رسول الكركوكلي، م. س، ص٢٩٦-٣٠٠. سليمان فائق بك، م. س، ص٦٦-٧٧. احمد جودت، م.س، ج١٢، ص١٢.

(١٥٧) ينظر نص المعاهدة في: احمد جودت، م. س، ج١٢، ص٢٦٦-٢٧٤ وكذلك: شاكر صابر الضابط، م. س، ص٥٨-٦٠. عبدالعزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية...، ص٢٦-٢٨.

(١٥٨) كان والياً على بغداد فيما بين سنتى (١٨٣١-١٨٤٢) واشتهر بقضائه على حكم المماليك في ايالة بغداد.ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٣٩.

(١٥٩) مدينة ايرانية تقع الى الجنوب الغربي منها.

(١٦٠) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٦. ن.أ.خالفين، م. س، ص٧٤-٧٥.

عدّ مع امارة بابان جزءاً من الدولة العثمانية[١٦١]. كما تألفت بموجب المعاهدة لجنة مشتركة من ممثلي الدولتين العثمانية والقاجارية وكذلك ممثلي بريطانيا و روسيا، أخذت على عاتقها مهمة تحديد الحدود بين الدولتين[١٦٢].

وأخيراً بعد هذا العرض السريع لحلقات الصراع العثماني الايراني خلال الفترة المعنية لابد لنا من ان نذكر بان كوردستان كانت مسرحاً لجميع الحروب التي حدثت في اطار ذلك الصراع، كما كانت هدفاً لهاتين الدولتين، اللتين كانتا تحاولان السيطرة على مناطقها الاستراتيجية المهمة. مما عرضها لكثير من الويلات والدمار فادى ذلك الى تدني أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية كما أثرت في مسيرتها التاريخية.

ومن جانب آخر لم تجنِ الطرفان المتصارعان أية فائدة من ذلك الصراع. فرغم خسائرها المادية والبشرية الكبيرة جراء ذلك الصراع فانهما كانا يعودان في كل مرة الى العمل بالمعاهدات المبرمة سابقاً، وخاصة معاهدة زهاب عام ١٦٣٩ كما رأينا، الامر الذي كان يعني ذهاب كل تلك المجهودات والخسائر التي بذلتها الدولتان ادراج الرياح.

ب- سياسة روسيا في كوردستان:

تأخر اتصال روسيا بكوردستان الى بداية القرن التاسع عشر، نظراً لعدم وجود حدود مشتركة بين الاراضي الجنوبية الروسية و كوردستان حتى تلك الفترة. اذ كانت المناطق الواقعة فيما بين حدود روسيا و كوردستان الشمالية مأهولة من قبل السكان الارمن على الاغلب، مع وجود بعض المجموعات السكانية الكوردية. ولكن مع بدايات القرن التاسع عشر اقتربت حدود روسيا من المناطق الكوردية شيئاً فشيئاً. لتضم جزءاً من كوردستان مع نهاية العقد الثالث من ذلك القرن[١٦٣].

---

(١٦١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٦. جەلیلی جەلیل، كوردەكانی...، ل٢٥٤-٢٥٥، وحول نص المعاهدة والمفاوضات التي سبقها ينظر: عبدالعزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية...، ص٣٠ ومابعدها.

(١٦٢) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٦. جەلیلی جەلیل، كوردەكانی...، ل٢٥٦-٢٥٨.

(١٦٣)م.س. لازاريف، س. پ، ل٤٧. جەلیلی جەلیل، كوردەكانی...، ل٤١، ٣٠٣، يجدر بالذكر ان روسيا قد ضمت الى حدودها بعض السكان الكورد لاول مرة في عام ١٨٠٥، وذلك حينما سيطرت على منطقة (قرەباغ) الواقعة في ارمينيا الحالية، التي كانت تضم عدداً من السكان الكورد. ينظر: پ.ی.ئەڤیریانۆف، س. پ، ل٣٥.

ان اولى اتصالات الحكومة الروسية بالكورد و الاهتمام بشؤونهم تعود الى حرب عام ١٨٠٤-١٨١٣ بين روسيا وايران[١٦٤]. حينما بدأ المسؤولون الروس الاتصال بالعشائر الكوردية الموجودة بالقرب من حدود روسيا. فقد أرسل القائد الروسي في جورجيا (چيچياتۆف) رسالة في الرابع والعشرين من ايلول عام ١٨٠٤ الى (حسين اغا) زعيم احدى العشائر الكوردية الرحالة في بريڤان، وكان الاخير قد انضم بفرسانه الى صفوف الجيش الايراني في هذه الحرب. وقد القائد طلب الروسي من حسن آغا في رسالته ان ينضم الى جانب روسيا مقابل التعهد بحفظ جميع امتيازاته وبقائه زعيماً على عشيرته ولكنه لم يتسلم جواباً ايجابياً من الزعيم الكوردي المذكور[١٦٥].

ان تلك المحاولة الروسية ومحاولات اخرى كانت نابعة من تفهمها لحقيقة قيام الكورد بدور فعال في مساندة كل من الدولتين العثمانية والايرانية في حروبها مع روسيا. ويشير أحد المعاصرين لتلك المدة الى ان نسبة القوات الكوردية المشاركة في جيش حاكم آذربيجان الايراني كانت تبلغ ٢/٣ من مجموع مقاتلي ذلك الجيش المؤلف من خمسين الف مقاتل[١٦٦]. لذلك انصبت جهود السلطات الروسية في القفقاس على محاولة استمالة الزعماء الكورد في مناطق الحدود بكافة الوسائل الاغرائية بهدف استخدام هذا السلاح لصالحهم وليس ضدهم كما كانت. وعندما كانوا يفشلون في هذه المحاولات كان كل ما يأملونه هو التزام الكورد بموقف الحياد اثناء تلك الحروب[١٦٧]. اذ يؤكد أحد الضباط الروس على تلك السياسة حينما يذكر ان جميع اتصالاتهم مع الزعماء الكورد كانت ((تستهدف ابعاد الكورد عن المشاركة الى جانب تركيا [الدولة العثمانية] وفارس [ايران] في الحرب ضد روسيا...))، ويضيف الضابط المذكور انهم كانوا يحاولون ايضاً ((اقناع الزعماء الكورد ليصبحوا من مواطني روسيا بملء إرادتهم)) وذلك بالحفاظ على امتيازاتهم وعدم استفزازهم[١٦٨].

---

(١٦٤) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٥١. ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٤.

(١٦٥)پ.ی. ئەڤیریانۆف، س. پ، ل٢٥. ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٥. وحول نص الرسالة يراجع المصدر الاول، ص٣٥٣.

(١٦٦) پ.ی.ئەڤیریانۆف، س. پ، ل٢١.

(١٦٧) ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٤-٥٥. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢٦٤.

(١٦٨)پ.ی. ئەڤیریانۆف، س. پ، ل٣١-٣٢.

وكانت هناك جملة عوامل تؤدي الى نجاح السياسة الروسية المذكورة نسبياً، فكانت الدولة العثمانية قد بلغت في تلك الفترة حالة من الضعف السياسي والعسكري بحيث كان الكورد متأكدين من خسارتها امام روسيا في الحرب المقبلة(١٦٩). وذلك في الوقت الذي لم يكن معظم السكان الكورد مستعدين للتضحية في سبيل تلك الدولة(١٧٠). التي اصبحت موضع استيائهم وحقدهم بسبب ظلمها الكثير في كوردستان(١٧١). يضاف الى ذلك ارتباط مصالح بعض العشائر الكوردية الحدودية بروسيا من الناحية الاقتصادية والجغرافية، حيث كانت مراعيهم الصيفية تقع في داخل الاراضي الروسية، مما دفع بقسم منهم الى موالاة روسيا(١٧٢). ومن الدلائل التي تبرهن على ذلك ان بعض الزعماء الكورد الذين وقعت مناطقهم في حومة الحرب قد اتخذوا مواقف متذبذبة بين الجانبين المتحاربين، وذلك حرصاً على مصالحهم. فعندما اندلعت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية في عام ١٨٢٨ وجد الحاكم الكوردي في بايزيد (بهلول باشا) نفسه عاجزاً عن الوقوف بوجه القوات الروسية، فبادر الى الاتصال بالقيادة العسكرية الروسية في المنطقة لينضم الى جانبها في الحرب ضد القوات العثمانية. ولكنه تراجع عن موقفه فيما بعد، وانضم الى العثمانيين(١٧٣).

وقد ظهرت نتائج السياسة الروسية تجاه الكورد بجلاء خلال الحرب الروسية العثمانية (١٨٢٨-١٨٢٩). فقد رفض أمير هكاري مع امراء كوردستان الجنوبية الاستجابة للنداء العثماني الداعي الى المشاركة في الحرب ضد روسيا، ووقفوا على الحياد في تلك الحرب(١٧٤). والجدير بالذكر ان تلك المواقف الكوردية المحايدة كانت تعدّ نصراً ((كبيراً)) للسياسة الروسية في كوردستان، اذ كانت تعني تخلف قوات كبيرة وفعالة عن الجيش العثماني حسب تعبير (خالفين)(١٧٥). ولكن بعض الزعماء الكورد في كوردستان الشمالية قد ذهبوا أبعد من ذلك فبدأوا التنسيق مع الجيش الروسي الزاحف نحو مناطقهم، ومن هؤلاء الزعماء؛ حاكم بايزيد

---

(١٦٩) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٦٤،م.س.لازاريف، س. پ، ل٤٧-٤٨.

(١٧٠) ينظر: پ.ى.ئەڤيريانۆف، س. پ، ل٣٧، ٨٩.

(١٧١) يراجع موضوع (نظرة الكورد للعثمانيين) في المبحث الاول من هذا الفصل.

(١٧٢) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٦٤.

(١٧٣) پ.ى.ئەڤيريانۆف، س. پ، ل٥٨-٦٢.

(١٧٤) هـ. س، ل٥٧.

(١٧٥) الصراع على كردستان، ص٥٧-٥٩.

(بهلول باشا) وأمير موش (أمين باشا) بالاضافة الى (سليمان آغا) و (حسين آغا) الذين كانا من زعماء قبيلة (زيلان) الكوردية الكبيرة، وزعماء آخرين[176].

وقد نشر قائد القوات الروسية في القفقاس الجنرال (گراف باسكفيج) نداءً الى سكان الدولة العثمانية، طالب فيه بالتزام الهدوء والاخلاد الى السكينة وعدم رفع السلاح بوجه القوات الروسية، وذلك مقابل الحفاظ على ارواحهم وممتلكاتهم. ومن البديهي ان نسخاً من ذلك النداء قد تم نشرها في المناطق الكوردية أيضاً[177]. وبالرغم من ذلك اشترك بعض القوات الكوردية ضمن الجيش العثماني في الحرب ضد روسيا، وذلك إما خوفاً من العقاب، أو بسبب استيائهم من الروس الذين استولوا على مناطقهم فحرموا منها، أو بدافع الوازع الديني[178].

وقد اتسعت وقائع هذه الحرب حتى وصلت الى كوردستان الوسطى، مما اتاح الفرسة للروس لدرس احوال الكورد عن كثب. فأقتنعت الحكومة الروسية بمقدرة الكورد الحربية وأهميتهم العسكرية فألّفت فوجاً كاملاً[179] من الكورد في عام ١٨٢٩. وعمدت في سبيل ذلك الى تشجيع الهجرة الكوردية الى البلاد الروسية. وفي الواقع ان هذا التشجيع قد ادى الى هجرة بعض عشائرهم الى بلاد القفقاس[180].

وقد أدت هذه الحرب الى سيطرة روسيا على مناطق شاسعة من كوردستان[181] فأستمرت في السنوات التالية تمارس سياساتها المذكورة في كوردستان، وكانت تتراوح بين مد و جزر حتى وصلت اثناء حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٤) الى نطاق أوسع، الى درجة ان شكل الروس فوجين عسكريين من الكورد لمحاربة الدولة العثمانية[182].

و لابد ان ننوه أخيراً الى ان اتخاذ الكورد لتلك المواقف المؤيدة لروسيا انما يدل على استيائهم من العثمانيين، ومحاولتهم التخلص من السيادة العثمانية بأية وسيلة كانت.

---

(١٧٦) ينظر نص تقرير قائد الجيش الروسي في القفقاس الجنرال (گراف باسكفيج) المؤرخ في (١١) كانون الثاني ١٨٢٩ في: پ.ی.نەڤیریانۆف، س. پ، ل٣٥٥-٣٥٨.

(١٧٧) ينظر نص النداء في: پ.ی.نەڤیریانۆف، س. پ، ل٣٥٤.

(١٧٨) هـ. س، ل٨٩.

(١٧٩) كان هذا الفوج يتراوح عدده مابين (٤٠٠-٥٠٠) مقاتل. ينظر: هـ. س، ل٧٤.

(١٨٠) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٥١. وينظر ايضاً: پ.ی.نەڤیریانۆف، س. پ، ل٧٤.

(١٨١)م.س. لازاريف، س. پ، ل٤٨.

(١٨٢) ن.أ.خالفين، م. س، ص١٠٠-١٠١، جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢٦٤-٢٦٨.

الفصل الخامس

(الهجوم العثماني على كوردستان والقضاء على الامارات الكوردية)

أولاً: كوردستان في مواجهة سياسة (المركزية) العثمانية:

أ- الاصلاحات العثمانية و سياسة (المركزية):

بلغت الامبراطورية العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر حالة يرثى لها من الانحطاط والضعف في الجوانب السياسية والاقتصادية والادارية والعسكرية والاجتماعية كافة، حيث اتضحت معالم هذا الضعف في تدهور النظام الاقتصادي، وفساد الادارة الحكومية، وتدخل الحريم في ادارة امور الدولة، واستمرار الانتفاضات في معظم ايالات الدولة العثمانية[1]. أما اكثر معالم هذا الضعف بروزاً فكانت من الناحية العسكرية ثم السياسية، حيث منيت الدولة بسلسلة هزائم عسكرية نتيجة تمسكها بتقاليدها القديمة وتكتيكها الحربي القديم، فأدى ذلك الى هزائم سياسية ودبلوماسية كبيرة، حين اضطرت نتيجة تلك الهزائم العسكرية الى التوقيع على معاهدات مهينة لسيادتها وكرامتها، وفقدت من جراء ذلك مناطق شاسعة من ممتلكاتها الاوروبية والافريقية. منها على سبيل المثال معاهدة (ياش) التي نصت على تنازلها عن مناطق شاسعة من ممتلكاتها في اوربا الشرقية وبلاد القرم لروسيا في عام ١٧٩٢.وتجلى ضعفها أيضاً في عدم قدرتها على التصدي للحملة الفرنسية على مصر والشام (١٧٩٨-١٨٠١)[2]. كما ظهر ضعفها في عجزها عن مواجهة الانتفاضات والاضطرابات الداخلية، مما ادى الى بروز النزعة الاستقلالية بين رعايا الدولة على اختلاف شعوبها وجنسياتها، واصبح الكثير من الايالات والاقاليم حكومات قائمة بذاتها، ولا تربطها بالباب العالي الا روابط اسمية، كالولاة المماليك[3] في بغداد، و الجليليين[4] في الموصل. وفي مصر

---

(١) ابراهيم خليل احمد، م. س، ص١٧٨.

(٢) محمد فريد بك، م. س، ص١٧٩، ١٨٢-١٨٣.

(٣) لقد اكثر والي بغداد حسن باشا (١٧٠٤-١٧٢٣) من شراء المماليك البيض ليستخدمهم في جيش الايالة، وحذا ابنه احمد باشا (١٧٢٣-١٧٤٧) حذوه في هذا المجال. ثم تطور بهم الامر الى الاعتماد عليهم في الامور الادارية ايضاً حتى وصلوا الى حكم ايالة بغداد في عام ١٧٤٩ في شخص الوالي المعروف بسليمان باشا ابو ليلة، فأستحوذوا على حكم تلك الايالة حتى عام ١٨٣١. حول ذلك يراجع: سليمان فائق بك، تاريخ المماليك.

(٤) ينتمون الى آل عبدالجليل الذين استغلوا نفوذهم وثرائهم للسيطرة على ايالة الموصل فيما بين سنتي (١٧٤٦-١٨٣٤). ينظر: عماد عبدالسلام، م. س.

لم يكتف محمد علي باشا بقطع علاقاته مع الباب العالي واعلان الاستقلال، بل بلغ به الامر الى مستوى منافسة الدولة العثمانية والانتصار عليها في اكثر من معركة[٥].

لقد ادى هذا الامر الى تفكير بعض السلاطين ورجال الدولة مع بعض المثقفين العثمانيين المتأثرين بالحضارة الاوربية الحديثة في مسألة انقاذ الدولة من ضعفها وتخلفها، وقد كان طلب الاصلاح يطغي على السياسة الداخلية في الدولة. اذ كانت هناك رغبة في ان تستفيد الدولة من تلك المؤسسات التي كانت تعدّ اساساً لتقدم الشعوب و الدول الاوربية، من غير ان يكون في ذلك ما يخل بصفة الدولة الاساسية. و قد بدأت محاولة الاصلاح أول الامر في الجيش الذي كان يعد أساس الدولة برمتها. فقد انصبت جهود السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) الاصلاحية على تشكيل جيش جديد يعتمد الاسس الحديثة ليحل محل القوات الانكشارية التي اصبحت وبالاً على الدولة. ولكنه لم ينجح في مسعاه بل فقد عرشه نتيجة تلك المحاولة. وذلك حينما تآمرت ضده العناصر المناوئة للاصلاح من ذوي المناصب العليا والمتنفذين متحالفين مع زعماء الانكشارية[٦].

دخلت الاصلاحات العثمانية مرحلة جدية في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) الذي كان يمتاز بالقوة والمقدرة العالية. اذ كان يطمح الى حماية الامبراطورية العثمانية من التداعي بتحديث مؤسساتها الفاسدة واصلاحها، فقد قام باصلاحات مهمة في كيان الامبراطورية، منها: الغاء القوات الانكشارية وتأسيس جيش نظامي جديد[٧]، ولكن الخطوة المهمة في اصلاحاته تتمثل في المحاولة التي قام بها لتقوية السلطة المركزية للدولة، فقد أثرت تلك المحاولة تأثيراً واضحاً في الواقع السياسي في كوردستان، إذ شكلت بداية النهاية لعهد الامارات والكيانات المحلية[٨] فيها كما سنرى فيما بعد.

لقد سعى السلطان محمود الثاني في اطار خططه الاصلاحية لاعادة الحياة الى امبراطوريته المتدهورة باعادة الحكم المباشر الى الايالات العثمانية كافة واتباع سياسة مركزية، مما كان يعني ضرورة القضاء على نفوذ الاعيان والزعماء الاقطاعيين في أنحاء الامبراطورية، وازاحة حكم

---

(٥) عثمان بن سند، م. س، ص٤٨. The Cambridge Hist., Vol. 1A, P365

(٦) كارل بروكلمان، م. س، ص٥٣٨.

(٧) The Cambridge Hist. Vol. 1A, P 364-366.

(٨) Arafa, op. cit, P22; Kinnane, op. cit, P 23

الولاة الذين كانوا قد استقلوا بـامور إيـالتهم. وقـد خطـى في الواقـع خطـوات عـدة علـى هـذا الطريق، حيث قضى على حكم المماليك في بغداد عام ١٨٣١ والجليليين في الموصـل عـام ١٨٣٤ وفي مناطق اخرى. الا انه فشل في الوقت نفسه في تحقيق ذلك الهدف في بعـض المناطق الاخرى، حيث لم تثمر الجهود العثمانية في اخماد الحركة الوهابية[٩] في شبه الجزيـرة العربيـة، وانهـاء حكـم محمد علي باشا في مصر والشام[١٠].

ب- محاولة الغاء السلطات المحلية الكوردية:

كانت محاولة تطبيق سياسة ((المركزية في الحكم)) أو ((الحكم المركزي)) تعد خطوة ايجابية من وجهة نظر السلطات العثمانية، لكنها لم تكن كذلك فيما يخص اقـاليم الامبراطوريـة العثمانيـة، التي كانت تحاول الحفاظ علـى كياناتهـا المحليـة واسـتقلالها الـداخلي. ففيمـا يتعلـق بكوردسـتان يمكننا القول ان تلك السياسة كانـت تعـد مـن المسـاوئ أو السـلبيات الاولى الـتي تلقتهـا مـن الاصلاحات العثمانية، لانها هددت الامارات والكيانـات المحليـة الكورديـة بالفنـاء. ومـن أهـم الامارات الكوردية التي حافظت على بقائها حتى تلك الفترة يمكن الاشارة الى امارات سوران و بابان و بوتان و بادينان وهكاري و بدليس[١١] يجـدر بالـذكر ان الامـارات الكورديـة الـتي ظلـت تتمتع بكثير من مظاهر الاستقلال منـذ أنضمامها الى التبعية العثمانية، قـد توسـعت في هـذا الاستقلال مع بدايات القرن التاسع عشر مستغلة في ذلك ضعف الدولة العثمانيـة وانغماسـها في مشاكلها الداخلية والخارجية.

لقد حاول السلطان محمود الثاني تطبيق اجراءاته الهادفة الى تقوية السلطة المركزيـة في انحـاء الامبراطورية كافة بكل عزم وقوة، وغير آبه بالامتيازات والتعهدات السابقة، والعواقب التي قد

---

(٩) الوهابية: حركة دينية اصلاحية تنتسب الى مؤسسها الشيخ محمد بن عبـدالوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢) الـذي دعى الى تنقية الاسلام من الـشوائب الـتي علقـت بهـا وانتـشرت في شـبه الجزيـرة العربيـة تحـت ظـل الامـراء السعوديين. ابراهيم خليل احمد، م. س، ص٢٤٢-٢٤٦.

(١٠) The Cambridge Hist., Vol. 1A, P 365.

(١١) يشير المؤرخ الايطالي (جوزيبـي كامبـانيلي ١٧٦٢-١٨٣٥) الى تلـك الامـارات الكورديـة حصراًوهو بصدد ذكر الامارات((المستقلة)) التي كانت قائمة في كوردستان، وذلك في كتابه الذي طبع بالايطاليـة في نابولي عام ١٨١٨م بعنوان(تاريخ منطقة كوردستان والفرق الدينية التي فيها). ينظر: ميريلا غاليتي، م.س،ص٢٨١. وانظر ايضاً:جەليلى جەليل،كوردەكانى...،ل٨٣.

تترتب على ذلك. فقد امر بتطبيقها في كوردستان بالرغم من وضعيتها السياسية الاستثنائية، اذ كانت -كما مربنا سابقاً- تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي في ظل كياناتها المحلية بموجب الاتفاق الكوردي العثماني الذي عقد في عهد السلطان سليم الاول[١٢]. كما انه لم يأخذ موقع كوردستان الحدودي ومجاورتها لايران و روسيا بنظر الاعتبار، رغم ان الضغط عليها كان يشكل فرصة سانحة للدولتين الاخيرتين للتدخل في شؤون الدولة العثمانية[١٣]. وبذلك فقد حاول السلطان انهاء حكم الامارات الكوردية وتأسيس قواعد الحكم المباشر في كوردستان، مما كان يعني الغاء الاتفاق الكوردي العثماني نهائياً وفرض الهيمنة العثمانية المباشرة على كوردستان.

كانت هناك جملة عوامل تقف وراء محاولة فرض سياسة ((المركزية)) في انحاء الامبراطورية العثمانية، في مقدمتها محاولة اعادة الحياة الى مؤسسات الدولة، وتقوية السلطة المركزية، وحماية الامبراطورية من التحلل والتفكك[١٤]. ولكن بالاضافة الى تلك العوامل هناك دوافع اخرى أثرت في تنفيذ تلك المهمة في كوردستان، لعل أبرزها محاولة قطع السبل أمام الدولتين الايرانية والروسية للتدخل في الشؤون العثمانية الداخلية. فمن المرجح ان المسؤولين العثمانين قد ضاقوا ذرعاً بتدخلات الدولتين المذكورتين اللتين كانتا تتخذان من الكيانات الكوردية وسيلة لتلك التدخلات، خاصة وانها كانت قريبة من حدود الدولتين وتعرف بمواقفها المناوئة للسيادة العثمانية عموماً[١٥]. ومن جانب آخر كان العثمانيون يرمون من وراء تلك العملية ضرب الحركة القومية الكوردية التي كانت في بدايتها آنذاك، وذلك بهدم الكيانات السياسية التي كانت تقوم عليها تلك الحركة خلال هذه الفترة. حيث ان جميع الحركات والانتفاضات الكوردية كانت حتى تلك الفترة توجه من قبل الامراء الكورد الذين كانوا حكام تلك الامارات[١٦]. وبالاضافة الى ذلك فان الدافع الاقتصادي المتمثل بزيادة واردات الدولة من كوردستان باحكام السيطرة عليها واستغلالها مادياً كان يعد دافعاً مهماً لهذه العملية في كوردستان. فقد بادرت

---

(١٢) مينورسكي، م. س، ص٢٦. تومابووا، لمحة عن الاكراد، ت: محمد شريف عثمان، النجف ١٩٧٣، ص١٤.

(١٣) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، مج ٧، بغداد ١٩٥٥، ص٤٣.

(١٤) عماد عبدالسلام، م. س، ص١٨٩. The Cambridge Hist. Vol. 1A, P 364.

(١٥) حول السياستين الايرانية والروسية في كوردستان يراجع المبحث الثاني من الفصل السابق.

(١٦) بمطالعة سريعة للحركات والانتفاضات الكوردية التي قامت ضد الدولة العثمانية حتى تلك الفترة سيتبين لنا ان الامراء الكورد تزعموا معظم تلك الحركات، مع وجود بعض الاستثناءات كأنتفاضة اكراد المللي التي كانت بقيادة زعيم عشائري وهو تيمور باشا المللي.

السلطات العثمانية الى فرض ضرائب اضافية في المناطق الكوردية في اعقاب الحملة العثمانية التي وجهت اليها لفرض الحكم المركزي مباشرة. فقد لحظ القنصل البريطاني في ارضروم (جيمس برانت) ذلك الامر بوضوح عندما قام برحلة في كوردستان الشمالية في عام ١٨٣٨ فكتب يقول: ((أما ما يخص الرعية فأنهم مثقلون في الوقت الحاضر بالضرائب اكثر منه في أي وقت مضى))[(١٧)].

والى جانب تلك الدوافع كان هناك دافع آخر وراء عملية فرض الحكم المركزي على كوردستان، وهو دافع التجنيد، حيث كانت الدولة العثمانية تسعى من وراء تلك العملية الى توفير الرجال للجيش النظامي الجديد الذي تأسس حديثاً ويراد تطويره. فيروى لنا البريطاني (برانت) ما يؤكد ذلك عندما يتحدث عن هزيمة احدى العشائر الكوردية التي وقفت في وجه الحملة العثمانية التي وجهت الى كوردستان في اطار تلك العملية، فيقول: ((وبالنتيجة جنَّدَ منهم الباشا ثلاث مئة شخصاً للخدمة العسكرية))[(١٨)].

بالرغم من كل ذلك لا تخرج عملية القضاء على الامارات الكوردية عن اطار المحاولات العثمانية الهادفة الى اصلاح امبراطوريتهم التي تخلفت عن ركب التطور من وجهة نظر العثمانيين. ولكنها كانت خرقاً عثمانياً كاملاً للاتفاق الكوردي العثماني المبرم في عام ١٥١٤ وعملية إعادة احتلال شاملة لكوردستان من وجهة نظر الكورد.

ج- الهجوم العثماني بقيادة محمد رشيد باشا على كوردستان:

ان هزيمة الامبراطورية العثمانية امام روسيا في حرب عامي ١٨٢٨-١٨٢٩، وانتصار اليونانيين في حرب استقلالهم في عام ١٨٣١، والزحف الناجح الذي قام به ابراهيم باشا[(١٩)] على رأس الجيش المصري شمالاً صوب الاناضول بعد انتصاره على القوات العثمانية في سوريا عام ١٨٣١، قد بعثت آمال الحرية والاستقلال لدى بعض الزعماء الكورد من جديد. اذ ترسخت في ذهنهم قناعة مفادها، اذا كان اليونانيون والمصريون الذين كانوا من رعايا الدولة العثمانية قد

---

(١٧) جيمس برانت، رحلة المستر جيمس برانت الى المنطقة الكردية عام ١٨٣٨، ت: حسين احمد الجاف، بغداد ١٩٨٩، ص٤٩.

(١٨) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٣٨.

(١٩) ابراهيم باشا هو ابن محمد علي باشا الذي استقل بحكم مصر ثم استولى على الشام.

استطاعوا دحر الجيش العثماني وحققوا استقلالهم، فلماذا لا يحق للكورد ادارة نفسهم بنفسهم[٢٠]. يضاف الى ذلك ان الادارة العثمانية كانت في غاية التخلف والظلم في كوردستان خلال تلك الفترة، وكانت ارواح الاهالي وامـوالهم عرضة للخطر، اذ كان الحكام والموظفون العثمانيون لاهم لهم سوى اشباع بطونهم وتحقيق اطماعهم بابتزاز الاموال من الناس وسلب ممتلكاتهم[٢١]. خاصة وان غالبية هؤلاء الحكام و الموظفين كانوا قد اشتروا مناصبهم بالاموال والرشاوى مما دفعهم الى السعي جاهدين لتعويض تلك الاموال على حساب الاهالي، ولذلك كانت الرشوة والفساد منتشرة في جميع مؤسسات الدولة[٢٢].

والى جانب كل ذلك كان هناك أستياء عام لم يكن منتشراً في المناطق الكوردية فحسب بل في انحاء الامبراطورية العثمانية كافة جراء الضرائب الفاحشة المفروضية على كاهل الرعايا. فالرحالة الروسي (ف. ب. فرونچينكو) الذي كلف للقيام بدراسة دقيقة ومتقنة للاناضول فيما بين سنتي (١٨٣٣-١٨٣٦) يشير الى ذلك بوضوح حين يذكر: ((من الصعوبة جداً تعداد جميع انواع الضرائب التي تجبى من مختلف الفئات والطبقات، فهي متنوعة ومتباينة، وعلى الرغم من ان كل ضريبة لوحدها ليست باهضة، غير ان الضرائب مجتمعة تشكل مبلغاً كبيراً، ولكن حتى هذا المبلغ ما كان سيصبح مرهقاً للسكان ان لم يزيدوه باضافات عديدة، والكثير منها يسمونه مؤقتاً ولكنه مع ذلك يتكرر دون انقطاع ولاكثر من مرة في السنة الواحدة))[٢٣]. وقد انعكس ذلك على اوضاعهم المعاشية فزادت سوءاً بمرور الوقت، و يكمل (فرونچينكو) حديثه قائلاً: ((ان المزارعين الموسرين قليلون جداً و عددهم ينقص باستمرار، وذلك بسبب ارتفاع مبالغ الضرائب، والاغلبية الساحقة منهم تعيش حياة الفقر والفاقة وهم قانعون بالغذاء الزهيد جداً ويكاد يصعب عليهم الحصول على الملابس الكافية لتغطية عريهم...))[٢٤].

ونتيجة هذه العوامل مجتمعة اندلعت خلال هذه الفترة كثير من الحركات والانتفاضات الكوردية ضد السلطات العثمانية من اهمها انتفاضة الامير السوراني محمد باشا المشهور

---

(٢٠) نارشاك سافراستيان، ميژووى كورد و كوردستان، و: عبدالله شالى، سليمانى ١٩٦٩، ل٤٩-٥٠.

(٢١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٣.

(٢٢) سالح محمد امين، س. پ، ل١٥٢.

(٢٣) ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ت: د. معروف خزندار، بيروت ١٩٨١، ص١٩٦.

(٢٤) م. ن، ص١٩٦.

بـ(پاشای گەورە) الذي كان يوسع حدود امارته على حساب الاقـاليم المجاورة بهـدف بنـاء كيـان سياسي كوردي، فقطع شوطاً كبيراً في هذا المجال كما سنرى فيما بعد. وبذلت امارة بوتان محاولـة مشابهة في عهد اميرها بدرخان بك- باشا فيما بعد- فأصبحت الامارة أشبه بحكومـة مـستقلة لاتعير الباب العالي أية أهمية منـذ بدايـة الثلاثينـات مـن القـرن التاسـع عـشر[٢٥]. وفي عـام ١٨٢٩ نشبت الانتفاضة في بعض مناطق هكاري واخذت تتوسع تدريجياً في المناطق المجاورة[٢٦].

كما أصبحت بعض المناطق في الجهات الشمالية من كوردستان بمنأى من السيطرة العثمانيـة خلال تلـك الفـترة وخاصـة منـاطق وان و بايزيـد[٢٧]. أمـا البقـاع الواقعـة بـين ارضـروم وخـوى فأصبحت منطقة صعبة الاختراق حتـى لـساعي البريـد (الـتتر) العثمـاني، لان الكـورد في هـذه المنطقة لم يكونوا يعترفوا بأية سلطة عليهم في تلك الفترة[٢٨].

أما منطقة درسيم الوعرة الكائنة في أقصى شمال غربي كوردستان فقد ظلت تناوئ الـسيادة العثمانية باستمرار، اذ كان ابناء تلك المنطقة المعروفون باكراد الزازا مصرين على ادارة نفـسهم بأنفسهم بعيداً عن السلطات العثمانية. وقاوموا في سبيل ذلك حملات عثمانيـة عديـدة حاولـت اخضاعهم بالقوة[٢٩]. ويمكن القول ان الاتصالات خلال تلك الفترة كانت شبه معدومة بين بغـداد واستانبول، اذ كان شرقي الاناضول عموماً اشبه ما يكون تحت سيطرة الزعماء الكورد وخارجـة عن السلطة العثمانية حسب قول أحد المؤرخين[٣٠].

ولكن الدولة العثمانية أخذت تستعيد انفاسها شيئاً فشيئاً بعد عقد صـلح (كوتاهيـة) مـع مصر في مايس ١٨٣٣ ومعاهدة (خونكار أسكلەسى) مع روسيا في الثـامن مـن تمـوز ١٨٣٣، وأخذت وضعيتها العالمية تتحسن قليلاً[٣١]. لذلك نجدها تبادر الى محاولـة إسـتعادة سـلطتها في

---

(٢٥) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢١٠-٢١١. كريس كوچيرا، س. پ، ل٤٦.

(٢٦) بلەج شيركو، س. پ، ل٣٧.

(٢٧) پ.ی.ئەڤێریانۆڤ، س. پ، ل٩٤.

(٢٨) Fraser, op. cit, vol. 1, P256.

(٢٩) نوری دەرسیمی، س. پ، ل١٠٤-١٠٦.

(٣٠)م.س. لازاريف، س. پ، ل ٤٨.

(٣١) هـ، س، ل٤٨. ابراهيم خليل احمد، م. س، ص١٦٢-١٦٣، يجدر بالذكر ان الدولة العثمانيـة قـد تخلـصت من الخطر المصري مؤقتاً بموجب صلح كوتاهيه، وأخذت تبحث عن حليف قوى يساعدها ضد مـصر في المواجهـة

كوردستان، وتنفيذ مخططها (الاصلاحي في نظرها والاحتلالي في نظر الكورد) باخضاع كوردستان للحكم المركزي، ضمن محاولات السلطان محمود الثاني لتقوية السلطة المركزية للدولة في انحاء الامبراطورية كافة. ولكن ذلك المخطط قد جوبه بمقاومة شديدة من قبل الكورد في كوردستان، مما كلف العثمانين مدة تنيف على عقدين من الزمن حتى تم تجريدهم من اماراتهم[٣٢]. ويجدر بالذكر ان وجود تلك المقاومة الكوردية تعود الى جملة عوامل من أهمها:

١- العامل القومي المتمثل في رفض الكورد للسلطة العثمانية المباشرة، ومحاولة الحفاظ على كياناتهم السياسية واستقلالهم الداخلي التي كانت مهددة من قبل العثمانيين.

٢- نفور الكورد من العثمانيين وسيطرتهم الجائرة، يضاف الى ذلك رفضهم الاجراءات العثمانية الجديدة وخاصة التجنيد، والضرائب الاضافية التي كانت ضمن أهداف الحملة العثمانية الجديدة على كردستان. يذكر (مولتكه) وهو ضابط الماني كان يرافق تلك الحملة عندما ترأسها حافظ باشا- كما سنأتي اليها فيما بعد- بانه علم بان ((الكورد كانوا يتضايقون ويتذمرون من شيئين، الاول: الضريبة، والثاني: اداء الخدمة العسكرية للدولة))[٣٣]. ويضيف بانهم ((لا يتذمرون من دفع الضريبة المنصوص عليها في القوانين، او الضريبة الحقيقية، بقدر ما يتذمرون من سوء سلوك وظلم الجباة و مأموري الحكومة الذين يسعون الى سلبهم ونهبهم...))[٣٤].

٣- ان الامراء والزعماء الكورد الذين كانوا قادرين على حث رعاياهم على الانتفاضة كانوا يحاولون الحفاظ على سلطاتهم السياسية، وآخرون منهم على ممتلكاتهم الاقطاعية المهددة من قبل العثمانيين في هذه الحملة، لذلك بادروا الى المقاومة واتخاذ موقف الدفاع.

القادمة فعقدت معاهدة (خونكار أسكلەسى) مع روسيا التي كانت معاهدة تحالف ثنائية موجه ضد التوسع المصري. حول تفاصيل ذلك يراجع المصدر الأخير، ص١٦٢ وما بعدها.

(٣٢) محمود الدرة، م. س، ص ٢٥. Kennane, op. cit, P23

(٣٣) عبدالفتاح علي يحيى (ترجمة وتقديم)، الكورد و كوردستان في رسائل الفليد مارشال هيلمون فون كارل مولتكه، مجلة (الاديب الكردي/ نووسەرى كورد) ع (٤) بغداد، تموز ١٩٩٢، ص٢٦.

(٣٤) م. ن، ص٢٦.

أصدر السلطان محمود الثاني في عام ١٨٣٤[٣٥] فرماناً الى والي سيواس محمد رشيد باشا[٣٦] ليتولى قيادة الحملة التي اعدت للتوجه الى كوردستان لتحقيق الاهداف المشار اليها سابقاً[٣٧]، بالاضافة الى اهداف اخرى نذكرها فيما بعد. وقد وقع الفرمان موقع الرضي عند محمد رشيد باشا الذي اراد بذلك اثبات اخلاصه للسلطان واعادة اعتباره إثر الهزيمة النكراء التي لحقت به امام قوات ابراهيم باشا في قونيه عام ١٨٣٢ ووقوعه في الاسر. كما أعد العثمانيون جيشاً آخر ليعبر الاقاليم الشمالية من كوردستان ماراً بأرزنجان الى بحيرة وان، وكانت قلعة درسيم الحصينة ضمن المناطق الواقعة في طريقه، ولكن سكانها المنتفضين دافعوا ببسالة عنها، مما ادى الى فشل القوات العثمانية في الاستيلاء عليها، فتوجهت تلك القوات الى المناطق التي يكون الانتصار فيها سهلاً[٣٨]. وأخيراً تمكنت هذه القوات التي كانت بقيادة والي ارضروم من اعادة السيطرة العثمانية الى مناطق وان وبايزيد، حيث قاموا بعزل والي وان (اسحق باشا) ليتم تنصيب (تيمور باشا) الموالي للعثمانيين في مكانه[٣٩].

أما قوات رشيد باشا المؤلفة من اربعين الف مقاتل فكان من واجبها المرور بـ(سامسون وسيواس) الى الشرق والجنوب الشرقي لتصل الى هدفها الأخير وهو الامير محمد باشا السوراني[٤٠]. فبدأ رشيد باشا هجماته على الاقاليم الكردية من الشمال في صيف عام ١٨٣٤، محاولاً تصفية حساباته مع الرؤساء الكورد الذين رفضوا مؤازرته وكانوا على استعداد للوقوف في وجهه ومحاربته، وذلك قبل ان يصل الى هدفه الرئيس وهو الامير السوراني. وقد سمح رشيد باشا لجنوده بنهب كل ما يقع في طريقهم ويستطيعون حمله، ولذلك تعرضت جميع المناطق التي كانت تقع في طريق الجيش العثماني للنهب والتخريب، كما أصبح الآلاف من الاشخاص

---

(٣٥) يشير (جەليلى جەليل) الى عام ١٨٣٣ (ينظر: كوردەكانى ئيمبراتۆريەتى عوسمانى، ل١٦٥) ولكن الصحيح ماذكرناه في المتن لان محمد رشيد باشا قد اصبح والياً على سيواس في عام ١٨٣٤.

(٣٦) كان گورجى الاصل وتولى الصدارة العظمى فيما بين سنتي(١٨٢٩-١٨٣٣) وفي اعقاب اطلاق سراحه من اسر ابراهيم باشا (كما سنأتي الى ذلك بعد عدة اسطر في المتن) اصبح والياً على سيواس في عام ١٨٣٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٢.

(٣٧) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل١٦٥.

(٣٨) هـ. س، ١٦٥-١٦٦.

(٣٩) پ.ى. ئەڤيريانۆف، س. پ، ل٩٤.

(٤٠) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل١٦٦.

العزل من السلاح ومن النساء و الاطفال ضحايا لتعرضاتهم الوحشية[٤١]. الامر الذي أدى بالكورد الى حمل السلاح للوقوف بوجه تلك الحملة الهمجية، ولذلك لم يكن مرور هذا الجيش عبر المناطق الكوردية أمراً سهلاً بل تعرضت لعقبات كثيرة أخرت تقدمه مدة سنتين. وتمثلت تلك العقبات في المقاومة العنيدة التي كان يبديها المقاتلون الكورد في مناطق عدة، فقد القى المقاتلون الكورد ((الخوف والرهبة)) في قلوب جنود محمد رشيد باشا في بعض المواقع[٤٢]. وقد دون البريطاني جيمس برانت الذي زار المنطقة في عام ١٨٣٨ (أي عقب الحملة المذكورة ببضع سنين) الكثير من الحوادث التي تدل على شدة المقاومة الكوردية للجيش العثماني، منها حادثة مقاومة قبيلة (باديكانلى) التي يذكر برانت بصددها: ((ان هذه القبيلة الكردية رفضت الاذعان لأوامر رشيد باشا الجائرة لاخضاعهم فلجأت الى هذا الوادي متخذة منه موقعاً دفاعياً، حيث هاجمها فيه عدة مرات وبعد خسارة مريعة بين الطرفين أخضعت بالقوة لسلطته بالرغم من مقاومتها الباسلة))[٤٣]. وحول موقف أحد الزعماء الكورد من الحملة كتب (برانت) يقول: ((وكان مصنيفنا رئيس عشيرة كردي عجوز كان قد قاوم ببسالة جيوش رشيد محمد باشا وبالنتيجة احرق بيته ثم فرّ هو الى الجبال متخذاً منها الملاذ الأمين ولكنه أجبر فيما بعد على الاستسلام...))[٤٤]. وكان اولئك الزعماء الكورد لايبدون الخنوع والاسترحام حتى حينما يضطرونَ الى الاستسلام، اذ يروي لنا (مولتكه) مشهداً لزيارة زعيم كوردي الى المعسكر العثماني بعد استسلامه فيذكر: ((أقبل سعيد بك بشجاعة نادرة وكأن شيئاً لم يحدث، أقبل من غير خوف أو تردد، لقد استولت عليّ الدهشة والحيرة لانه لم يطلب التماساً أو عفواً... لقد بدا كمن يحميه جيش جرار في المؤخرة...))[٤٥].

ولكن مصير هذه المقاومة الكوردية لم تكن الهزيمة طوال الوقت، حيث دحر الكورد الجيش العثماني في بعض المواقع الحصينة منها في جنوبي بحيرة وان في اقليم هكاري، حيث لم يتمكن

---

(٤١) ينظر على سبيل المثال: عبدالفتاح علي، الكورد و كوردستان في رسائل...، ص٢١، ٢٦، وكذلك: جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٦٦-١٦٧.

(٤٢) عبدالفتاح علي، الكورد و كوردستان في رسائل...، ص٢٠.

(٤٣) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٣٨.

(٤٤) م. ن، ص٤٣.

(٤٥) عبدالفتاح علي، الكورد و كوردستان في رسائل...، ص١٨.

العثمانيون من القضاء على نفوذ الزعماء الكورد وسلطتهم هناك[٤٦]. كما لم تستطع قوات محمد رشيد باشا من الظهور في جبال (موش- حاسو) أيضاً[٤٧]. يجدر بالذكر ان الارمن كانوا يشاركون الكورد أيضاً في محاربة الجيش العثماني في بعض المناطق، فقد عثر (جيمس برانت) المار للذكر على دلائل تبرهن على ذلك بالرغم من انكارهم لذلك امامه خوفاً من العثمانين. اذ بادر أحد الجنود العثمانيين الذين شاركوا في الحملة وكان حاضراً هناك قائلاً لبرانت: ((أن الارمن كانوا عنيدين في مقاومتهم لنا تماماً مثل المسلمين))[٤٨].

وبالرغم من كل ذلك أصر محمد رشيد باشا على القضاء على المقاومة الكوردية بقسوة متناهية، وقد لجأ في سبيل ذلك الى تهجير بعض الجماعات الكوردية الى الاقاليم البعيدة من الامبراطورية العثمانية، مما ادى الى موت اعداد كبيرة من العجزة والاطفال منهم[٤٩].

بالرغم من ذلك فان مسيرة هذه الحملة العثمانية المليئة بالمعارك الدامية قد نالت كثيراً من مقدرات الجيش العثماني واضاعت الكثير من الوقت منها، وكانت برودة الشتاء ونقص المؤن والذخائر من العوامل الاخرى المعرقلة لتقدم هذه الحملة، فقد اتخذ السكان موقفاً سلبياً من العثمانيين و كانوا يضعون العراقيل امام حصولهم على المواد الغذائية، مما جعل محمد رشيد باشا يضطر الى ترك أمر المؤن للجنود أنفسهم كي يقوموا بتدبيرها، وكان ذلك يعني حثهم على النهب والسلب. فأدى ذلك الى غلاء فاحش في اسعار المواد الغذائية في المناطق التي تواجدت فيها قوات محمد رشيد باشا[٥٠]. وبسبب هذه العوامل مجتمعة تأخر وصول هذه الحملة الى اهدافها الرئيسة كثيراً، اذ لم يقرر قائد الحملة المباشرة بتنفيذ المهمة الاساسية الا في ربيع عام ١٨٣٦ وذلك عندما وصلته قوات اضافية من الاستانة، كما كان مقرراً ان تنضم اليه قوات والي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار[٥١] و والي بغداد علي رضا باشا[٥٢].

---

(٤٦) م.س.لازاريف، س. پ، ل٤٩.

(٤٧) عبدالفتاح علي، الكورد و كوردستان في رسائل...، ص٢٠.

(٤٨) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٤٧.

(٤٩) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٧٢.

(٥٠) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٧٠-١٧٢. ن.أ.خالفين، م. س، ص٥١.

(٥١) كان تركي الاصل وقد خدم السلك العسكري في مصر وغيرها من البلدان ثم رحل الى الشام وتولى بعد ذلك متصرفية كركوك، ثم تولى في عام ١٨٣٥ منصب ايالة الموصل. سليمان الصائغ، م. س، ج١، ص٣١٠-٣١١.

ثانياً: سقوط الامارات الكوردية:

أ- المرحلة الاولى:

١- محمد باشا... توسع امارة سوران واضمحلالها:

تولى الامير محمد امارة سوران في سنة ١٨١٣[٥٣] فأصبحت تلك السنة إيذاناً ببدء عهد جديد في الامارة، ويعود ذلك الى الطموحات القومية التي كان يحملها الامير والتي يؤكدها الكثير من المؤرخين والمتصدين لتاريخ امارة سوران في عهده. وسنورد هنا بعض ما قيل بصدد ذلك على سبيل المثال: فقد ذكر ميجرسون يقول: ((وغب سنين قليلة امتلك (محمد باشا)... سطوة في رواندوز عظيمة وطالب بالاستقلال القومي...))[٥٤] ويذكر خالفين: ((كان امير رواندوز يطمح الى تكوين كردستان مستقلة))[٥٥]. ويؤكد الامير السوراني على ذلك بنفسه حينما كان يرد على مطالبة اهالي العراق بأن يسيطر على البلاد ويخلصهم من الحكم العثماني الجائر قائلاً: ((ليس لي دخل في منطقة حكومة ملك الاسلام [السلطان العثماني] ولكن اذا وفقني الله فأنني سوف اسيطر على الحكومات التي هي تحت تصرف الاقطاعيين في كوردستان))[٥٦]. مما يدل على انه كان ينوي توحيد المناطق الكوردية تحت حكمه سعياً وراء تأسيس كيان كوردي موحد.

وقد اقترنت تلك الطموحات القومية بجملة عوامل ساعدت الامير في السعي لتحقيق تلك الطموحات. منها ضعف الدولة العثمانية في تلك الفترة وانشغالها بالتصدي للتقدم المصري في

---

(٥٢) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٧٥، وعلي رضا باشا هو أول الولاة الذين تولوا ايالة بغداد بعد القضاء على حكم المماليك في عام ١٨٣١. وفي عام ١٨٤٢ نقل الى الشام بعد ان حكم اثني عشر عاماً. عبدالرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، مج١، ط١، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٥٣) لقد رجحنا سنة ١٨١٣ كبداية لتولي الامير محمد مقاليد الحكم في سوران. في الوقت الذي هناك خلاف قائم بين المؤرخين والباحثين حول ذلك الموضوع. وللوقوف على تلك الآراء بالتفصيل ينظر: جمال نەبەز، الامير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بـ((میری کۆرە))، ت: فخري سلاحشور، ط٢، اربيل ٢٠٠٣، ص٥١-٥٥.

(٥٤) رحلة متنكر...، ج٢، ص١٤٨.

(٥٥) الصراع على كردستان، ص٥٠.

(٥٦) ملا اسعد خەیلانی، تەئریخی سوران (مخطوط) نقلاً عن: جمال نەبەز، بیری نەتەوەیی...، ل٣٦.

بلاد الشام، وانهماكها بسبب كثرة الانتفاضات الداخلية والتدخلات الخارجية في شؤونها[٥٧]. وكانت الدولة القاجارية كذلك في انهماك تام بسبب الصراعات الداخلية حول العرش القاجاري وانشغالها بحروبها الدامية في شمال شرقي ايران[٥٨]. يضاف الى ذلك ضعف الامارات الكوردية المجاورة خلال تلك الفترة، وخاصة امارتا بابان و بادينان، و انشغالهما بمنازعاتهما الداخلية حول منصب الامارة[٥٩]. كما ان موقع رواندوز- مركز الامارة- الحصين والمناعة التي تمتاز بها المدينة قد جعلتها بمنأئ عن التهديدات الخارجية وصعبة المنال لمن يريد غزوها. وذلك الى جانب مرور احدى الطرق التجارية عبرها، مما ادى الى غناها الاقتصادي، وخاصة من خلال فرض الضرائب والمكوس على البضائع التجارية، كما ادى هذا الموقع الى تمتع مركز الامارة بوضع سياسي بارز أيضاً[٦٠]. يضاف الى كل ذلك قوة شخصية الامير محمد وذكائه السياسي والاداري الذي كان له تأثير كبير على الاحداث[٦١].

وقد شجعت كل تلك العوامل الامير السوراني على التفكير جدياً في مسألة تأسيس كيان سياسي كوردي مستقل على اساس توسيع حدود امارته، اذ تدل اعماله وانجازاته على ذلك التفكير حتى وان لم يصرح بذلك. وقد أخذت اعماله ثلاثة محاور أساسية: فقد شغلت السنوات الاولى من حكم الامير محمد باشا جهوده التي تدخل ضمن اطار توطيد مركزه السياسي والقضاء على المناوئين من اقاربه، الذين كانوا طامعين في السلطة، وكانوا يرفضون الخضوع لسطان الامير واوامره. فقد قضى في حزيران ١٨١٥ على تمرد عمه تمرخان (أو/ تيمورخان)، ثم وجه جهوده بعد ذلك الى عمه الآخر (يحيى بك) الذي لم يستطع الصمود كثيراً فأستلسم بعد هزيمته في المعركة الدامية التي حدثت بينه وبين قوات الامير، ثم وطد الامير نفوذه بعد ذلك واصبح في مركز لا ينازعه فيه أحد جراء القسوة التي كان يعامل بها معارضيه[٦٢].

---

(٥٧) ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٠. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٤٨. عماد عبدالسلام، م. س، ص١٩٨.

(٥٨) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٤٨.

(٥٩) کاوس قەفتان، س. پ، ل٤٦.

(٦٠) هـ. س، ل٤٤-٤٥.

(٦١) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٨.

(٦٢) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٣٧-١٣٨. جمال نەبەز، الامير الكردى...، ص٨٩.

أما المحور الثاني لأعماله فيمكن تصنيفه ضمن الاجراءات الداخلية وتقوية كيان الامارة و مؤسساتها، والتي تعود اليها - في رأينا- معظم النجاحات التي حققها الامير. ولكثرة هذه الاجراءات وتنوعها سنكتفي بالاشارة الى أهمها فيما يأتي:

أراد الامير تحصين عاصمته (رواندوز) قبل كل شئ، فبنى داخلها قلعة منيعة مزودة بالقوات الكافية والاسلحة والذخائر، واعاد بناء سور المدينة بصورة محكمة، وقام ببناء عدة مراكز وقلاع في بعض المناطق الاخرى من الامارة، و زودها بالجنود المسلحين الذين كانت مهمتهم حفظ النظام وحماية أمن الاهالي[٦٣]. وكانت تلك القلاع بمثابة مراكز للانذار المبكر من هجمات الاعداء، ونقل الاخبار الى مركز الامارة.

وفي المجال الحربي أيضاً أهتم بالجيش وتسليحه، فقد زاد عدد أفراد جيشه. فيذكر (فرايزر) حين زار المنطقة عام ١٨٣٤ فيقول: ((والمقول بصورة أكيدة ان ما يقارب من خمسين الف رجل يقفون الان تحت تصرفه))[٦٤]. ويورد (علاءالدين سجادي) الرقم نفسه أيضاً[٦٥]. في الوقت الذي يشير (موكرياني) الى (١٥)الف مقاتل[٦٦]. أما (الدكتور روس) فيذكر بان القوة الموجودة في معسكر الجيش السوراني كانت بحدود عشرة آلاف رجل ((وهي أقل من نصف الجيش النظامي، فقد أرسلت البقية الى المنزل لحصاد المحصول))[٦٧]. ونظراً لأن الاخير كان قد زار المعسكر المذكور بنفسه فيمكننا الاعتماد على معلوماته، وبناءً على ذلك يمكن القول ان الجيش السوراني كان يبلغ تعداده حوالي (٢٥) الف مقاتل. ويتطابق هذا الرقم مع ما يذكره (اسعد خيلاني) الذي كان قريباً من الاحداث زمنياً[٦٨]. ولكن ذلك لايمنع ارتفاع ذلك الرقم فيما بعد لتصل قوات سوران بمجموعها الى (٥٠) الفاً كما ذكر (فرايزر)، أو (٦٠) ألفاً كما يذكر (الدملوجي)[٦٩] و ذلك في حالة الاستنفار القصوى وخاصة عندما قام الامير السوراني بتحقيق العديد من الانتصارات التي كفلت له توسيع رقعة إمارته- كما سنأتي الى ذلك فيما بعد- وانضمام قوى

(٦٣) حسين حزني، موجز تاريخ امراء...، ص٢٧-٢٨. جمال نەبەز، الامير الكردى، ص٧١.

(٦٤) رحلة فريزر...، ص١٢.

(٦٥) شۆرشەکانی کورد...، ل٦٥.

(٦٦) حسين حزني، موجز تاريخ امراء...، ص٤١.

(٦٧) ينظر: جمال نەبەز، الامير الكردى...، ص٧٢.

(٦٨) نەتریخی سوران (مخطوط)، نقلاً عن: جمال نەبەز، الامير الكردي...، ص٧٣.

(٦٩) ينظر: امارة بهدينان، ص٤٥.

اخرى اليه. ومما يدل على ذلك ان احدى الوثائق القاجارية تشير الى ان قوات اربيل والمناطق المجاورة اضافة الى بعض العشائر العربية قد انضمت الى جانب الامير السوراني عندما كان ينوي الاستيلاء على كويه (كويسنجق) وحرير[٧٠].

وكان هذا الجيش أشبه بالجيوش النظامية الى حد بعيد، اذ كان الجنود يرتدون ملابس خاصة ولهم رتب عسكرية. وكان ما يقارب نصف الجيش السوراني يعملون بصورة دائمية ويأخذون رواتب منتظمة[٧١] كما كان الانضباط وتقسيم الجيش الى صنفين (المشاة والفرسان) معتمداً في ذلك الجيش ايضاً[٧٢]. ولغرض تأمين تسليح هذا الجيش أنشأ الامير معملاً لصنع الاسلحة والذخائر الحربية، فكان يصنع فيه الاسلحة الخفيفةكالخناجر والسيوف، والاسلحة الثقيلة كالمدافع التي صنع منها عدد لا بأس به[٧٣].

هذا فيما يتعلق بالامور الدفاعية والعسكرية أما في المجالات الاخرى، وخاصة الشؤون الادارية والامنية والمالية، فقد قام الامير خطوات بعدة، فأخضع جميع أقاليم الامارة لادارة مركزية قوية، حيث عين ممثلين ينوبون عنه في حكم تلك الاقاليم. وأنشأ دواوين عدة أو مجالس مختصة بشؤون الامارة المختلفة، أهمها: (مجلس الرؤساء) الذي كان بمثابة (مجلس الوزراء)، وكان يتكون من أشخاص مقربين من الامير ويتزعمهم بنفسه. وكان لكل واحد منهم اختصاص معين في الادارة. وأوجد ديواناً لادارة الشؤون الداخلية، كما اسس مجلساً للعلماء والحكماء أصدر عدداً من القوانين والقرارات ليتبعها الرعية. و شكل كذلك مجلساً حربياً مكوناً من خمسة أعضاء للشؤون العسكرية. كما نظم الامور المالية واسس جهازاً لادارتها واصلح نظام الضرائب[٧٤].

وقد شهدت سوران تطوراً مطرداً من الناحية الامنية، فقد أمن الاهالي على ارواحهم وممتلكاتهم، وانعدمت اعمال السرقة وقطع الطرق. ويشير فرايزر الى ذلك بقوله: ((البلاد

---

(٧٠) رسالة من ولي العهد القاجاري (عباس ميرزا) الى داود باشا والي بغداد في: محەمەد حەمە باقی، س. پ، ل١٦١-١٦٢.

(٧١) جيمس فريزر، م. س، ص١٢. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٤١.

(٧٢) جمال نەبەز، الامير الكوردى...، ص٧٤.

(٧٣) م. ن، ص٧٥-٧٦. حسين حزنى، موجز تاريخ امراء...، ص٣٩.

(٧٤) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٣٦، ١٤٢-١٤٣، ١٥٨.

أصبحت خالية من أية سرقة أو سارق، فقد قضى على عملية اللصوصية من اصلها بعملية بتارة))[٧٥]. ويؤكد رحالة و مؤرخون آخرون على ذلك أيضاً[٧٦].

وبعد كل تلك الترتيبات أتخذ الامير محمد خطوات مشهودة في طريق الاستقلال، اذ كان اسمه يذكر في خطب الجمعة كما ضرب النقود باسمه فقد اصدر قطعات نقدية متعددة ذهبية وفضية ونحاسية، كما تشير الى ذلك بعض المصادر[٧٧]. وفيما يتعلق بمسألة الاستقلال يلحظ ان اغلب المؤرخين الكورد يؤكدون على ان الامير السوراني قد أعلن استقلاله عن الدولة العثمانية[٧٨]. ولكن لا يمكن التاكيد على ذلك بصورة قطعية، اذ لايوجد لدينا دلائل ملموسة على اعلانه الاستقلال صراحةً. ولا يستند المؤرخون الذين يشيرون الى اعلانه الاستقلال على تصريح او قول ينسب للامير نفسه، ولذلك لايمكننا القول ان الامير قد أعلن ذلك. ولكننا في الوقت نفسه نستطيع الجزم بانه كان يطمح الى الاستقلال ويناضل في سبيله، كما كانت النتيجة ستؤدي الى ذلك في النهاية، اذا كان الامير قد افلح في مسعاه. ونستند في ذلك الى دراسة اعمال الامير السوراني وانجازاته، وفي مقدمتها ضرب السكة، والخطبة له في المساجد، التي تعدّ من اهم الدلائل التي تبرهن على ذلك. كما ان إنشاءه لمصنع الاسلحة الحربية، وبناء القلاع، وتحقيق العدالة وعقد التحالف مع حاكم مصر (محمد على باشا)[٧٩] تعد من اعمال الحكام المستقلين. وقد تعاملت الدولة القاجارية معه كحاكم لكيان سياسي قائم بذاته، كما حاول والي بغداد كسب وده فزودّه برتبة (مير ميران) التي تخوله حمل لقب الباشا، مما يدل على اعتراف السلطات العثمانية بحكمه على امارته[٨٠].

---

(٧٥) رحلة فريزر الى بغداد، ص١٢.

(٧٦) ينظر: جمال نەبەز، الامير الكردي...، ص١١٧. يجدر بالذكر ان جدية الامير السوراني في اقرار الامن وفرض العدالة وكذلك قسوته تجاه المتجاوزين قد انعكست في الحكم والمأثورات الشعبية السائدة حتى يومنا هذا في المناطق التي شملت حكمه. فذاع صيته في الذاكرة كحاكم مستبد عادل.

(٧٧) حسين حزنى، موجز تاريخ امراء...، ص٤١. جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل١٤٣.

(٧٨) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٩. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٦٥.جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل١٤٧. سالح قەفتان، س، پ، ل٣٧٣.

(٧٩) حسين حزنى، موجز تاريخ امراء...، ص٥٣-٥٤. باسيل نيكيتين، م. س، ص١٧١. عماد عبدالسلام، م، س، ص٢٠٠.

(٨٠)ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٣. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٩.

وبعد ان وطد الامير محمد نفوذه داخل الامارة وجه جهوده نحو توسيع رقعة نفوذه بالاستيلاء على الاقاليم المجاورة، فقد بسط هيمنته على العشائر المجاورة منها عشائر (شيرواني و برادوست و سورچي و خوشناو)[٨١]، وطرد الحاكم البابانى في حرير ومدّ سيطرته الى اربيل والمناطق المجاورة لها، ثم سيطر على بلدة التون كوپرى (پردێ) وهدد مدينة كركوك أيضاً، الا انه لم يسيطر عليها، وذلك لحدوث حالة طارئة في امارة بابان حثته على توجيه حملة على أراضيها الشمالية فأقتطع منطقتي رانية و كويه منها، فاصبح نهر الزاب الصغير حداً فاصلاً بين الامارتين واتفقا على ذلك[٨٢].

ركز الامير في بدايات العقد الرابع من القرن التاسع عشر جهوده على المناطق الواقعة الى الشمال والغرب من امارته، وبالتحديد الاقاليم التابعة لامارة بادينان والمناطق الكوردية الايزدية في سنجار والشيخان. فقد جذبت حوادث تلك المناطق اهتمام الامير السوراني. وذلك عندما قام أمير الايزديين (علي بك) بقتل زعيم العشائر المزورية (علي آغا البالەتەيى) غيلةً، مما ادى الى لجوء ابن أخيه (ملا يحيى المزوري)[٨٣] الى الامير السوراني، طالباً الانتقام له من علي بك الايزدي ومن أمير بادينان الذي كان له ضلع في هذه الحادثة حسب اعتقاد الملا يحيى[٨٤]. وكانت تلك الحادثة بمثابة الحجة التي يتذرع بها الامير لمهاجمة تلك المناطق التي كان ينوي الاستيلاء عليها دون شك. وزاد في تشجيعه على ذلك لجوء (موسى بك) اليه طالباً معاونته للحصول على منصب امارة بادينان، وخلع أخيه (سعيد باشا) الذي كان يحكم الامارة

---

(٨١) العشائر المذكورة هى عشائر كوردية تقطن مناطق شرقي وشمال شرقي اربيل، محمد امين زكي، خلاصة...، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٨٢) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٩. حسين حزنى، موجز تاريخ امراء...، ص٣٤-٣٨، ٤٦-٥٠، وتؤكد الوثائق القاجارية سيطرة الامير محمد على معظم المناطق المذكورة وخاصة (اربيل و حرير و پردێ و كوّيه وبعض مناطق شهرزور، وذلك في رسالة من محمد على تقى خان زنگنه(حاكم جنوب اذربيجان الايرانى) الى محمد رشيد باشا. ينظر: محەمەد حەمە باقى، س. پ، ل١٥٢.

(٨٣) ينتسب ملا يحيى الى قرية (بالەتە) الواقعة في منطقة مزوري، وقد قرأ على يد علماء كثيرين فتقدم في تلقي العلوم الدينية حتى أصبح العالم الاوحد في العراق، توفي عام ١٨٣٧. أنور المائي، م. س، ح ص١٦٦.

(٨٤) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٩. سليمان الصائغ، م. س، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧.

آنذاك[٨٥]. كما انه لايمكننا ان نستبعد العامل الديني في الهجوم السوراني على تلك المناطق، فقد وصف الامير محمد من قبل اغلب المؤرخين بانه كان متديناً، وحاول تطبيق نصوص الشريعة الاسلامية في حكمه[٨٦]. وخاصة عندما افتى له عالمه الديني ملا محمد الخطي[٨٧] باستباحة دماء الايزديين، الامر الذي حرك الحمية الدينية لديه ولدى قواده وجنوده أيضاً[٨٨].

ولذلك كله عبر الامير السوراني الزاب الكبير في عام ١٨٣٢ على رأس حملة عسكرية تألفت من جيشين؛ كان الجيش الاول بقيادة أخيه رسول بك، ومهمته مهاجمة الكورد الايزديين، وبلدة عقرة (ئاكرى) ثم آميدي، أما الجيش الثاني فكان تحت قيادته، ويتولى مهمة المناطق الاخرى[٨٩]. وقد أحدث الامير محمد باشا مجزرة مروعة في الكورد الايزديين، قتل جراءها اعداداً كبيرة منهم، كما أمر بقتل زعيمهم على بك واستولى على مناطقهم في الشيخان وسنجار. واستولى كذلك على عقرة و زاخو و دهوك وبعد أخذ وردّ أحكم سيطرته أخيراً في عام ١٨٣٤ على مدينة آميدي، وبذلك تمكن من الحاق امارة بادينان باكملها بامارته. وخلال تلك الحملة حاصر مدينة الموصل أيضاً[٩٠] ولكنه لم يسيطر عليها، ويذكر احد المؤرخين ان والي الموصل قد ارسل الامير و حاول كسب وده بالهدايا، فعقد معه الصلح وبقي الوالي في إيالته[٩١]. وتؤيد

---

(٨٥) عباس العزاوي، العمادية...، ص٥٤. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٥٢. ومن المرجح ان الملا يحيى المزوري هو الذي ارشد موسى بك الى اللجوء الى الامير السوراني وذلك ليكسب المناصرين للامير المذكور ضد أمير بادينان والايزديين.

(٨٦) محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٢٣١. محمود الدرة، م. س، ص٢٨.

(٨٧) ولد الملا محمد الخطي في قرية (خەتێ) الواقعة في منطقة شقلاوه في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ونشأ نشأة علمية حتى ترقى فيها، وتخرج على يديه عدد مهم من العلماء. زبير بلال اسماعيل، محمد الخطي ونهاية الامارة السورانية، مجلة (الحكم الذاتي) ع(٤) س(٧) ص١٣-١٨.

(٨٨) انور المائي، م. س، ص١٦٧. صديق الدملوجي، م. س، ص٤٥.

(٨٩) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٥٣. انور المائي، م. س، ص١٦٧.

(٩٠) صديق الدملوجي، م. س، ص٤٦. سليمان الصائغ، م. س، ج١، ص٣٠٧.

(٩١) حسين حزني، موجز تاريخ...، ص ٥٨.

الوثائق المصرية ذلك حينما تشير الى ان جنود الامير محمد باشا اكتفوا بان طالبوا الموصل بشئ من المال فأخذوه[٩٢].

ويشير بعض المؤرخين الى ان الامير السوراني قد سيطر على جزيرة بوتان (مركز امارة بوتان) خلال تلك الحملة الواسعة النطاق، كما هدد البوتانيين في حصن كيفا بالاضافة الى الاغارة على مدينتي ماردين ونصيبين[٩٣]. الا انهم لم يشيروا الى موقف الامير البوتاني (بدرخان بك) من تلك الاحداث، كما لم يذكروا نتيجة السيطرة السورانية على تلك المناطق وما آل اليه الامر[٩٤]. في الوقت الذي يذهب المؤرخ (جليلي جليل) الى ان (بدرخان بك) قد أتصل بالأمير محمد باشا وطلب منه العون للقضاء على أحد مناوئيه[٩٥]. وفيما يتعلق بعلاقة الامير محمد بامارة بوتان يمكن القول ان تلك العلاقة قد توترت بينهما أول الامر حينما تعرض الامير السوراني لممتلكات بوتان، ولكن تحسنت العلاقة بينهما فيما بعد الى درجة ان بدرخان بك قد أرسل فعلاً أحد ابناء عمومته الى رواندوز لطلب المساعدة من الامير السوراني ضد مناوئيه وأظهر الاخير استعداده لتقديم تلك المساعدة[٩٦].

وهناك مسألة اخرى جديرة بالتنويه وهي ان الامير محمد باشا لم يصطدم بقوات الدولة العثمانية أو الولاة العثمانيين خلال عملياته لتوسيع نفوذه، باستثناء الحملة العثمانية التي قادها محمد رشيد باشا، والتي ادت الى انهاء حكم محمد باشا كما سنرى فيما بعد. ويعود ذلك في رأينا الى أسباب عدة في مقدمتها ان الدولة العثمانية كانت منشغلة حينذاك بحروبها كما

---

(٩٢) الوثائق القومية (القاهرة)، وثيقة رقم (٦٨) محفظة (٢٣٨) عابدين، نقلاً عن: عماد عبدالسلام، م. س، ص٢٠١.

(٩٣)ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٣. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣١. عبدالفتاح علي يحيى، الملا يحيى المزوري وسقوط امارة بادينان، ق٣، مجلة (كاروان) ع (٤٣) س (١٩٨٦). ومصادر اخرى.

(٩٤) فيما يتعلق بذلك يرجح أحد المؤرخين المحدثين بان الامير السوراني قد سيطر فعلاً على بعض مناطق امارة بوتان بينها مركز الامارة (جزيرة)، ولكن الامير بدرخان استطاع استعادتها دون ان يحاول الامير السوراني اعادة السيطرة عليها وذلك لاقتراب الحملة العثمانية التي وجهت الى امارة سوران. ينظر: صلاح محمد سليم محمود هروري، امارة بوتان في عهد الامير بدرخان ١٨٢١-١٨٤٧/ دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير، كلية الاداب/ جامعة صلاح الدين- اربيل، ١٩٩٨، ص ٩١.

(٩٥) جەلیلی جەلیل، كوردەكانی...، ل١٥٧.

(٩٦) عبدالفتاح علي، الملا يحيى...، ق٣. صلاح هروري، م. س، ص٩١-٩٢.

بيننا في السابق، الامر الذي لم يمكنها من التواجد العسكري في المنطقة مبكراً. ومن جهة اخرى فان الامارات الكوردية القائمة في جنوبي كوردستان كانت تعود بتبعيتها الادارية الى ايالة بغداد في تلك الفترة. وكان محمد باشا السوراني يحتفظ بعلاقاته الودية مع داود باشا الذي كان والياً على بغداد فيما بين سنتي (١٨١٦-١٨٣١)، وذلك لانه كان يشارك الوالي عداءه للبابانيين و الدولة القاجارية أيضاً، ولذلك عندما هاجم الامير محمد باشا امارة بابان وبتر منها رانيه و كويه فان داود باشا أظهر تعضيده له بذلك[٩٧]. أما علي رضا باشا الذي تولى ايالة بغداد في عام ١٨٣١ فقد اضطر الى الاعتراف بسلطات الامير السوراني المتنامية، لعدم قدرته على الوقوف بوجهه كما يذكر لونكريك[٩٨]. ولذلك لم تحاول ايالة بغداد التصدي للامير والوقوف ضد محاولاته التوسعية. ويبدو ان العامل الديني كان له تأثير في ذلك أيضاً، ونقصد بذلك حرص الامير محمد باشا على عدم الاصطدام بجيوش الدولة العثمانية قدر الامكان، على اعتبار انها جيوش خليفة المسلمين، أو ملك الاسلام كما يشير الى ذلك بنفسه حين يذكر: ((ليس لي دخل في منطقة حكومة ملك الاسلام...))[٩٩]. وهذا ما يفسر لنا امتناعه عن التقدم والتوسع في المناطق الواقعة بين ماردين ودياربكر رغم هلع حكام تلك المناطق من قواته[١٠٠]، اذ ان تلك المناطق كانت تحت ادارة ايالة دياربكر المباشرة.

بالرغم من ذلك الحرص فانه لم يتمكن من تجنب الاصطدام بالعثمانيين، فقد وقف أخيراً وجهاً لوجه مع قوات الدولة العثمانية، وذلك عندما كلفت السلطات محمد رشيد باشا بالقضاء عليه، كما ذكرنا سابقاً. ولاشك في ان تلك المهمة تعد من المحاولات العثمانية لتقوية السلطة المركزية، وفرض الحكم المباشر على اقاليم الامبراطورية العثمانية في اطار اصلاحات السلطان محمود الثاني كما ذكرنا سابقاً، ولكننا نستطيع الاشارة الى عوامل أخرى ساهمت في توجيه تلك الحملة أيضاً؛ منها ان الدولة العثمانية أرادت تقوية سيطرتها في كوردستان لتأمين ظهرجيشها عندما تبدأ الجولة التالية من المواجهة مع قوات ابراهيم باشا بن محمد علي باشا في الشام[١٠١].

---

(٩٧) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل ١٥٠.

(٩٨) اربعة قرون...، ص٣٤٣.

(٩٩) ملا اسعد خەیلانی، تەئریخی سۆران (مخطوط)، نقلاً عن: جمال نەبەز، بیری نەتەوەیی...، ل ٣٦.

(١٠٠) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٥٦-١٥٧.

(١٠١) زبير بلال اسماعيل، اربيل...، ص ٣٢٧.

ومما يرجح هذا العامل وجود اشارات تفيد بان اتفاقاً قد تم بين الامير السوراني وابراهيم باشا في الشام على تقديم المساعدة لبعضهما البعض ضد الدولة العثمانية(١٠٢). ولاشك في ان المسؤولين العثمانيين قد أحيطوا العلم بذلك(١٠٣)، فأرادوا القضاء اولاً على محمد باشا السوراني ليتفرغوا بعد ذلك للقوات المصرية في الشام.

وبغض النظر عن ذلك كان من البديهي ان تخشى الدولة العثمانية من توسعات امارة سوران التي قد تؤدي الى بناء كيان سياسي كوردي موحد يهدد النفوذ العثماني في كوردستان(١٠٤). ومما كان يزيد الامر خطورة للسلطات العثمانية خوفها من استيلاء امارة سوران على ايالة بغداد نفسها بل على العراق كلها. فهناك اشارات تفيد بان علماء بغداد ووجهاءها كتبوا الى الامير السوراني يحرضونه على التوجه للاستيلاء على بغداد(١٠٥). وتشير بعض الوثائق الى ان اتفاقاً عقد بين الامير محمد باشا وبين مماليك دواد باشا السابقين، وقد لحظ بعض المراقبين المعاصرين ان اولئك الحلفاء كانوا ((يريدون الاستيلاء على بغداد والبصرة وسائر العراق بعد استيلائهم على الموصل، وان هذه الحركة ليست جزئية، انما هي حركة واسعة النطاق يحتاج القضاء عليها الى وصول الجيش السلطاني))(١٠٦).

مهما كانت درجة صحة تلك المعلومات فلا شك في انها كانت قد القت الرعب في قلوب المسؤولين العثمانيين، فعملوا على معالجة الوضع بالقضاء على الامير محمد. في الوقت الذي هناك من يذكر ان قيام الامير بالقاء القبض على حاكم سنجق اربيل (يعقوب اغا) بعد الاستيلاء على المدينة ثم فرار الاخير الى والي الموصل الذي أخبر الباب العالي بالموضوع، من العوامل الرئيسة التي ادت الى تفكير العثمانيين في التخلص من الامير محمد(١٠٧).

---

(١٠٢) علي سيدو الگوراني، م. س، ص١٣٣. كريم مصطفى شارەزا، اربيل وامارة سوران في كتاب تراث اربيل التاريخي، مجلة (رۆژی كوردستان) ع (٧٨) س (١٩٨٩)، ص٦.

(١٠٣) علاءالدين سجادي، س. پ، ل٦٦.

(١٠٤) صديق الدملوجي، م. س، ص٤٧.. علي سيدو الگوراني، م. س، ص١٣٣.

(١٠٥) ملا أسعد خەيلانی، تەئریخی سوران، نقلاً عن: جمال نەبەز، بیری نەتەوەیی...، ل٣٦. عماد عبدالسلام، م. س، ص٢٠٠.

(١٠٦) الوثائق القومية (القاهرة)، محفظة (٢٣٥) عابدين، الوثيقة رقم (٨٤), نقلاً عن: عماد عبدالسلام، م. س، ص٢٠٠.

(١٠٧) هادي رشيد الچاوشلي، تراث اربيل التاريخي، الموصل ١٩٨٥، ص٢٣.

لقد ذكرنا سابقاً ان وصول حملة رشيد باشا الى هدفها الرئيس قد تأخر كثيراً لاسباب ذكرناها في حينها، فأغتنم الامير السوراني هذه الفرصة ليحقق المزيد من التوسع لامارته، فاستدار هذه المرة نحو الشرق لمهاجمة الاراضي الكوردية التي كانت تحت سيطرة الدولة القاجارية، مستغلاً استياء السكان الكورد في تلك المناطق من السلطات الحاكمة التي كانت سبباً في بؤسهم وشقائهم، الامر الذي سهل مهمة الامير السوراني، فقد استولى في عام ١٨٣٥ على منطقة (كوتور) الواقعة على حدود الدولتين وهزم القوة التي أرسلها الشاه القاجاري من مدينة خوى لمجابهته. و سيطركذلك على مدينة (سلدز) ومناطقها المجاورة، بالاضافة الى بعض النواحي القريبة من (ورمى) حسبما جاء في أحد المصادر(١٠٨). أما الوثائق القاجارية فتشير الى هجمات عدة للامير محمد باشا على الاراضي الكوردية التابعة لايران. وتؤكد سيطرته على مدينة (سردشت)(١٠٩) و عدد من قرى منطقة (لاجان) التابعة لمدينة (مهاباد) واغارته على منطقة (مرگور) و مدينة (مهاباد) نفسها(١١٠).

كانت تلك المبادرة خطوة غير حكيمة من قبل الامير محمد، لانه اثار بذلك عداء الدولة القاجارية له في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تتربص به، مما كان يعني حرمان الامير من المساعدة الايرانية المحتملة، بل وقوعه بين الكماشتين اذا ما قررت الدولة القاجارية استغلال الموقف والوقوف الى جانب الدولة العثمانية في محاربتها للامير السوراني(١١١). ورغم محاولته اصلاح الموقف فيما بعد وعقد معاهدة سلام مع الحكومة الايرانية تنازل بموجبها عن بعض

(١٠٨)ن.أ. خالفين، م. س، ص٥١. ينظر أيضاً: جمال نەبەز، الامير الكردي...، ص٢٨ (هامش المترجم).

(١٠٩) تقع الى الجنوب من مدينة مهاباد وعلى مقربة من الحدود العراقية الايرانية الحالية.

(١١٠) ينظر رسالة محمد تقى خان زنگنه الى محمد رشيد باشا في: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل٥٢. يجدر بالذكر ان تلك الهجمات قد سبقت عام ١٨٣٥ وفقاً لتلك الوثائق، ولكن التواريخ المنسوبة الى تلك الوثائق لا يمكن الوثوق بها، لانها لا تتناسب مع الحوادث. ففي احدى تلك الوثائق المنسوبة لعام ١٨٣٨م جاء بان الامير أعتدى على المناطق الحدودية بين الدولتين (ينظر: محەمەد حەمەباقی، س. پ، ل١٥٩) وذلك في الوقت الذي لم يكن الامير المذكور باقياً على امارته في ذلك العام كما سيتبين فيما بعد.

(١١١) كاوس قەفتان، س. پ، ل٥٢.

المناطق التي كان قد استولى عليها للدولة القاجارية[١١٢]، الا ان ذلك لم يبدل الموقف القاجاري العدائي منه كما سيتبين ذلك فيما بعد.

بدأ محمد رشيد باشا هجماته على المناطق التابعة لامارة سوران في ربيع عام ١٨٣٦، فهاجم زاخو واستولى عليها بعد ان حاصرها، ثم توجه نحو الموصل، وعندما علم محمد باشا بذلك انسحب الى رواندوز وأمر بتحصين المناطق التي كانت تقع في طريق الجيش العثماني. وفي اطار خطوة دبلوماسية من جانبه أرسل مبعوثاً الى الحكومة القاجارية عارضاً عليها العمل المشترك ضد الجيش العثماني مقابل تعهده باعلانه الانضمام الى الدولة القاجارية، ولكنه جوبه بالرفض، نظراً لعداء المسؤولين القاجاريين له وعدم نسيانهم هجماته على المناطق التابعة لهم. وبتأثير الضغط البريطاني الروسي[١١٣]. فرغبة روسيا في المحافظة على مصالحها في ايران جعلتها تعادي الحركات المناوئة للحكومة القاجارية، ولذلك لا نستغرب ان رأينا السلطات الروسية تزود محمد تقي خان زنگنه المعروف بـ(أمير نظام)- حاكم جنوب آذربيجان الايراني — بالذخائر الحربية عندما طلب منها ذلك، حيث أراد الاخير الافادة من الموقف ليوجه ضربة ضد الامير السوراني[١١٤]. أما بريطانيا فأنها ارادت الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة التي كانت مهددة من قبل إمارة سوران بالتغيير، وذلك حفاظاً على مصالحها في تلك المنطقة أيضاً، ولتأمين الطريق الذي يمر عبر المنطقة الى بلاد الهند التي كانت تعدّ درة التاج البريطاني. وقد عبّر أحد المسؤولين الانكليز عن تلك السياسة بجلاء حين ذكر: ((ليس هنالك أي شعب يمكن ان يحل محل الاتراك الذين يجب ان يظلوا باقين على طريق الهند، لانهم ضعفاء ولا يستطيعون الحاق الضرر بنا))[١١٥]. كما ان الساسة البريطانيين كانوا يقفون ضد الحركات المناوئة للدولة العثمانية، لانها قد تؤدي الى تفكك تلك الدولة، مما يهيئ الارضية لزحف النفوذ الروسي باتجاه الجنوب على حساب نفوذ بريطانيا ومصالحها. وكان عداء البريطانيين لمحمد علي باشا (حاكم مصر)

---

(١١٢) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٦٣. ويذكر (جمال نەبەز) بان الامير السوراني قد ذهب أبعد من ذلك، حينما اعلن ولاءه وتبعيته للشاه القاجاري مقابل تحالفه معه ضد العثمانين. ينظر: الامير الكردي...، ص١٦٤.

(١١٣)ن.أ. خالفين، م. س، ص٥٢-٥٣. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٧٨-١٨٠.

(١١٤) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨١. عبدالفتاح علي يحيى، الهجوم العثماني على كوردستان و سقوط امارة سوران، ق٣، مجلة (كاروان) ع (٥٤) س(٥) ١٩٨٧.

(١١٥) ينظر: جمال نەبەز، الامير الكردى...، ص١٦٤.

يأتي في هذا الاطار أيضاً[١١٦]. ولذلك نجد الدبلوماسية البريطانية تنشط في سبيل تضامن الدولتين العثمانية والقاجارية للقضاء على الامير السوراني وحركاته التوسعية، فقد أظهر السفير البريطاني في طهران رغبة بلاده الملحة لتحقيق ذلك التضامن وذلك في رسالة بعثها الى وزير الخارجية القاجاري[١١٧]. فالتضامن المنشود يؤدي الى تكوين سد منيع بوجه زحف النفوذ الروسي باتجاه الجنوب. وهناك من يرى أن خوف بريطانيا من أحتمال اعلان امير سوران الولاء للحكم المصري القائم في سوريا ادى الى محاولة بريطانيا الاسراع بعملية القضاء على الامير محمد باشا، حيث ان المسألة قد تتفاقم حينئذ اكثر من ذي قبل[١١٨].

وقد رحبت الحكومة القاجارية بتلك المبادرة رغبة في الانتقام من محمد باشا وتغطية الخسائر التي تكبدتها نتيجة هجماته على الاراضي التابعة لها، فقد أرسل حاكم جنوب آذربيجان الايراني محمد علي تقى خان زنگنه المعروف بأمير نظام رسالة الى القائد العثماني محمد رشيد باشا، يبادر فيها الى عرض المشاركة الايرانية في العمليات العسكرية الموجهة ضد أمير سوران. وذلك بأختراق الحدود وتضيق الخناق عليه من جانبهم. وطالب الدولة العثمانية بعدة التزامات في حالة رفض تلك المبادرة؛ من بينها ضمان الامن والاستقرار (من جانبها) على المناطق الحدودية، وأجبار الامير السوراني على اخلاء المناطق الايرانية التي لا يزال يتمسك بها. وكذلك دفع مبلغ أربعة آلاف تومان للدولة القاجارية تعويضاً عن الاضرار المادية والبشرية التي لحقت بها جراء هجمات الامير المذكور[١١٩].

وفي ظل غياب الرد العثماني الايجابي على تلك المبادرة الايرانية طلب السفير البريطاني في طهران من السلطات القاجارية عدم خرق الحدود العثمانية في خضم حملاتها القمعية الموجهة ضد القوات السورانية. والتريث لحين ظهور نتائج المساعي التي بذلها لدى الدولة العثمانية كي تقوم من جانبها بوضع حد لتحركات الامير السوراني[١٢٠]. وعندما وصلت انباء استيلاء الجيش

---

(١١٦) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق...، ص١٠٤-١٠٧. عبدالفتاح علي، الهجوم العثماني...، ق٣.

(١١٧) ينظر نص الرسالة في: محەمەد حەمە باقى، س. پ، ل١٥٧-١٥٨.

(١١٨) زبير بلال، اربيل...، ص٣٣١.

(١١٩) ينظر نص الرسالة في: محەمەد حەمە باقى، س. پ، ل١٥١-١٥٤ وكذلك: سالح محمد امين، س. پ، ل١٢٣.

(١٢٠) رسالة من السفير المذكور الى (أمير نظام) في: محەمەد حەمە باقى، س. پ، ل١٥٤-١٥٥.

العثماني على قلعة (آميدي)، ارسل السفير البريطاني السكرتير الاول للبعثة البريطانية في تبريز (كابتن شيل) الى معسكر رشيد باشا، للوقوف على تطورات الموقف هناك. واطلاع القائد العثماني على الاضرار التي نجمت عن هجمات محمد باشا على الاراضي التابعة لايران، حسبما يفيد السفير المذكور في الرسالة التي بعثها الى وزير الخارجية القاجاري[١٢١]. ولكن المرجح ان تلك المهمة التي نفذت في تموز ١٨٣٦ كانت ضمن الجهود المبذولة لاقناع الجانب العثماني بالعمل المشترك مع الجيش القاجاري[١٢٢].

وفي تلك الاثناء قامت القوات القاجارية ـ التي كانت تضم عدداً من الفرسان الكورد ـ بمهاجمة المناطق الكوردية الايرانية التي كانت تحت سيطرة القوات السورانية والقبائل الكوردية المتحالفة معها. فتمكنت من استعادتها وطرد ممثلي الامير السوراني منها[١٢٣]. مستغلة اندحار قوات سوران امام الجيش العثماني في مناطق بادينان[١٢٤]. بالرغم من تلك الانتصارات التي تحققت لهم فان المسؤولين القاجاريين لم يقتنعوا بأنتهاء تهديدات محمد باشا السوراني، اذ كانوا مصرين على القضاء التام على مصدر تلك التهديدات الكائن في رواندوز[١٢٥]. ولذلك لم يتخلوا عن المطالبة بدور لهم في الحملة العسكرية المتوجهة الى مركز امارة سوران. فعندما كانت القوات الايرانية المرابطة على الحدود تراقب التطورات، أرسل وزير الخارجية القاجاري رسالة الى السفير العثماني في طهران يخير العثمانيين بين السماح للقوات الايرانية بخرق الحدود لقمع محمد باشا واجباره على دفع غرامه عن الاضرار التي سببها في ايران. او دفع تكاليف القوات الايرانية المرابطة على الحدود[١٢٦].

الا انه يبدو ان جميع هذه المساعي قد رفضت من قبل السلطات العثمانية وخاصة من قبل محمد رشيد باشا الذي لم يكن مستعداً لتقاسم انتصاراته مع أية جهة أخرى، بحجة ان هذه الوساطة تعد تدخلاً في شؤون الدولة العثمانية. كما عدّ العرض الايراني مناورة تهدف الى

---

(١٢١) ينظر نص الرسالة في: هـ. س، ل١٥٧-١٥٨.

(١٢٢)ن.أ. خالفين، م. س، ص٥٣. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٢.

(١٢٣) رسالة من (أمير نظام) الى السفير البريطاني في طهران، في: محەمەد حەمە باقی، س. پ، ل١٥٦.

(١٢٤) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٢-١٨٣.

(١٢٥) ينظر رسالة ولي العهد القاجاري (عباس ميرزا) الى (أمير نظام) في: محەمەد حەمە باقی، س. پ، ل١٥٧.

(١٢٦) ينظر نص الرسالة في: هـ. س، ل١٥٩-١٦٠.

التـدخل في كوردسـتان العثمانيـة، وحـذرت الـسلطات العثمانيـة ايـران مـن محاولـة دخـول أراضيها[١٢٧].

وعندما وصل الجيش العثماني الى مناطق بادينان ارسل الامير محمد جيشاً بقيادة أخيه رسول بك مع سعيد باشا و اسماعيل باشا (أمير بادينان) ـ وكان الاخير قد صالح الامير السوراني مؤخراً ـ لملاقاة الجيش العثماني. الا انهم لم يصلوا في الوقت المناسب، اذ سبقهم الجيش العثماني الذي هاجم آميدي من الموصل، واستولى عليها مستغلاً غياب اسماعيل باشا، الذي كان مسؤولاً عن الدفاع عنها. وترك العثمانيون حامية صغيرة في قلعة آميدي ليهاجموا المناطق الاخرى. فتحين اسماعيل باشا الفرصة حين وصله المدد فهاجم القلعة واعاد السيطرة عليها، وتمكن من الدفاع عنها ضد المحاولات العثمانية لاعادة احتلالها[١٢٨].

ولكن محمد رشيد باشا اعاد تنظيم قواته وهاجم المناطق الاخرى في طريقه الى رواندوز. فحاصر عقرة مدة ثلاثة أشهر ثم احتلها، وعبر الزاب الكبير بعد ذلك الى سهل حرير حيث أنضمت اليه قوات والي بغداد علي رضا باشا، وكان الأخير قد استولى في طريقه على التون كوبري واربيل. أما قوات والي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار فكانت قد التحقت بالحملة الرئيسة قبل ذلك[١٢٩]. وتشير بعض المصادر الى ان معركة قد وقعت في سهل حرير بين قوات امارة سوران بقيادة أخي الامير محمد المسمي أحمد بك وبين القوات العثمانية، فأسفرت عن انهزام العثمانيين وتراجعهم الى الوراء[١٣٠]. ولكننا نستبعد وقوع تلك المعركة، لعدم ذكرها في المصادر الاخرى التي تصدت للموضوع. بل ـ وعلى العكس من ذلك ـ تشير بعض المصادر الى ان المعنويات قد تدنت في امارة سوران وتعدى ذلك الى الامير السوراني نفسه[١٣١].

مهما كان الامر فقد بدأ محمد رشيد باشا اللجوء الى الاساليب الدبلوماسية لتحقيق أغراضه حينما اقترب من معقل الامير السوراني. خاصة وان الاخير قد حصن (گەلی عەلی

---

(١٢٧) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق...، ص١٠٥-١٠٦. عبدالفتاح علي، الهجوم السوراني...، ق٣.

(١٢٨) حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٦٣-٦٤. جەليلی جەليل، كوردەكانی...، ل١٧٨-١٧٩.

(١٢٩) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٢. حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٦٥.

(١٣٠) حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٦٦. ويشير جليلي جليل الى تلك القوة السورانية وتراجع العثمانيين الا انه لايشير الى وقوع تلك المعركة، ينظر: كوردەكانی ئیمپراتۆریەتی عوسمانی، ل١٨٣.

(١٣١) جيمس فريزر، م. س، ح ص٢٧. ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٣. جمال نەبەز، الامير الكردى...، ص١٤٩. زبير بلال، محمد الخطي ونهاية...، ص٢٤.

بەگ- مضيق علي بك) الكائن في طريقه الى رواندوز بقوات كافية، حسبما تفيد بعض المصادر[١٣٢]. لقد خاطب القائد العثماني العاطفة الدينية لدى الكورد مستغلاً قدسية مكانة السلطان، فوجه رسالة الى الامير طالبه فيها ان يمتثل لوازعه الديني ولايقف في وجه ارادة السلطان الذي يعد خليفة المسلمين (حسب زعمه واعتقادهم بذلك). وقطع للامير العهد والمواثيق بانه اذ اسلم نفسه فانه سوف يستحصل له على عفو السلطان ورأفته، وسوف يعيده سالماً الى امارته ومعه الفرمان الرسمي بالامارة[١٣٣].

ويبدو ان الامير قد أخذ يستشير ذوي الرأي والوجاهة لديه في الامر، فأشار عليه الملا محمد الخطي بعدم جدوى المقاومة وحثه على تسليم نفسه حقناً للدماء[١٣٤]. ويرجح انه قد اقتنع بهذا الرأي، وخاصة عندما أدرك ان الامور لا تسير في صالحه. اذ يشير الرحالة الانكليزي (فريزر) الى ذلك بقوله: ((ولو كانت جيوشه مخلصة له لاستطاع ان يزدري بالقوى التي زحفت عليه كلها... وكان البعض من ضباطه ميالين الى الخيانة، كما كان من المؤكد ان يكون اولئك الذين وقفوا الى جانبه الى الاخير في المناسبات الاعتيادية قد أفزعتهم رؤية اعلام السلطان وهي ترفرف امامهم، أضف الى ذلك ان بقايا التبجيل لخليفة الرسول وزعيم الاسلام الديني منعت الاكراد عن مقاومة جنود السلطان بالسلاح، وقد شعر المير بهذا كله وبعد ان أضاع قلاعه الحصينة واحدة بعد أخرى استسلم في نهاية آب ١٨٣٦))[١٣٥]. وتشير بعض المصادر الاخرى الى ان الامير لم يستسلم الا بعد ان حاصره العثمانيون في رواندوز وعانى من نقص الماء والمؤن[١٣٦].

وفيما يتعلق بعوامل استسلام الامير للجيش المهاجم يتحدث بعض المؤرخين عن فتوى دينية أصدرها الملا محمد الخطي تفيد بان (محاربة جيش الخليفة تخل بالدين والايمان وبالعصمة الزوجية)، فأثرت الفتوى في نفوس المقاتلين الكورد وامتنع الكثير منهم عن القتال، وصار ذلك سبباً

---

(١٣٢) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٢. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٦٧.

(١٣٣) لقد أورد (حسين حزني الموكرياني) مضمون الرسالة كاملة دون ان يدلنا على المصدر الذي استقى منه الرسالة (ينظر: موجز تاريخ...، ص٦٧-٦٨) يجدر بالذكر ان العثمانيين قد اعتادوا ارسال تلك الانواع من الرسائل الى المعارضين قبل الشروع بمقاتلتهم. ينظر على سبيل المثال: نظمي زاده ، م. س، ص٢٩٦.

(١٣٤) ملا اسعد خەيلانی، تەئریخی سوران، نقلاً عن: محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٢. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٦٧.

(١٣٥) رحلة فريزر...، ص٢٧.

(١٣٦) ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٣، جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٥.

لضعف الامير فأضطر الى الاستسلام حسب رأيهم[١٣٧]. ولكن هذا الرأي مبالغ فيه دون شك، حيث لم يستسلم الامير الا عندما ادرك عجزه عن المقاومة وخاصة عندما فقد الجزء الاعظم من مناطق نفوذه على يد القوات العثمانية. ومن جانب آخر يمكننا ان نتساءل لماذا لم يبادر الملا محمد الخطي الى اصدار فتوىً مماثلة في الاصطدامات الاولى مع الجيش العثماني. حيث احتل العثمانيون (آميدي) و (عقره) والمناطق الاخرى بقوة السلاح خلال تلك الحملة. ومما لاشك فيه ان هذه المرة لم تكن المرة الاولى التي يواجه فيها المقاتلون الكورد جيوش الدولة العثمانية، فكيف قاتل الكورد في المرات السابقة؟ بالرغم من ذلكف من غير المستبعد ان يكون الخطي قد اشار على الامير بالاستسلام حقناً للدماء، حينما بلغ الامير حالة يائسة. ويبدو ان الامير قد خذل من قبل بعض مقاتليه واعوانه خوفاً من المصير الذي يلاقونه اذا استمروا في مواجهة الجيش العثماني الذي كان انتصاره يلوح في الافق[١٣٨].

وقد استقبل الامير محمد باشا بالحفاوة والاكرام من قبل محمد رشيد باشا، فأخذه معه الى استانبول حيث مصيره المجهول، الذي اختلف المؤرخون في تحديده[١٣٩]. ولكن معظمهم يتفقون على ان الامير قد قضى عليه بأمر من السلطان العثماني وهو في طريقه للرجوع الى امارته ومعه تفويض بالامارة[١٤٠]. وهناك مصدر قريب من الاحداث زمنياً ينفرد بذكر تفاصيل كاملة عن مصير الامير السوراني في استانبول ملخصها؛ ان الامير حصل على العفو من السلطان بوساطة أحد أمناء الدولة الذي كان جاراً للامير وهو تحت الاقامة الجبرية في استانبول، مستغلاً الليلة التي كان السلطان يخلو بنفسه. فاعاد السلطان اليه حكم الامارة وأذن له بالرحيل. ولكن والي بغداد قد تدخل في الامر، وبعد مداولات مطولة نجح في حث السلطان على

---

(١٣٧) حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٦٨. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٤. على سيدو الگوراني، م. س، ص١٣٣.

(١٣٨) جيمس فريزر، م. س، ح ص٢٧. علاءالدين سجادي، س. پ، ل٦٧.

(١٣٩) تذهب بعض المصادر الى انه قتل في سيواس ودفن فيها بموجب البراءة السلطانية التي جاء بها حامل البريد العثماني الى والي سيواس (محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٣. سليمان الصائغ، م. س، ج١، ص٣١٣ ومصادر اخرى) ويشير حسين حزني موكرياني الى انه قتل في طرابزون. ينظر: موجز تاريخ...، ص٦٩.

(١٤٠) جيمس فريزر، م. س، ح ص٢٧. حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٦٩. سليمان الصائغ، م. س، ج١، ص٣١٣.

اصدار الامر بقتله، فوصل هذا الامر الى والي سيواس متزامناً مع وصول الامير محمد، فربطوه والقوه في البحر[١٤١].

وبعد رحيل الامير محمد دخلت امارة سوران في طور الاحتضار ولكنها لم تنهَر مباشرة، فقد اجتمع أولو الامر في رواندوز، وعينوا أحمد بك (اخي الامير) أميراً جديداً على سوران[١٤٢]. مما يدل على ان العثمانيين قد اكتفوا بأستسلام الامير محمد باشا ولم يقضوا على امارة سوران في تلك الحملة. وجاء بعد أحمد بك أخوه سليمان بك الى الحكم، وبعده رسول باشا الذي ظل يحكم سوران الى عام ١٨٥٢ حيث نصب حاكماً على رواندوز و حرير و شيروان و بالك و برادوست بموجب فرمان عثماني رسمي. ولكنه اختلف مع والي بغداد في عام ١٨٥٦ فألتجأ الى ايران بعد هزيمته امام القوات التي وجهها الوالي اليه. فدخلت تلك القوات الى رواندوز، وتم تعيين متصرف عثماني عليها وادخلت اجهزة الدولة اليها[١٤٣].

٢- سقوط امارة بادينان:

كنا قد ذكرنا في الصفحات السابقة ان اسماعيل باشا قد اعاد السيطرة على مدينة آميدي في سنة ١٨٣٦ ودافع عنها ضد المحاولات العثمانية لاعادة احتلالها. ويبدو ان العثمانيين قد غضّوا النظر عنها بعد ذلك، وتوجهوا للقضاء على الامير السوراني محمد باشا الذي كان الهدف الرئيس لحملتهم. وعندما تم لهم ذلك في آب ١٨٣٦ كما مربنا، فانهم عرجوا على قلعة آميدي. وفيما يتعلق بمسألة الهجوم العثماني على هذه القلعة في تلك الاثناء تتضارب آراء المؤرخين؛ فيذهب بعضهم الى ان محمد رشيد باشا حاصرها لدى عودته من رواندوز ثم سيطر عليها فقضى بذلك على امارة بادينان[١٤٤]. وهناك من يرى أن علي رضا باشا (والي بغداد) هو الذي هاجم آميدي في عام ١٨٣٧ وذلك بعد القضاء على محمد باشا السوراني، وتمكن من احتلالها واسر

---

(١٤١) عبدالقادر ابن رستم باباني، سير الاكراد (كتب باللغة الفارسية عام ١٨٧١م) تحقيق، محمد رؤوف توكلي، چاپ اول، تهران ١٣٦٦ هـ، ش، ص١٨٢-١٨٥.

(١٤٢) حسين حزني، موجز تاريخ...، ص٧٠.

(١٤٣) م. ن، ص٧٠-٧٧. زبير بلال، محمد الخطي...، ص٢٤.

(١٤٤) محمد امين زكي، تاريخى دهولهت و...، ل٣٩٣. عباس العزاوي، تاريخ العراق...، مج ٧، ص٣٦. صديق الدملوجي، م. س، ص٤٨.

اسماعيل باشا وأخذه الى بغداد، ولكنه رده الى منصبه في آميدي بعد ذلك، لان ظروف الدولة العثمانية وانشغالها بحرب المصريين لم تكن تسمح بتطبيق الحكم المباشر حينذاك[١٤٥]. أما المؤرخون الآخرون فيأتون الى ذكر الحملة العثمانية التي وجهت على آميدي بعد انهاء مسألة الامير السوراني، الا انهم لايشيرون الى اسم قائد الحملة المذكورة، كما انهم ينكرون اعتقال اسماعيل باشا أثناء تلك الحملة[١٤٦]. ويذكر لونكريك: ((وتولى في ١٨٣٨ الأينجه بيرقدار إتمام العمل غير الكامل في كردستان فالحقت في الاخير العمادية بعد ان حوصرت ثم تبعتها عقره ودهوك))[١٤٧].

ولكننا نرجح الرواية الأخيرة (رواية لونكريك) مما يعني ان القوات العثمانية قد هاجمت آميدي بقيادة (إينجه بيرقدار) بعد العودة من راوندوز، وذلك لان تلك المنطقة كانت تدخل في نطاق نفوذ ايالة الموصل في تلك الفترة. أما الامير الباديني اسماعيل باشا فلم يتمكن من الصمود طويلاً امام الحصار العثماني فنزل من القلعة ليلاً عن طريق نفق سري مع بعض رجاله المعتمدين، ليتوجه نحو الامير البوتاني (بدرخان بك) في مدينة (جزيرة). فدخلت القوات العثمانية قلعة آميدي، وبعد ان بقي فيها البيرقدار أياماً محدودة أقام عليها أحد وجهاء المدينة وهو: (يونس آغا الكيلي) حاكماً مؤقتاً ثم قفل راجعاً الى الموصل[١٤٨].

ولكن يبدو إن يونس آغا قد أدرك ان سكان المدينة وخاصة وجهائها يميلون الى اسماعيل باشا. فأخذ يرسل سراً من يدعوه الى العودة الى آميدي، وحدث ذلك في عام ١٨٤٢ ثم سعى اسماعيل باشا الى ان يجعل حكمه رسمياً ومعترفاً به من قبل السلطات العثمانية، ولكن هذا الامر جوبه بالرفض من قبل الأينجه بيرقدار[١٤٩]، لان الدولة العثمانية كانت تحاول جاهدة القضاء على الامارات الكوردية كما بيّننا في السابق. فجهز البيرقدار حملة لانهاء حكم اسماعيل باشا والتقى بقوات بادينان عند قرية (إيتوت/ أو: عين توتا)[١٥٠] فدارت رحى معركة

(١٤٥) عبدالفتاح علي، الملا يحيى...، ق٣.

(١٤٦) أنور المائي، م. س، ص١٧٤. محفوظ العباسي، م. س، ص١٠٨.

(١٤٧) أربعة قرون...، ص٣٤٤.

(١٤٨) أنور المائي، م. س، ص١٧٤. محفوظ العباسي، م. س، ص١٠٨.

(١٤٩) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٤. انور المائي، م. س، ص١٧٥.

(١٥٠) قرية مزورية من قرى دهوك.

حامية اسفرت عن هزيمة قوات بادينان، فاسرع اسماعيل باشا في العودة الى آميدي ليتحصن فيها[١٥١]. والتحق به البيرقدار بقواته بعد ان أحدث الكثير من التدمير والنهب في القرى الكوردية الواقعة في طريقه. فحاصر قلعة آميدي مدة اربعة اشهر، اضطر اسماعيل باشا بعدها الى تسليم نفسه بعد ان تعهد له البيرقدار بضمان سلامته وأملاكه، وبذل الجهود لدى السلطات العثمانية ليتم تعيينه على إحدى ايالات الدولة العثمانية. وقد تم ذلك فعلاً حيث ارسل البيرقدار الامير الباديني المعزول مع افراد اسرته وحاشيته وكافة ممتلكاته الى بغداد، حيث توفي فيها عام ١٨٧٢ بعد ان تقلد مناصب عدة في إيالات الدولة، أما فيما يتعلق بمصير الامارة فقد دخلت القوات العثمانية مدينة آميدي في عام ١٨٤٢ واستولت بعد ذلك على جميع المناطق التابعة لامارة بادينان، والحقت بادارة ايالة الموصل[١٥٢].

٣- حملة حافظ باشا على كوردستان:

لقد وصلت قوات محمد رشيد باشا الى حالة سيئة من التعب وهبوط المعنويات نتيجة تلك المسيرة الطويلة والشاقة عبر المناطق الكوردية الجبلية الوعرة الى رواندوز. ومما زاد في سوء حالتها انتشار وباء الكوليرا بين افرادها. وازاء تلك الحالة أمرت السلطات العثمانية بوقف العمليات الحربية في كوردستان بصورة مؤقتة. وقد تعدى هذا الوباء الفتاك الى قائد الحملة محمد رشيد باشا ايضاً فمات متاثراً بأعراضه في كانون الثاني ١٨٣٧ في دياربكر. وقد حل المشير حافظ باشا[١٥٣] محله في قيادة الحملة، ولم يكن هذا أقل غطرسة وخشونة من سلفه في تعامله مع الكورد[١٥٤].

---

(١٥١) عباس العزاوي، العمادية...، ص٥٤. انور المائي، م. س، ص١٧٥. سليمان الصائغ، م. س، ص٣١١-٣١٢.

(١٥٢) انور المائي، م. س، ص١٧٥-١٧٦. محفوظ العباسي، م. س، ص١٠٨-١٠٩، يجدر بالذكر ان العزاوي يذهب الى ان اسماعيل باشا قد توفي في بغداد عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠-١٨٥١م) دون الاشارة الى توليه المناصب المذكورة. ينظر: العمادية في مختلف العصور، ص٥٣.

(١٥٣) قائد عسكري عثماني چركسي الاصل اصبح مشيراً للاناضول في عام ١٨٣٧، وكان قائد الجيش العثماني في معركة نصيبين عام ١٨٣٩ التي انهزم فيها أمام القوات المصرية. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٧.

(١٥٤) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ص١٨٩.

استانفت القوات العثمانية تنفيذ مهماتها في كوردستان في صيف عام ١٨٣٧، فوجهت هجمات عدة عقيمة الى بعض المناطق أفهمت القيادة العثمانية بضرورة اعادة النظر في مسألة تقوية الجيش و زيادة عدد أفراده واكمال نواقصه[١٥٥]. والجدير بالذكر في هذا المجال ان العثمانيين استفادوا من العلاقات الاقطاعية القائمة في كوردستان مرة اخرى عندما استغلوا الطموحات الشخصية والحرص على الامتيازات الاقطاعية لدى بعض الزعماء الكورد لكسب ودهم واستمالتهم[١٥٦]، ليوجهونهم ضد بني جلدتهم. ولذلك فقد ضم الجيش العثماني الكثير من المقاتلين الكورد الى جانبه[١٥٧]. الامر الذي عدّه (مولتكه) مبعث قوة للجانب العثماني وذكر أن افتقار قوات المقاومة الكوردية الى التخطيط والتنظيم كان لصالح العثمانيين المتفوقين من الناحية التسليحية أيضاً[١٥٨] ومن الامور الاخرى التي ساعدهم أنقسام الرؤساء الكورد فيما بينهم وعدم تكوين جبهة كوردية موحدة ضد العثمانيين[١٥٩] يضاف الى ذلك مساندة بعض الدول الاوربية لهم، وعلى الاخص بريطانيا التي أمدت الحملة العثمانية بالمهندسين والخبراء في الشؤون العسكرية وبعض الاطباء العسكريين ليزودوا الجيش العثماني بخبراتهم العسكرية والتقنية[١٦٠] وتدلّ مرافقة الضابط البروسي الرفيع المستوى (مولتكه) لتلك الحملة على ان بروسيا كانت لها نفس الموقف أيضاً.

وبعد ان تم اتخاذ كافة الاستعدادات وجه العثمانيون هذه القوة الضخمة الى منطقة صغيرة هي منطقة سنجار التي كان يقطنها الكورد الايزديون. وقد مارس فيها العثمانيون جرائم بشعة. حيث قتلوا اكثر من نصف سكانها رمياً بالرصاص أو بالقنابل، ولم يسلم حتى الذين لجأوا الى المغاور و الكهوف، اذ تم محاصرتهم وأضرموا النار فيها. فماتوا حرقاً أو خنقاً بالدخان

---

(١٥٥) هـ. س، ل١٩٠.

(١٥٦) هـ. س، ل١٧٦. كندال و...، م. س، ص٥٧.

(١٥٧) مما لاشك فيه ان بعض اولئك المقاتلين كانوا قد الحقوا بالجيش العثماني كرهاً.

(١٥٨) عبدالفتاح علي، الكورد و الكوردستان في رسائل...، ص١٨، ٢١.

(١٥٩) جيمس برانت، م, س، ص٨٤. Arafa, op. cit, P23

(١٦٠) جهليلى جهليل، كوردهكانى...، ل١٧٢-١٧٦.

ثم استاقوا النساء والاولاد الى المدن حيث عرضوا للبيع(١٦١). ويذكر أحد شهود عيان بصدد تلك الجرائم: ((هدمت القرى وهتك الجنود أعراض النساء وقتل الرجال))(١٦٢).

وبالاضافة الى قوات حافظ باشا كانت هناك قوات عثمانية أخرى تساهم في قمع الانتفاضات الكوردية، وهي القوات التي كانت بقيادة قائد بايزيد، والتي كانت تحاول قمع انتفاضة عشيرة سيپكى في منطقة ارضروم، وتم لها ذلك في السنة نفسها (١٨٣٧) فتم اعتقال زعمائها والفتك بأفرادها(١٦٣).

وبعد ان انتهى حافظ باشا من مجزرة سنجار، زحف باتجاه الشمال الغربي مهاجماً بقوة الدفاعات الكوردية التي كانت تعترضه. وعندما حل الشتاء عسكر في ضواحي ملاطية وقدم المدينة لقمة سائغة لجنوده، حيث أمضى الجنود الشتاء على نهب سكانها وسلبهم. وعندما جاء ربيع عام ١٨٣٨ بدأ حملاته متوجهاً الى الشرق لقمع الانتفاضات الكوردية التي كانت منتشرة في انحاء واسعة من كوردستان ضد السياسة العثمانية الهادفة الى النيل من حريتهم(١٦٤). وكانت المقاومة الكوردية لتلك الهجمات شديدة الى درجة ان الجيش العثماني كان يقابل خصمه في بعض المواقع ((بقلوب خائفة وأرجل مرتجفة))(١٦٥). بل ان تلك المقاومة البطولية ادت الى ان يبدي الضابط الالماني المرافق للحملة (مولتكه) إعجابه الشديد بالشعب الكوردي وبمهاراته القتالية وشجاعته(١٦٦). بالرغم من ذلك فان تلك المقاومة لم تكن مجدية في أغلب الاحيان، بسبب غلبة الجانب العثماني من حيث العدد والعدة، الى جانب الانقسام الذي كان الكورد يعانون منها.فعندما مرّ الجيش العثماني بمنطقة موش، لاقى في احدى ضواحيها الواقعة في منطقة جبلية وعرة، مقاومة باسلة على يد سكانها، الذين قرروا التصدي للقوات العثمانية، بالرغم من وقوف زعيمهم وجماعته الى جانب حافظ باشا. ولكنهم انهزموا نتيجة

---

(١٦١) سليمان الصائغ، م. س، ص٣١٧.

(١٦٢) Ainsworth, W. F:Travels and researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea and Armenia, Vol. 1, III, London 1842, p293.

(١٦٣)ن.أ. خالفين، م. س، ص٥٤.

(١٦٤) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل١٩٠-١٩١، ١٩٥-١٩٩.

(١٦٥) عبدالفتاح علي، الكورد و الكوردستان في رسائل...، ص٢١.

(١٦٦) م. ن، ص١٨، ٢٠.

الانقسام الذي حدث في صفوفهم[١٦٧]. ومما يجدر بالتنوية ان بعض الزعماء الاقطاعيين الكورد كانوا يلجأون في بعض الاحيان الى موالاة الجيش العثماني حرصاً على امتيازاتهم، كما رأينا في الحادثة السابقة. بل لقد كانوا يدفعون الرشاوي في سبيل تلك الامتيازات في احيان اخرى، فيروى لنا (جيمس برانت) ما يصبح مثالاً على ذلك حينما يقول: ((ان الاخوة [إخوة أمين باشا الذي كان حاكماً على موش] كانوا قد عقدوا اجتماعاً للتباحث في الوضع الجديد الذي آل اليه أمين باشا بتحول باشويته الى حافظ باشا... وكذلك لجمع المزيد من الاموال لشراء أفخم الهدايا... لتكريم رئيسهم الجديد بما يضمن تعيين أمين باشا من جديد على نفس الباشوية))[١٦٨].

ويجب ان لاننسى الاشارة في هذا المجال الى ان العثمانيين أيضاً كانوا يميزون هؤلاء الامراء والزعماء الاقطاعيين عن الناس البسطاء، فنجد انهم لايعمدون ـ قدر الامكان ـ الى قتلهم او التنكيل بهم عند وقوعهم في قبضتهم اثر مقاومة أبدوها ضدهم، بل كانوا في غالب الاوقات يطلقون سراحهم ويرجعونهم الى اماكنهم السابقة[١٦٩]. ويعطينا (برانت) مثالاً على هذا التصرف العثماني أيضاً عندما يتحدث عن زعيم عشيرة كوردية قاوم العثمانيين ثم اضطر الى الاستسلام، فيقول: ((اذ حجز في دياربكر لمدة عام كامل، ثم ارسل مرة اخرى الى منطقته الاصلية... مستعيداً سلطاته القبلية السابقة))[١٧٠]. ويعلل (خالفين) ذلك بمحاولة العثمانيين ضمان مساعدة الكورد لهم في حروبهم ضد ايران و روسيا في المستقبل، هذا من جهة، ومن جهة اخرى كانوا يستهدفون استمالة زعماء العشائر والاقطاعيين الكورد لصفوفهم بغية ضرب الحركات والانتفاضات الكوردية[١٧١]. أما عامة الشعب الكوردي فكانوا يتعرضون للغطرسة والقسوة العثمانية بعنف. اذ يروي لنا أحد شهود عيان مصير سكان احدى القلاع الكوردية بقوله: ((لقد تم ابادة الرجال وأرسل الاطفال البنين الى استانبول والنساء الى ملاطية))[١٧٢].

وقد تعرضت كوردستان جراء هذه الحملة للتدمير البشري والمادي المريع، فيذكر أحد الذين زاروا

---

(١٦٧) جيمس برانت، م. س، ص٨٤-٨٥.

(١٦٨) م. ن، ص٨٢.

(١٦٩) ن.أ.خالفين، م. س، ص٥٤.

(١٧٠) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٤٣.

(١٧١) ينظر: الصراع على كردستان، ص٥٥.

(١٧٢) Ainsworth, op. cit, vol. 1. III, P. 250.

كوردستان خلال تلك الفترة بانه ((تنتشر القرى المحروقة والاراضي الجرداء في كافة المناطق مما ادى الى انتشار المجاعة في كوردستان، وكانت الاودية مملوئة بجثث قتلى الكورد))[١٧٣].

لقد استمر بؤس كوردستان على يد حافظ باشا وجنوده الى سنة ١٨٣٩، حين حدثت تطورات على ساحة الشام دعت السلطان محمود الثاني الى استدعاء حافظ باشا من كوردستان، ليتوجه بجيوشه المنهكة الى ملاقاة الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا في نصيبين. وكان العثمانيون على علم بضعف جيشهم وانهماكه بسبب سوء التغذية والاوبئة والتعب، لذلك حاولوا جمع اعداد أخرى من المقاتلين في كوردستان. ولكنهم لم يستطيعوا الا تشكيل قوة كوردية صغيرة من بعض العشائر الكوردية. وحين وقعت المعركة في حزيران ١٨٣٩[١٧٤] مني الجانب العثماني بهزيمة نكراء. ولم ينس الكورد الذين كانوا في صفوف الجيش العثماني تلك الجرائم العثمانية التي اقترفت ضدهم مؤخراً، وخاصة على يد حافظ باشا وجنوده، فبادروا الى توجيه نيران بنادقهم الى ضابطهم أنفسهم، ولم يستطع حافظ باشا ان يدفع عن نفسه غائلة هجوم الكورد المنتفضين الا بمشقه كبيرة[١٧٥].

ب- المرحلة الثانية:

١- بدرخان باشا ونهاية امارة بوتان:

تولى بدرخان بك (حصل على مرتبة الباشوية فيما بعد) منصب امارة بوتان في عام ١٨٢١ وهو يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً[١٧٦]. وقد تزامن عهده مع وصول الدولة العثمانية الى ضعف خطير في كيانها وتفسخ واضح في مؤسساتها. وتزامن أيضاً مع اصلاحات السلطان محمود الثاني الهادفة الى تقوية السلطة المركزية والقضاء على الامارات والزعامات الكوردية. وقد ترك ذلك تأثيراً في أعمال بدرخان بك وتطلعاته ثم مصيره فيما بعد. فالضعف الذي أصاب الدولة بعث آمال الحرية والاستقلال لدى الكورد، فقامت الحركات والانتفاضات في انحاء متفرقة

---

(١٧٣) ينظر: جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٩٢.

(١٧٤) هـ. س، ل٢٠١.

(١٧٥) كارل بروكلمان، م. س، ص٥٥٩.

(١٧٦) بله ج شيركو، س. پ، ل٣٨. كريس كوچيرا، س. پ، ل٤٤.

من كوردستان كما مرينا سابقاً. وكانت امارة بوتان تشكل أحد مراكز تلك الانتفاضات الهادفة الى الحفاظ على الاستقلال الداخلي الكوردي وتطويره.

لقد خطط بدرخان لانتفاضة واسعة النطاق في كوردستان، وتدل اجراءاته على سعة خططه وتفكيره أيضاً. ويبدو انه ادرك ان التفرقة الموجودة على الساحة الكوردية، والمحاولات الاحادية الجانب من قبل الامراء الكورد كانت من العوامل الرئيسة التي أدت الى فشل الانتفاضات الكوردية السابقة. ولذلك حاول تجاوز ذلك العامل بمبادرته الى الاتصال بالرؤساء والزعماء الكورد لتكوين تحالف كوردي ضد السلطات العثمانية، وفي اطار ذلك اتصل بالزعماء : مصطفى بك و درويش بك وخان محمود (كانوا حكام مناطق وان)، نور الله بك (أمير هكاري)، فتاح بك (أحد أمراء هكاري) خالد بك (أمير خيزان)، شريف بك (أمير بدليس)[١٧٧]، كور حسين بك (زعيم العشائر الكوردية في منطقة قارص). ومما يعطي صفة الشمولية لهذه الانتفاضة ورود اسم أمير أردلان- الذي كانت مناطق حكمه تقع ضمن الدولة القاجارية- في هذه القائمة أيضاً. وقد توصل هؤلاء الزعماء الى تكوين ما سمي بـ((الحلف المقدس)) الذي كان يترأسه بدرخان بك[١٧٨]. وجدير بالملاحظة هنا ان هذا الحلف لم يشمل امارات كوردستان الجنوبية القريبة من امارة بوتان قياساً بامارة اردلان التي تبعد عنها كثيراً. ويعود ذلك ـ على الارجح ـ الى رفض امراء تلك الامارات دعوة بدرخان بك للانضمام الى الحلف.

وقد قام بدرخان بك باجراءات اخرى في سبيل تهيئة الامكانيات الذاتية للامارة؛ فأنشأ مصنعين لصنع الاسلحة والذخيرة الحربية في مركز الامارة. وبعث عدداً من الطلاب الى اوربا بهدف توفير الكوادر المحلية في المجالات العسكرية ولصنع الاسلحة وتطويرها. وهناك اشارة تفيد بانه شرع في بناء السفن في بحيرة وان[١٧٩]. أما فيما يتعلق بالاوضاع الداخلية في امارة بوتان

---

(١٧٧) جاء في المصادر التي اعتمدنا عليها لمعرفة هذه الاسماء بانه كان حاكماً على (موش) (بله ج شيركو، س. پ، ل٣٩. جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٣١) ولكن يبدو ان ذلك كان خطأً، اذ ان (جيمس برانت) الذي زار المنطقة في عام ١٨٣٨ يتحدث عن (أمين باشا- حاكم موش) فيقول: ((كان له أخوين هما شريف بك حاكم بدليس و...)) ينظر: رحلة المستر جيمس برانت...، ص٢٩.

(١٧٨) بله ج شيركو، س. پ، ل٣٨-٣٩. جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢١٣-٢١٤.

(١٧٩) بله ج شيركو، س. پ، ل٣٩. ويمكننا مقارنة بدرخان بك في هذا المجال مع محمد علي باشا الذي يعد مؤسس مصر الحديثة. وقد يكون الاخير موضع تقليد بدرخان بك في تلك الاجراءات الاصلاحية. وللوقوف بالتفصيل على اجراءات بدرخان بك لتطوير الناحية العسكرية ينظر: صلاح هروري، م. س، ص٦٦-٦٩.

فيمكن القول انها كانت مستقرة والامن كان قائماً فيها نتيجة العدالة التي كان يتصف بها حكم الامير بدرخان. فقد ذكر المبشرون الامريكان في تقريرهم عن حكومته بانها فرضت حكماً عادلاً للقانون وقضت نهائياً على الرشوة والابتزاز(١٨٠). ويقول أحد الرحالة الذين زاروا بوتان في تلك الفترة: ((في بلاد بدرخان بك يمكن ارسال الذهب مع طفل صغير دون الخوف من فقدانه))(١٨١). وقد ادى ذلك الى هجرة واسعة من المناطق الاخرى الى اقاليم امارة بوتان هرباً من الاوضاع السيئة وطمعاً في العدالة التي كانت قائمة في بوتان. وقد وضع الامير بدرخان بعض الشروط لهؤلاء المهاجرين استفاد منهم بموجبها لزيادة عدد أفراد جيشه(١٨٢).

ولم تكن تلك المساواة والعدالة تشمل الكورد أو المسلمين فحسب بل كانت تشمل الجميع في انحاء امارة بوتان ومنهم الارمن والآشوريون الذين كان بدرخان بك يحاول استمالتهم الى جانبه ضد الدولة العثمانية. فقد كان جيشه يضم عدداً غير قليل من الارمن، بل كانت الامور الاقتصادية والمالية رهن أيديهم أيضاً، وكان بعضهم يشغل مناصب مهمة لدى بدرخان بك(١٨٣). وتظهر بعض الوثائق الارمنية بان بدرخان بك كان يمارس سياسة دينية نموذجية، وكان يعدّ نفسه الزعيم الروحي للمنطقة، التي حررها من السيطرة العثمانية كما يؤكد على ذلك باسيل نيكيتين(١٨٤). ومن الدلائل التي تشير الى اعماله العادلة في هذا المجال قيامه بالغاء العادة القديمة التي كانت تفرض على المسيحين بارتداء ملابس مميزة والترجل اذا كانوا فرساناً عندما كانوا يشاهدون زعيماً كوردياً راجلاً(١٨٥).

---

(١٨٠) Kennane, op. cit, P23.

(١٨١)ن.أ. خالفين، م. س، ص٦٠. ينظر ايضاً: ماليسانژ، بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ت: شكور مصطفى، اربيل ١٩٩٨، ص٥٠.

(١٨٢) م. ن، ص٦٠-٦١. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢١٩. وكذلك ينظر: عبدالرحمن بك بدرخان باشا، حكامين جزيرة ابن عمر، ب٦، رۆژنامەی (کوردستان) ژ (١٣) س (١٨٩٩). في: د. کەمال فؤاد، (کوردستان) یەکەمین رۆژنامەی کوردی ١٨٩٨-١٩٠٢، بەغدا ١٩٧٢، ل٤٣.

(١٨٣) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢١٦-٢١٨. ماليسانژ، م. س، ص٣٩.

(١٨٤) ينظر كتابه: الاكراد، ص١٧٠.

(١٨٥) بلە ج شێرکۆ، س. پ، ل٤٠. وحول الحالة الاجتماعية في امارة بوتان خلال ذلك العهد يراجع: صلاح هروري، م. س، ص٧٨-٨٠.

وفي الوقت نفسه كان حكم بدرخان بك يمتاز بالقوة والصرامة في كافة انحاء امارته، اذ لم يكن بمقدور الزعماء المحليين والرؤساء التابعين له رفض أوامره أو التقليل من سلطاته. وكان الدعاء يردد له في خطب الجمعة في المساجد كما عمد في عام ١٢٥٨هـ (١٨٤٢-١٨٤٣م) الى أصدار عملة معدنية خاصة بامارته كتب على أحد جانبيها ((أمير بوتان بدرخان)) وعلى الجانب الآخر ((سنة ١٢٥٨هـ))[١٨٦].

ويعتمد بعض المؤرخين على الحدثين الاخيرين ليؤكدوا على ان الامير بدرخان قد أعلن استقلاله عن الدولة العثمانية[١٨٧]. في الوقت الذي هناك من يتحفظ على ذلك الرأي، يقول البريطاني ميجرسون: ((عسير ان يطلق عليه تماماً مطالبة بالاستقلال))[١٨٨]. وفي الواقع كان بدرخان بك - كالامير محمد باشا السوراني- لم يعلن انفصاله عن الدولة العثمانية صراحةً وعلناً. اذ ليست لدينا دلائل ملموسة على ذلك. ولكننا في الوقت نفسه نستطيع الجزم بانه كان يخطط لذلك الاستقلال ويسعى اليه. وذلك بالاستناد الى الاجراءات والاعمال التي قام بها كما مربنا. بالاضافة الى المحاولات التي قام بها لتوسيع دائرة نفوذه سعياً وراء تكوين كيان سياسي كوردي واسع النطاق. وتؤكد بعض المصادر على ان حدود نفوذ بدرخان قد شملت في وقت من الاوقات المدن الاتية: وان، مهاباد، رواندوز، الموصل، سنجار، سعرد، ويرانشهر، سيڤريك[١٨٩]. ولكن يظهر ان تلك المصادر تبالغ في هذا المجال، اذ ان بعض المدن أو المناطق المذكورة وخاصة (وان) لم تدخل في حدود إمارة بدرخان كأحدى أقاليمها، بل كان الامر مجرد قبول حكامها الدخول في حلف مع الامير بدرخان. كما ان مسألة تبعية (رواندوز) مشكوك فيها، خاصة وانها لم ترد في المصادر المتعلقة بتاريخ امارة سوران.

وقد جذبت فعاليات الامير بدرخان أهتمام السلطات العثمانية مبكراً، ولذلك فعندما حاولت السلطات المذكورة القضاء على الكيانات الكوردية في بداية العقد الرابع من القرن

---

(١٨٦) بله ج شيركو، س. پ، ل٢٢. علاءالدين سجادى، س. پ، ل٤٥. ماليسانژ، م. س، ص٣٨-٣٩.

(١٨٧) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٢٧. سالح قەفتان، س. پ، ل٣٧٤-٣٧٥.

بلەج شيركو، س. پ، ل٤١. جەليلى جەليل، كوردەكانى... ل٢٢٣.

(١٨٨) رحلة متنكر..، ج٢، ص١٤٩.

(١٨٩) بله ج شيركو، س. پ، ل٤١. محمدامين زكي، مشاهير...، ج١، ص١٣٧. علاءالدين سجادى، س. پ، ل٤٥. ويضيف (ماليسانژ) مدن اخرى الى مناطق نفوذه وهي (دياربكر، شنۆ، ورمێ) ولكنه لا يذكر (رواندوز). ينظر: بدرخانيو جزيرة بوتان، ص٤١.

التاسع عشر. فأنها قد وجهت ضربات عدة الى امارة بوتان أيضاً. ففي حملة محمد رشيد باشا تم احتلال مدينة (جزيرة) في عام ١٨٣٦. ولكن بدرخان اعاد السيطرة عليها فيما بعد، لتصبح موضع هجوم آخر للعثمانين وذلك في حملة حافظ باشا، حيث تم توجيه والي دياربكر بقواته اليها، لكنها صمدت هذه المرة ايضاً[١٩٠].

ويبدو ان هذه الانتفاضة لم يستفحل امرها حينذاك الى تلك الدرجة التي نوهنا اليها سابقاً، بل كانت منحصرة بمناطق بوتان وحدها. ولذلك لم يفكر العثمانيون في القضاء عليها جدياً. ولكنها عندما أخذت نطاقاً أوسع[١٩١] أخذ القلق ينتاب الدول الاوربية وخاصة بريطانيا، ناهيك عن السلطات العثمانية. اذ كانت تلك الدول تحاول الحفاظ على مصالحها الذاتية في الامبراطورية العثمانية بالحفاظ على كيانها المتحلل ضد الحركات التحررية والانفصالية التي تهددها بالتفكك. وكانت تقف ضد أي كيان سياسي قوي قد يظهر في المنطقة. ولذلك كانت مواقفها من انتفاضة بدرخان بك مشابهة لمثيلتها ازاء الامير محمد باشا السوراني –كما مربنا- وكانت مطابقة لمواقفها من توسعات محمد علي باشا (والي مصر) أيضاً.

وانطلاقاً من ذلك الموقف أيدت الدول الاوربية السلطات العثمانية في محاولتها القضاء على تلك الانتفاضة. وكان تأييدها مخفياً تحت الستار الديني والحفاظ على مصالح الاقليات المسيحية في الامبراطورية العثمانية. حيث استغلت تلك الدول النزاعات التي نشبت بين الآشوريين والكورد، حين وجه بعض الزعماء الكورد هجمات عدة على المناطق التي يقطنها الآشوريون في عامي ١٨٤٣ و ١٨٤٦. وساهم الامير بدرخان في هجمات عام ١٨٤٦ وانتصر عليهم. فارسل الاشوريون بشكاواهم الى القنصل البريطاني في الموصل (نمرود رسام)، مما هيأ الفرصة لبريطانيا للتدخل في شؤون كوردستان. فقدم ممثلوا بريطانيا الطلبات الملحة لدى الباب العالي للقضاء على بدرخان بك[١٩٢]. وفيما يتعلق بتلك النزاعات يمكن القول ان الدول الاوربية كان لها تأثير كبير في اثارة الآشوريين ضد الانتفاضة الكوردية وزرع بذور الشقاق بينهم و بين الكورد. وذلك

---

(١٩٠) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٧٧، ١٩٠.

(١٩١) تشير بعض المصادر الى ان بدرخان بك مدّ سيطرته في تلك الاثناء الى انحاء (ورمي) و (سنه) في اعقاب اخماد الاضطرابات التي وقعت في الموصل ضد سيطرته. ينظر: بلەج شێرکۆ، س. پ، ل٤٢. محمدامين زكي، خلاصة...، ص٢٣٧.

(١٩٢) م.س.لازاریف، س. پ، ل٤٩. ن.أ.خالفين، م. س، ص٦٢.

بواسطة المبشرين الذين كانوا قد انتشروا في المناطق التي يقطنها السكان المسيحيون في كوردستان(١٩٣). ويمثل المبشر الامريكي (گرانت) خير من نفذ تلك السياسة، اذ تمكن من مد روابط الصداقة مع الزعيم الروحي للآشوريين (مار شمعون) في منطقة هكاري، فنفذ بوساطته السياسة المشار اليها آنفاً(١٩٤). كما ان المسؤولين العثمانيين كان لهم دور في اثارة الخلافات بين الآشوريين والكورد ايضاً(١٩٥). هذا من جهة ومن جهة اخرى ينبغي القول ان الاجراء الذي اتخذه بدرخان بك ضد الآشوريين لم يكن بدافع ديني كما صورته الدول الاوربية، لاننا نجده لا يتهاون مع اعدائه سواءً كانوا كورداً أم آشوريين. اذ قام في بداية انتفاضته باستعمال القوة مع الزعماء الكورد الذين لم يكونوا راغبين في الانضمام الى انتفاضته(١٩٦).

وقد دخلت انتفاضة بدرخان بك نتيجة ذلك في اطار عالمي، فقد أدان الرأي العام الاوربي تلك الانتفاضة باعتبارها مارست القمع ضد المسيحيين بدافع التعصب الديني. فظهرت كتابات عدة بهذا الخصوص على صفحات الجرائد والمجلات الاوربية وفي ثنايا بعض الكتب التي تصدت لهذه المسألة(١٩٧). وقد حاول بدرخان بك من جانبه الحصول على دعم خارجي ايضاً، فتشير بعض المصادر الى انه كان يأمل الحصول على عون الدولة القاجارية له(١٩٨). وفي الوقت الذي لاتوجد لدينا دلائل تبرهن على ذلك، فأننا لانشك في فشل تلك المحاولة، حيث ان اهداف بدرخان بك البعيدة المدى ومحاولاته لتوسيع نطاق نفوذه الى المناطق الشرقية من كوردستان كانت قد ادت الى عداء الدولة القاجارية له دون شك.

مهما كان الامر فقد استغلت الدولة العثمانية دعم الدول الاوربية فقررت القضاء على هذه الانتفاضة في عام ١٨٤٧، فعهدت بهذه المهمة الى الحملة التي تكونت بقيادة (عثمان باشا) والي حلب. ولكن المسؤولين العثمانيين بذلوا جهوداً عدة لحسم المسألة عن طريق المحادثات وذلك

---

(١٩٣)م.س. لازاريف، س. پ، ل٤٩. ينظر أيضاً: صلاح هروري، م. س، ص١٠١ وما بعدها.

(١٩٤) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٣٨.

(١٩٥) ماليسانژ، م. س، ص٣٩.

(١٩٦) كاوس قەفتان، س. پ، ل٧١.

(١٩٧) هـ. س، ل٧٢.

(١٩٨) Kinnane, op. cit, P23.

قبل الشروع في استخدام القوة العسكرية. فأرسلوا مبعوثين الى بدرخان بك لاقناعه بالعدول عن فكرته، الا انهم لم يحصلوا على نتائج مرضية[١٩٩].

وفي اعقاب ذلك اعلن عثمان باشا النفير العام حال وصوله ارضروم في منتصف عام ١٨٤٧. وبدأ الهجوم من الشمال للقضاء أولاً على حلفاء بدرخان بك، فأستهل حملته بمهاجمة عبدال خان (حاكم موكس) الذي كان قد حالف بدرخان أيضاً، فتمكن عثمان باشا من اسره والسيطرة على ما تحت أيديه من اراضٍ ونفي بعد ذلك الى احدى الجزر النائية. وثم أجبر مصطفى بك على الاستسلام أيضاً. فارسل العثمانيون بعد ذلك قسماً من قواتهم الى مناطق وان وهكاري بهدف قطع الصلة بين محمود خان ونورالله بك اللذين كانا من حلفاء بدرخان بك الاساسيين، ولكنهما دافعا عن نفسيهما ملتجأين بقواتها الى الجبال ليتحصنا هناك[٢٠٠].

بعد ان تم القضاء على حلفاء بدرخان بك بقي لوحده في مواجهة القوات العثمانية. ويُذكر ان (الحلف المقدس) الذي سبق ذكره قد ثبت هشاشته وعدم فاعليته، فقد رأينا ان المتحالفين واجهوا مصيرهم كل على حده كأن الحلف لم يكن موجوداً. كما اننا لم نجد دوراً لبعض المتحالفين في تلك الاحداث ومنهم الامير الاردلاني. ولذلك يمكن القول ان هذا الحلف لم يكن بهذا القدر من الأهمية والفاعلية التي حاول بعض المؤرخين[٢٠١] ان يظهروه بها.

وقد اتخذ الجانب العثماني استعدادات ضخمة تحسباً لقوة بدرخان بك ومناعة مواقعها. فقد عسكر عثمان باشا بقواته في دياربكر ليتمكن من حشد قوى كافية للمجابهة المقبلة التي لاشك وانه كان يعتقد بانها ستكون صعبة وحاسمة. وعندما بلغ عدد قواته ثلاثين الف جندي نظامي وحوالي نصف هذا العدد من المقاتلين غير النظاميين مزوداً بأربعين مدفعاً قرر المباشرة بالهجوم على القوات الكوردية المنتفضة. والتي كان عددها يتراوح ما بين (١٠-١٥) ألف مقاتل حسب بعض التقديرات[٢٠٢]. وفيما يتعلق بأحداث الحملة ونتائجها يذكر (بلەج شێرکۆ) ان الاصطدام

---

(١٩٩) عبدالرحمن بك بدرخان باشا، س. پ، فی: كەمال فؤاد، س. پ، ل٤٣. جەليلی جەليل، كوردەكانی...، ل٢٤٠-٢٤١.

(٢٠٠) جەليلی جەليل، كوردەكانی...، ل٢٤٣-٢٤٥.

(٢٠١) من اولئك المؤرخين: بلە ج شيركو، س. پ، ل٣٨-٣٩. جەليلی جەليل، كوردەكـانی...، ل٢١٣-٢١٤. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢٠٢) ماليسانژ، م. س، ص٤٢-٤٣. وانظر ايضاً: عبدالرحمن بك بدرخان باشا، س. پ، ب٦، فی: كـەمال فؤاد، س. پ، ل٤٣.

الاول بين قوات بدرخان بك والجانب العثماني قد وقع بالقرب من (ورميَ) الكائنة في غربي بحيرة (ورميَ)، فأنتصرت قوات الامير في بداية المعركة ولكن الانباء قد وردت الى بدرخان بك تفيد بسيطرة قوة عثمانية على مركز الامارة (جزيرة)، مما أضطر الامير الى ترك قسم من قواته لمواصلة المعركة والذهاب بالقسم الآخر لاعادة السيطرة على مركز إمارته. فتمكن من ذلك فعلاً ولكن الحادث قد اثر في نتيجة المواجهات التي كانت تدور في منطقة (ورميَ) لصالح العثمانيين حسبما يفيد المؤرخ المذكور[٢٠٣]. ولكننا لا نأخذ بتلك الرواية، لانها مشوشة وتتعارض مع المنطق أيضاً. وخاصة مسألة وقوع الاشتباك الاول والرئيس في منطقة (ورميَ) البعيدة كل البعد من معسكر الجيش العثماني في دياربكر قياساً الى مركز إمارة بوتان الذي كان الهدف الاساس للحملة. كما ان تلك المنطقة (ورميَ) لاتقع ضمن الحدود العثمانية بل كانت تابعة لايران حتى وانْ تواجدت فيها قوات بدرخان بك حسب زعم المؤرخ المذكور. بالاضافة الىأن تراجع القوات العثمانية المنهزمة من مدينة (جزيرة) الى منطقة (ورميَ) أمر مثير للتساؤل والدهشة أيضاً.

ونتيجة لذلك لايمكننا الا الاعتماد على مصدر آخر قريب من الاحداث زمنياً وموضوعياً، وهو مقال متسلسل عنوانه (حكامين جزيرة ابن عمر/ حكام جزيرة ابن عمر) كتبه عبدالرحمن بك أبن بدرخان باشا نفسه ونشره في الاعداد ((٨-١٤) من صحيفة (كوردستان) التي تعد باكورة الصحافة الكوردية وكانت تصدر فيما بين (١٨٩٨-١٩٠٢) من قبل العائلة البدرخانية. وقد جاء فيها أن القوات العثمانية قد تحركت من دياربكر صوب مدينة (جزيرة) بقيادة عثمان باشا. وعندما اقتربت القوات المهاجمة من المدينة حدثت اشتباكات عدة بين الجانبين كان اهمها تلك المعركة التي وقعت عند (چمی زەیتون- نهر زيتون) والتي اسفرت عن انتصار قوات بوتان واستيلائهم على بعض المدافع العثمانية، ولكنهم عجزوا عن استغلال تلك المدافع في معاركهم ضد القوات العثمانية لقلة خبرتهم في هذا المجال، وبالرغم من ذلك أقتنع الامير البوتاني أخيراً بتفوق القوات العثمانية وخاصة من حيث التسليح والتجهيزات، فقرر ترك (جزيرة) والتحصن بقواته في قلعة (آروخ) الحصينة. ولكن ذلك العمل لم يجدِه نفعاً، فقد وضعت القوات العثمانية الحصار على المتحصنين في القلعة المذكورة، وامطرت عليهم وابلاً من القنابل. ورغم ان المدافعين

---

(٢٠٣) ينظر: کێشەی میژینه و...، ل٤٢-٤٣. وينقل (محمد امين زكي) نفس المعلومات من المصدر المذكور. ينظر: خلاصة...، ص٢٣٨.

تمكنوا من الصمود مدة من الزمن[٢٠٤] ،ولكن ضربات المدافع العثمانية ونقص المؤن والذخائر دفعت بهم في النهاية الى التسليم للقوات العثمانية[٢٠٥]. وذلك بعد ان أخذ الامير بدرخان العهد من عثمان باشا بعدم التعرض لحياته وأمواله واسرته[٢٠٦]. فأرسل بدرخان بك مع أهله الى الاستانه، حيث نفى مع عائلته الى جزيرة (كريت) في البحر المتوسط، فبقي فيها مدة خمسة عشر عاماً ثم سمح له السلطان بالذهاب الى الشام، حيث مات فيها عام ١٨٦٨ بعد ان نال لقب الباشوية[٢٠٧].

أما المشاركون في الانتفاضة فقد التجأ معظمهم الى ايران أو الى بلاد القفقاس في روسيا، أو أختبأوا في الجبال[٢٠٨] وفيما يتعلق بمصير (خان محمود) الذي كان قد تحصن في الجبال أيضاً فيلحظ بانه يضطر في ايلول ١٨٤٧ الى الاستسلام أيضاً، وذلك بتوسط وجهاء مدينة وان، حيث ارسل الى الاستانة، وهناك نفي الى بلغاريا. وفي اعقاب ذلك عمد العثمانيون الى نشر القوات العسكرية في المراكز السكانية الكوردية المهمة بهدف منع نشوب الانتفاضات الكوردية في المستقبل[٢٠٩].

وقبل الفراغ من هذا الموضوع هناك مسألة لابد من الاشارة اليها وهي شخصية (يزدا نشير- أو/عزالدين شير) الذي كان من أقرباء[٢١٠] الامير بدرخان، وأصبح حاكماً على امارة بوتان من قبل العثمانيين بعد القضاء على انتفاضة بدرخان بك[٢١١]. اذ يؤكد معظم الذين تصدوا لهذا الموضوع على انه كان يتزعم أحد أجنحة قوات بوتان، فأتخذ موقفاً خيانياً من الامير بدرخان بك في احلك الظروف باتفاقه مع العثمانيين، ومساهمته في القضاء على الانتفاضة

---

(٢٠٤) فيما يتعلق بتلك المدة يشير (بله ج شيركو) الى ثمانية أشهر. ينظر: كێشەی مێژینه...، ل٤٣.

(٢٠٥) عبدالرحمن بك بدرخان باشا، س. پ، ب٦، في: كەمال فؤاد، س. پ، ل٤٣-٤٤. ويذكر (ماليسانژ) بان التسليم كان في ٢٠ تموز ١٨٤٧ ولكننا لا نستطيع التأكد من ذلك. ينظر: بدرخانيو جزيرة...، ص٤٤-٤٥.

(٢٠٦) ماليسانژ، م. س، ص٤٥.

(٢٠٧) عبدالرحمن بدرخان باشا، س. پ، ب٦، في: كەمال فؤاد، س. پ، ل٤٤.

(٢٠٨) ن.أ.خالفين، م.س، ص٦٣.

(٢٠٩) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٤٩.

(٢١٠) يقول بعض المؤرخون بانه كان ابن عم الامير بدرخان ويذهب آخرون الى انه كان أبن أخيه. ينظر: ماليسانژ، م. س، ص٤٥.

(٢١١) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٤٩.

المعنية[٢١٢]. ولكن مؤرخاً آخر قد ذكر رأياً مخالفاً لذلك في السنوات الأخيرة عندما أشار الى ان اتهام (يزدا نشير) بتهمة الخيانة هو افتراء ومخالف للحقيقة من قبل (بلـه ج شيركو) لدوافع شخصية، وتقصير في البحث والتمحيص لدى المؤرخين الذين نقلوا هذا الاتهام دون تدقيق. ويتساءل المؤرخ المذكور لماذا لم يتخذ يزدانشير موقفاً مماثلاً من انتفاضة بوتان حينما تهيأت له فرص سانحه قبل ذلك، وخاصة عندما تم احتلال مدينة (جزيرة) مؤقتاً من قبل قوات محمد رشيد باشا في عام ١٨٣٦. ويؤكد أيضاً على ان يزدانشير كان رهن الاقامة الجبرية في (جزيرة) عندما هاجمت القوات العثمانية تلك المدينة، فكيف تسنى له قيادة أحد أجنحة قوات بدرخان واظهار الموقف الخياني المزعوم[٢١٣]. ويمكننا ان نرجح الرأي الاخير نظراً لعدم ورود اسم يزدانشير أو موقفه الخياني المذكور لدى (عبدالرحمن بك بدرخان باشا) الاقرب الى الحدث من حيث الزمن، والأولى بذكر تلك الحادثة لكونها قررت مصير أبيه[٢١٤].

٢- سقوط امارة هكاري:

أصبح نورالله بك أميراً على امارة هكاري في بداية العقد الرابع من القرن التاسع عشر بعد أن أبعد جميع منافسيه في الامارة[٢١٥]. وقد شارك نورالله بك في انتفاضة بدرخان بك واصبح أقليم هكاري أحد مراكز الانتفاضة الكوردية ضد السيادة العثمانية كما مرينا سابقاً. ونظراً لوجود مجموعات سكانية ملحوظة من الآشوريين في امارة هكاري فان اغلب النزاعات التي نشبت بين الآشوريين والكورد خلال أربعينات القرن التاسع عشر كانت في مناطق تلك الامارة. ويبدو انه كان لنورالله بك دور فاعل في تلك الاحداث حسبما يذهب اليه المستشرقون، فقد جاء في (دائرة المعارف الاسلامية): ان الآشوريين ذهبوا الى القنصل البريطاني في الموصل (نمرود رسام) ليقدموا شكاواهم من المعاملة السيئة التي كانوا يلاقونها من نورالله بك. فقام الاخير ازاء ذلك بتدمير مناطقهم

---

(٢١٢) منهم على سبيل المثال: بلـه ج شيركو، س. پ، ل٤٢-٤٣. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٨. جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢٤٧-٢٤٩. ماليسانژ، م. س، ص٤٥. صلاح هروري، م. س، ص١١٨. يجدر بالذكر ان اغلب اولئك المؤرخين قد اعتمدوا على (بله ج شيركو) في هذا الرأي، أي ان المذكور يعد مصدراً لذلك القول.

(٢١٣) د. جەبار قادر، چەند بابەتێکی مێژووی کورد، سلێمانی ١٩٩٩، ل٩٥.

(٢١٤) ينظر: عبدالرحمن بدرخان باشا، س. پ، ب٦، فی: کەمال فؤاد، س. پ، ل٤٣-٤٤.

(٢١٥) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢٦٦.

والهجوم عليهم. واستمر القتل والتدمير سنوات عدة ،حتى وصل عدد الضحايا الى عشرة آلاف شخص حسبما يفيد المصدر المذكور[٢١٦]. ولكن هذا الرقم مبالغ فيه دون شك. كما ان الحادثة لم تكن على شكل ابادة السكان العزل كما يحاول بعض المؤرخين الاوربيين ان يظهروها بها، بل كانت الاشتباكات تدور بين الجانبين، وتقع الخسائر في صفوف كل منهما وعادةً ماتكون خسارة الجانب المندحر اكبر.

وقد بدأت الدولة العثمانية بعملية القضاء على الانتفاضة الكوردية في عام ١٨٤٧، فبدأ عثمان باشا هجماته من الشمال محاولاً القضاء على حلفاء بدرخان بك كما مربنا، وفي هذا الاطار هاجمت القوات العثمانية أقليم هكاري، الا ان نورالله بك كان قد ترك مركز امارته، والتجأ الى الجبال ليتحصن فيها، كما ذكرنا سابقاً. وتمكن نورالله بك من الاستمرار في المقاومة الى عام ١٨٤٩، وبذلك لم يتمكن عثمان باشا من تحقيق امنيته والانتصار عليه، حيث لم تمض مدة طويلة حتى مات عثمان باشا في استانبول بتأثير مرض الكوليرا الذي اصيب به جنوده أيضاً. فخلفه رشيد باشا المعروف بـ(گيوزلى أوغلو/ أبى العوينات) في عام ١٨٤٩، وتمكن من اكمال المهمة. حيث لم يتمكن نورالله بك من الصمود أمامه فأضطر الى الالتجاء الى ايران. فقام العثمانيون بعد ذلك باعادة تنظيم المنطقة فأضيفت بعض السناجق المجاورة الى اقليم هكاري لتشكل ايالة عثمانية تابعة للسلطة المركزية المباشرة، وعهدت ادارة تلك الايالة الى الصدر الاعظم السابق ضياء باشا[٢١٧].

٣- القضاء على امارة بدليس:

بالرغم من ان امارة بدليس قد تعرضت لبطش العثمانيين مراراً[٢١٨] الا انها ظلت تحتفظ بكيانها واستقلالها الداخلي الى نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر. وعندما بدأ العثمانيون محاولاتهم للقضاء على الكيانات الكوردية- كما رأينا سابقاً- شملت هذه المحاولة امارة بدليس أيضاً، خاصة وانها شاركت في الانتفاضة الكوردية بقيادة بدرخان بك، فقد انضم أمير بدليس (شريف بك) الى ما سمي بـ((الحلف المقدس)) كما ذكرنا سابقاً: ولكن لاتوجد لدينا

---

(٢١٦) گروه أزمستشرقين، م. س، ص١٠١.

(٢١٧) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٤٩-٢٥٠.

(٢١٨) يراجع على سبيل المثال موضوع (سياسة القوة المهيمنة) في الفصل الثالث.

معلومات عن نشاطاته و دوره في تلك الانتفاضة. وكانت بدليس قد تعرضت في عام ١٨٣٤ لحملة محمد رشيد باشا الا انها تمكنت من الصمود في وجه الحملة[٢١٩]. وبقيت مدة خمسة عشر سنة اخرى. حيث جاءت نهايتها في عام ١٨٤٩، اذ القى العثمانيون القبض على الامير شريف بك في هذه السنة بعد ان قاوم الجيش العثماني مدة من الزمن، فأخذوه الى استانبول. أما امارة بدليس فقد أصبحت تدار من قبل حاكم عثماني تابع لايالة وان[٢٢٠].

٤- أحمد باشا و سقوط امارة بابان:

تبوأ أحمد باشا بن سليمان باشا منصب امارة بابان في عام ١٨٣٨ بعد وفاة والده[٢٢١] وكان من سوء حظه ان جاء عهده متزامناً مع فترة ضعف واضمحلال امارة بابان من جهة، ومحاولات الدولة العثمانية لاستعادة قواها والقضاء على الامارات والزعامات المحلية من جهة أخرى. بالرغم من ذلك يرقى أحمد باشا الى مصاف امراء بابان العظماء كالأمير عبدالرحمن باشا والامير محمود باشا. اذ يصفه (محمد امين زكي) بقوله: ((كان ذكياً ويقظاً وشجاعاً... وكان محباً للقوة))[٢٢٢] ونال الامير المذكور اعجاب الرحالة أيضاً، فقد ذكر أحدهم وهو (فيلكس جونز) مايفيد اعجابه به عندما التقى به في عام ١٨٤٤[٢٢٣]. ومن الواضح انه كان ذا طموحات واسعة، ولا نستبعد كونه قد خطط للأستقلال بشؤون امارته والنهوض ضد السيادة العثمانية، كما توصل (ميجرسون) الى هذا الرأي أيضاً[٢٢٤]. فقد تمكن خلال مدة قليلة من تنظيم قوة عسكرية وتدريبها، على النظم الحربية الاوربية الحديثة، بلغ عددها في عام ١٨٤٤ ثمان مئة مقاتل تقريباً[٢٢٥]. ووصلت هذه القوة أخيراً الى لواء كامل مجهز تجهيزاً كاملاً على احدث طراز، ومؤلف

---

(٢١٩) بله ج شيركو، س. پ، ل٣٨. ويذكر المؤرخ المذكور ان شريف بك لم يتمكن من الصمود، ولكنه أخطأ في ذلك، اذ بقيت امارة بدليس في الفترة التي اعقبت ذلك، كما بقي (شريف بك) على الامارة بدليل ذكر اسمه كحاكم على بدليس في عام ١٨٣٨. ينظر: جيمس برانت، م. س، ص٢٩.

(٢٢٠) ميجرسون، م. س، ج٢، ص١٥١-١٥٢. ن.أ.خالقين، م. س، ص٦٣.

(٢٢١) محمد امين زكي، تاريخى ولأتى سليمانى، ل١٥٧.

(٢٢٢) هـ. س، ل١٥٨.

(٢٢٣) سي. جي. ادموندز، م. س، ص٥٧.

(٢٢٤) ميجرسون، م. س، ج١، ص١٤٧.

(٢٢٥) سي. جي. ادموندز، م. س، ص٥٧.

من أربعة طوابير[٢٢٦]، يتكون كل طابور من ألف مقاتل، بالاضافة الى قوة لابأس بها من المدفعية[٢٢٧]. ويذكر أحد المؤرخين الكورد المعاصرين لتلك الاحداث ان الامير المذكور قد صنع (٢٨) مدفعاً في السليمانية نفسها،[٢٢٨] الامر الذي يدل على اهتمامه بصناعة الاسلحة على غرار محمد باشا السوراني.

بالرغم من ذلك لم يكن عهد أحمد باشا يخلو من الاضطرابات الداخلية والنزاعات العائلية التي ادت الى تدخل خارجي أيضاً، وبالاخص على يد منافسه وعمه محمود باشا (ابن عبدالرحمن باشا) الذي أستمد بقوة ايرانية تمكن بواسطتها من الاستيلاء على السليمانية عام ١٨٤٠، مما ادى الى بروز مشاكل دبلوماسية بين الدولتين العثمانية والقاجارية، ولكن أحمد باشا قد تمكن من طرده في السنة التالية وعاد الى منصبه مجدداً. الا ان حدوث بعض المناوشات على الحدود مع ايران ادى الى تنحيته وأخذه الى بغداد في عام ١٨٤٢، ليعود الى امارته بعد مدة. وخلال تلك المدة كان أخوه عبدالله باشا قد انتصر على قوة ايرانية كانت تحاول تنصيب محمود باشا في السليمانية مرة اخرى[٢٢٩].

لقد سأم ولاة بغداد العثمانيون من المشاكل التي كان امراء بابان يخلقونها لهم بلجوئهم المستمر الى ايران والاستعانة بقواتها لتحقيق مطامحهم في الامارة. فأصبح ذلك عاملاً اضافياً الى جانب السياسة العثمانية الهادفة الى القضاء على الامارات الكوردية، مما ادى الى تفكير ولاة بغداد جدياً في أمر القضاء على امارة بابان. وكانت لمعاهدة ارضروم الثانية المعقودة في عام ١٨٤٧ تأثير في هذا المجال أيضاً كما يشير أحد المؤرخين الى ذلك[٢٣٠]. فقد اتفق الطرفان في هذه المعاهدة على عدم التدخل في شؤون بعضهما البعض[٢٣١]. ولا شك في ان المسؤولين العثمانيين وبالأخص ولاة بغداد، قد ادركوا بانه لا سبيل الى تحقيق ذلك الا بالقضاء على امارة بابان.

---

(٢٢٦) يشير (حسين ناظم بيگ) الى خمسة طوابير. ينظر: تاريخ الامارة البابانية، ص٣٤١.

(٢٢٧) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٤. عبدالقادر ابن رستم باباني، م. س، ص١٦٢-١٦٣. محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٣٥.

(٢٢٨) عبدالقادر ابن رستم باباني، م. س، ص١٦٢.

(٢٢٩) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٥. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٨٧-٨٨.

(٢٣٠) عباس العزاوي، تاريخ العراق...،مج٧، ص٩١، ينظر أيضاً: دائرة المعارف الاسلامية، مج٥. مادة: بابان، ص٥٣٢.

(٢٣١) حول هذا البند راجع موضوع (استمرار الصراع العثماني الايراني...) في الفصل السابق.

ونتيجة تلك العوامل عمد والي بغداد نجيب باشا[٢٣٢] الى القضاء على حكم الامير احمد باشا[٢٣٣] في عام ١٨٤٧، أما فيما يتعلق بتفاصيل ذلك الحدث فالمؤرخون يدلون بروايات مختلفة. فيذكر بعضهم ان ذلك قد تم باستدعاء احمد باشا الى بغداد من قبل نجيب شا، فأرسل بعد ذلك الى استانبول[٢٣٤]. ويذكرآخرون انه تم ذلك بعد هزيمة أحمد باشا في معركة وقعت قرب بلدة (كوية) أمام قوات نجيب باشا منضماً اليه أخاه عبدالله باشا[٢٣٥]. ويبدو ان الرأي الأخير هو الاقرب الى الحقيقة. ففيما يتعلق بالمعركة المذكورة يؤكد مصدران قريبان زمنياً من الحدث على ان الجانبين قد استعدا للمجابهة بالقرب من (كويه) فعلاً. ولكن الامير الباباني انهزم من الميدان في اعقاب تفرق جيشه وسط حالة من الهرج والمرج حدثت في المعسكر الباباني في الليلة التي سبقت المعركة المرتقبة[٢٣٦]. مهما كان الامر فقد التجأ احمد باشا بعد هذه الحادثة الى طهران حيث توسط السفير العثماني هناك للعفو عنه وذهب على إثر ذلك الى الاستانة[٢٣٧].

أقدم نجيب باشا بعد ذلك على تعيين عبدالله باشا حاكماً على السليمانية ولكن ليس بصفة أمير على امارة بابان بل قائمقاماً على ((قضاء)) السليمانية، ووضع في المدينة حامية من الجنود العثمانيين. الا انه لم يطل به العهد اذ عزل في عام ١٨٥١ ليحل محله موظف عثماني ومؤسسات الدولة العثمانية[٢٣٨]. ومن الواضح ان تعيين عبدالله باشا بابان بصفة قائمقام على السليمانية كان يعود الى محاولة العثمانيين التوفيق بين تطبيق سياستهم في القضاء على الامارات

---

(٢٣٢) خلف علي رضا باشا على ايالة بغداد عام ١٨٤٢ واستمر في منصبه حتى عام ١٨٤٩. مير بصري، اعلام الكرد، ط١، قبرص ١٩٩١، ص٢٨.

(٢٣٣) عبدالقادر ابن رستم باباني، م. س، ص١٦٩.

(٢٣٤) ستيفن لونكريك، م. س، ص٣٤٥. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٨٨. مير بصري، م. س، ص٢٨.

(٢٣٥) سي. جي، ادموندز، م. س، ص٥٧. محمد أمين زكي، تاريخى ولآتى سليّمانى، ل١٥٩-١٦٠.

(٢٣٦) عبدالقادر ابن رستم باباني، م. س، ص١٦٣-١٦٤. حسين ناظم بيگ، م. س، ص٣٤١-٣٤٢. وفيما يتعلق بسبب حالة الصخب المذكورة هناك تناقض بين المصدرين المذكورين. حول ذلك ينظر: المصدرين انفسهما والصفحات نفسها.

(٢٣٧) سي. جي. ادموندز، م. س، ص٣٤٥. محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٨٨. مير بصري، م. س، ص٢٨.

(٢٣٨) سي. جي، ادموندز، م. س، ص٧٥. مير بصري، م. س، ص٢٨.

الكوردية وبين احترام حق الشرعية لاسرة بابان، الذي كان مبجلاً لدى أهل الامارة. اي ان تلك الخطوة كانت بمثابة تعويد الاذهان لسياستهم الجديدة.

أما فيما يتعلق بمصير احمد باشا بابان بعد ذلك فنجد ان السلطات العثمانية تعمد الى تعيينه في مناصب مهمة عدة. فقد أصبح والياً على الايالات الاتية: يمن، وان، ثم يمن مرة اخرى، ثم ارضروم، وبعد ذلك أدنه حتى توفي عام ١٨٧٥[٢٣٩].

وفي نهاية المطاف يجب ان لاننسى المحاولة التي قام بها بعض امراء بابان - وعلى رأسهم عزيز بك ابن عبدالرحمن باشا - لاستعادة سلطانهم الغابر، وذلك في عام ١٨٥١ أثر تعيين موظف عثماني على السليمانية، ولكنها انتهت بالفشل أيضاً[٢٤٠]. ووفقاً لما يذكره (العزاوي) فان عزيز بك المذكور كان قد ساعد والي بغداد في عملية القضاء على حكم عبدالله باشا في السليمانية. وذلك طمعاً في الوصول الى ذلك المنصب ولكنه لم يبلغ مراده. مما يدل على ان الانانية والصراع الاسرى كانا يفعلان فعلهما في امارة بابان حتى النهاية[٢٤١]. يجدر بالذكر ان السلطات العثمانية قسمت مناطق امارة بابان في اعقاب ذلك الى وحدات ادارية عدة للحيلولة دون اعادة توحيدها وتنظيمها ضمن نفوذ الامارة[٢٤٢].

ج- عوامل سقوط الامارات الكوردية ونتائجه:

١- العوامل التي أثرت في فشل المقاومة الكوردية:

لقد ساهمت جملة عوامل في اخفاق المقاومة الكوردية ضد الحملة العثمانية الشاملة التي ادت الى اسقاط الامارات الكوردية، وتتمثل هذه العوامل بما يأتي:

أ- كان الانقسام الموجود في كوردستان، ولجوء كل امارة كوردية الى الدفاع عن نفسها بنفسها، وعدم اتفاق هذه الامارات فيما بينها لتوحيد جهودها في مقاومة الحملات العثمانية

---

(٢٣٩) محمد امين زكي، مشاهير...، ج١، ص٨٨. مير بصري، م. س، ص٣١.

(٢٤٠) عبدالقادر ابن رستم باباني، م. س، ص١٦٩-١٧١. ويتحدث هذا المصدر الذي كتبه شخصية بابانية عام ١٨٧١ بشيء من التفصيل عن تلك الحادثة التي عاصرها.

(٢٤١) عباس العزاوي، شهرزور...، ص١٠٥-١٠٦.

(٢٤٢) م. ن، ص١٠٧-١٠٨.

المتوالية على كوردستان يعد عاملاً مهماً من هذه العوامل. وقد أدرك بدرخان بك تلك العلة وسعى الى تجاوزها بتشكيله (الحلف المقدس) مع عدد من الامراء الكورد لتوحيد جهودهم في التصدي للسلطات العثمانية وحملاتها القمعية، الا انه لم يجن شيئاً من تلك المحاولة. حيث ان الحلف كان غير عملي ولم يحصل بدرخان بك على مساعدة حلفائه عندما احتاج اليها كما مربنا سابقاً.

وكان هذا العامل حصيلة عوامل اخرى في مقدمتها عدم نضوج الشعور القومي بالشكل المطلوب في كوردستان. حيث ان فكرة (كوردستان العظمى) لم تكن متبلورة بشكل كامل، وكان الولاء للامارة فوق الولاء القومي الوطني. كما ان الامارة الكوردية التي لم تكن قد تعرضت للهجوم العثماني لم تكن تخاطر بنفسها لتدافع عن امارة اخرى معرضة للزوال على يد العثمانيين، لاعتقادها انها تتجنب ذلك المصير لنفسها اذا اتخذت موقف المتفرج، وذلك الى جانب وجود النزاعات والمشاكل بين تلك الامارات، والتي جعلت مسألة تضامن الجهود الكوردية شيئاً صعباً. فقد كان الامير الباديني اسماعيل باشا يقف موقف المراقب من الامير محمد باشا السوراني وهو يواجه هجوماً عثمانياً كاسحاً، ولا يمد له يد العون رغم ان امارته اصبحت تابعة لسوران. وذلك لاعتقاده بانه يظل بمنأىً عن الخطر العثماني من جهة ولوجود خلافات سابقة بينه وبين الامير السوراني من جهة اخرى[٢٤٣]. وبدلاً من ذلك أخذت كل واحدة من تلك الامارات تحاول لوحدها ابعاد غضب السلطان وعقوبة الدولة عن نفسها. فقد ساهم الكورد بأنفسهم في عملية القضاء على امارة بدليس عام ١٨٤٩ حسبما يذكر محمد امين زكي[٢٤٤].

٢- كما ان العلاقات الاقطاعية والعشائرية السائدة في كوردستان آنذاك، والتي كانت تؤدي الى الموالاة للعثمانيين وعدم الوقوف ضدهم في بعض الاحيان تعدّ من هذه العوامل أيضاً. فقد كان الزعماء الاقطاعيون يعمدون الى التخلي عن الانتفاضة حينما كانوا يدركون بان الامور لاتسير كما تبغى مصالحهم الذاتية حتى وان اراد الفلاحون[٢٤٥] الاستمرار في المقاومة[٢٤٦]. كما ان العلاقات العشائرية والولاء الى العشيرة كانت تقلل من الولاء للامارة أو القومية. فقد سقطت

---

(٢٤٣) محمد امين زكي، خلاصة...، ص٢٤٦. سالح قەفتان، س. پ، ل٣٨٠.

(٢٤٤) خلاصة...، ص٢٤٧.

(٢٤٥) كان الفلاحون يؤلفون الغالبية الساحقة من السكان ومن المنتفضين في نفس الوقت. كندال و...، م. س، ص٥٧.

(٢٤٦) عبدالرحمن قاسملو، س. پ، ل٨٩.

(عقره) في يد القوات العثمانية نتيجة خيانة عشيرة (الزيبار)[٢٤٧] التي كانت تكن لمحمد باشا السوراني العداء الشديد نتيجة قيام الأخير بالتنكيل بهم حينما رفض الزيباريون الانضواء تحت لوائه لقوة انتمائهم القبلي[٢٤٨].

٣- وكان الانقسام الموجود داخل الامارة الكوردية الواحدة ضمن هذه العوامل أيضاً في بعض الاحيان. اذ كان الانقسام يؤدي الى اضعاف مقاومة تلك الامارة ثم سقوطها. وقد ظهر تأثير ذلك العامل بصورة جلية في مقاومة احمد باشا البابانى الذي انهزم أمام والي بغداد لتواطؤ أخيه (عبدالله باشا) مع عدوه كما رأينا سابقاً. ويبدو ان الكورد كانوا على علم بذلك العامل حتى في تلك المدة؛ فعندما وصل القنصل البريطاني جيمس برانت الى احدى مناطق سهل (موش) التي حارب سكانها ضد قوات حافظ باشا بالرغم من وقوف زعيمهم الى جانب عدوهم، تحدث ابن الزعيم المذكور نفسه لبرانت قائلاً: ((فان الهجوم [هجوم حافظ باشا] كان سيفشل تماماً لو لم يكن هؤلاء منقسمين فيما بينهم))[٢٤٩].

٤- كما ان حوادث الخيانة وطريقة ضرب الانتفاضة الكوردية بأبنائها والتي اتبعها العثمانيون لاخماد المقاومة الكوردية في بعض الاحيان كان عاملاً مساعداً لفشل المقاومة وسقوط الامارات الكوردية. وأبرز مثال على ذلك هو موقف عزيز بك البابانى الذي ساهم في الاطاحة بحكم عبدالله باشا بابان في السليمانية لمصلحته الذاتية، والتي لم يحصل عليها كما مرينا في الصفحات السابقة.

٥- كما لايمكننا ان نستبعد العامل الديني في فشل بعض الانتفاضات الكوردية. اذ كان مسألة تبجيل السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين لايزال كامناً في نفوس الكورد البسطاء الذين كانوا يرون ان القتال ضد جيش السلطان اثمٌ لايغتفر[٢٥٠]. ويكفينا ان رحالة اجنبي (وهو

---

(٢٤٧) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٠. والزيبار تشكل احدى العشائر الكبيرة في جنوبي كوردستان وكانت تقطن فيما بين عقره و الزاب الكبير.

(٢٤٨) پیّ رەش، م.س، ص١٧.

(٢٤٩) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٨٤.

(٢٥٠) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل١٨٤.

فريزر) قد تنبه الى ذلك العامل حيث يقول: ((ان بقايا التبجيل لخليفة الرسول وزعيم الاسلام الديني منعت الاكراد عن مقاومة جنود السلطان بالسلاح...))[٢٥١].

٦- وكان العامل الخارجي المتمثل في الدور الذي اضطلعت به الدول الاوربية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا له تأثير في مسار الاحداث أيضاً ، وذلك في الوقت الذي كان معظم الامراء والزعماء الكورد غافلين عن هذا العامل. وقد برز هذا الدور السلبي في انتفاضتي محمد باشا السوراني وبدرخان بك البوتاني بصورة أكيدة كما تبين لنا.

٧- وضمن العوامل الخارجية أيضاً يشار الى قوة الجيوش العثمانية التي أدخلت عليها الاصلاحات و زودت بالنظم والاسلحة الحديثة آنذاك. فأصبحت متطورة بالقياس الى القوات العسكرية الكوردية دون شك. وخاصة في أعقاب اصلاحات السلطان محمود الثاني الذي اسس جيشاً نظامياً حديثاً كما ذكرنا في بداية هذا الفصل.

وبالرغم من ذلك كله يجب ان لا ننسى ان بقاء الكيانات السياسية الكوردية المتمثلة بالامارات الكوردية وتواصلها لهذا الامد الطويل الذي كانت تبلغ في معظم الاحيان قروناً عدة، لتدل دلالة واضحة على ان الكورد قد أثبتوا في احيان كثيرة من تاريخهم بانهم على استعداد للارتفاع عن مستوى المصالح الضيقة والولاءات العشائرية، والاستعداد للتضحية في سبيل تلك الامارات. فقد عاضدت عشائر الجاف الامير احمد باشا البابان في عام ١٨٤٧ عندما تعرض لهجوم والي بغداد نجيب باشا، وذلك بالرغم من توتر العلاقة بين الامير البابان المذكور و عشائر الجاف في تلك الفترة[٢٥٢]. وكذلك اضطر كهية الوالي احمد باشا بن حسن باشا الى ترك محاصرة قلعة آميدي لتعرضه المتواصل لغارات عشائر بادينان في عهد الامير البادينى بهرام باشا الكبير (١٧١٤-١٧٦٨م)[٢٥٣].

كما يمكننا التأكيد على اننا لم نشهد حالة انهارت فيها احدى الامارات الكوردية بسبب النزاعات الداخلية أو العوامل الذاتية، بل كان في اغلب الحالات بسبب عامل خارجي، ونقصد به الضربة العسكرية المتأتية من دولة اقليمية غازية أو محتلة- أو امارة كوردية اخرى في حالات

---

(٢٥١) رحلة فريزر...، ح ص٢٧.

(٢٥٢) حەسەن جاف، س. پ، ل٣٠.

(٢٥٣) انور المائي، م. س، ص١٥٤.

نادرة- ولذلك يمكن القول ان العوامل الداخلية المتمثلة بالنزاعات حول السلطة والتفرقة القائمة لم تكن الا عوامل مساعدة أو معجلة لعملية السقوط.

٢- نتائج القضاء على السلطات والكيانات الكوردية:

في مقدمة الآثار التي ترتبت على الهجوم العثماني الشامل على كوردستان في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ينبغي الاشارة الى القضاء التام على جميع الامارات الكوردية التابعة للدولة العثمانية بحلول عام ١٨٥١. الامر الذي كان يعني نهاية عهد الامارات في كوردستان واضمحلال الاستقلال الداخلي الذي كانت تمتاز به كوردستان خلال ذلك العهد. مما ادى الى خضوع المناطق الكوردية الى السلطة العثمانية المباشرة، وسيادة مؤسساتها في تلك المناطق. فقد أصبح الحكم بيد الباشوات العثمانيين، يعاونهم عدد من الموظفين على رأسهم متصرف وقاضٍ ومحاسب، وحلت القوات العثمانية محل القوات المحلية الكوردية[٢٥٤]. فأنتشرت هذه القوات كحاميات في المدن المهمة من كوردستان، واصبحت وبالاً على كاهل الناس وآلة قمع جاهزة لقمع أية حركة مناوئة تظهر بينهم[٢٥٥].

ولم يؤدِ هذا التغيير الى تبدل الاوضاع الاقتصادية في المنطقة نحو الاحسن. بل كانت النتيجة عكس ذلك، فقد جلب العهد الجديد معه ضرائب اضافية على كاهل السكان. وقد ظهرت هذه النتيجة مبكراً ،فقد احسّ بها القنصل البريطاني (جيمس برانت) الذي قام برحلة الى المناطق الكوردية في عام ١٨٣٨، أي بعد حملة محمد رشيد باشا مباشرة، حيث يقول: ((أما فيما يخص الرعية فانهم مثقلون في الوقت الحاضر بالضرائب اكثر منه في اي وقت مضى))[٢٥٦]. وكانت هذه الضرائب التي أخذت تزداد كميتها وتتضاف اليها انواع اخرى تدريجياً الى جانب استعمال الشدة في جبايتها، تؤدي في احيان كثيرة الى وقوع الفلاح في حالة سيئة جداً، اذ يكاد المنتوج لا يكفي لدفع تلك الضرائب. مما كان يجبر الفلاحين في بعض الاحيان الى ترك قراهم والالتجاء الى الجبال هرباً من دفع الضرائب[٢٥٧]. وكانت هذه الاحوال السيئة تتطور بمرور الوقت الى ان وصلت الى

---

(٢٥٤) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق...، ص١٣٥.

(٢٥٥) سالح محمد أمين، س. پ، ل١٥٢.

(٢٥٦) رحلة المستر جيمس برانت...، ص٤٩.

(٢٥٧) جەليلى جەليل، كوردەكانى...، ل٢٦١-٢٦٢.

درجة خطيرة في الفترات اللاحقة. وذلك عندما صار الفلاحون يضطرون الى تقديم بناتهم الصغيرات، اللاتي تتراوح أعمارهن بين ثلاث وثمان سنوات الى موظفي الضرائب بدلاً من الاموال. لعدم تمكنهم من دفع الضرائب لفقرهم الشديد، وعدم تنازل الدولة عن ضرائبها الجائرة مهما كانت الظروف. وكانت تلك الفتيات يقدمن الى الموظفين بدلاً من الرواتب، حسب رواية أحد شهود العيان(٢٥٨).

والى جانب ذلك خضعت كوردستان لنظام التجنيد الاجباري الذي كان أشبه بعملية ((صيد الانسان)) حسب قول أحد المسؤولين عن هذه العملية. حيث كان الجندون يؤخذون بأياد مقيدة(٢٥٩). وكان الكورد يقاومون التجنيد ويأنفون منه فيلجأون الى الجبال هرباً منه لقسوته، ولأنه كان يؤدي الى قلة الايدي العاملة في القرى، الامر الذي كان يضر بالعملية الانتاجية ويؤثر في وضعهم المعاشي سلباً. فقد لاحظ أحد الرحالة النقص الفضيع لعدد الذكور في مدينة سعرت الكوردية(٢٦٠).

وعندما انتزع العثمانيون السلطة من الامراء الكورد أصبح الآغوات الاقطاعيون ممن لا يمكن لسواد القبائل الكوردية الاستغناء عنهم، ليكونوا حلقة وصل بالموظفين الاجانب الذين عينوا عليهم. وكانت النتيجة الطبيعية هي تمكن الطبقة الارستقراطية الجديدة من تثبيت مركزها(٢٦١).

ويجب ان لاننسى الاشارة في هذا المجال الى ان نتائج المجهودات العثمانية للسيطرة على الامارات الكوردية لم تكن متساوية فيما يخص العشائر الكوردية، فلم تخضع العشائر للسيطرة العثمانية المباشرة كما أصبحت الامارات. فقد ظل الزعماء المحليون هم رؤساء العشائر كما كانوا، وظلوا يمارسون سلطاتهم على افراد عشائرهم دون ان يتأثر ذلك بالسيادة العثمانية(٢٦٢). ولعل ذلك راجع الى عدم تمكن العثمانيين من فرض حكمهم المباشر على هذه العشائر، التي كانت رحالة أو شبه رحالة غالباً. وذلك الى جانب بقاء روح الانتماء القبلي لديهم على قوته، مما كان يجعل اخضاعهم أمراً صعباً.

---

(٢٥٨) صديق الدملوجي، م. س، ص٥٠-٥١.

(٢٥٩) جەلیلی جەلیل، کوردەکانی...، ل٢٦٣.

(٢٦٠) هـ. س، ل٢٦٤-٢٦٥.

(٢٦١) سي. جي، ادموندز، م. س، ص٢٠٣.

(٢٦٢) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق...، ص١٣٤. علي سيدو الگوراني، م. س، ص١٧٤.

أما فيما يتعلق باستفادة العثمانيين من عملية القضاء على الامارات الكوردية فيمكن القول أنهم حصلوا على منافع عدة؛ فقد اصبح التدخل الاجنبي وعلى الاخص الايراني أقل من ذي قبل، وذلك حينما قضي على الامراء والزعماء الكورد الذين كانوا يلجأون مراراً الى الدول المجاورة- وخاصة ايران- طلباً للمساعدة ضد السلطات العثمانية. كما انخفضت مجهودات الولاة العسكرية التي كانت تبذل سنوياً في محاربة الامارات (المنتفضة أو المتمردة) على السيادة العثمانية[٢٦٣]. وذلك الى جانب منافع اخرى.

وأخيراً هناك نتيجة بالغة الاهمية لكوردستان يجب الاشارة اليها؛ وهي ان عملية الاخضاع الطويلة التي مارستها السلطات العثمانية ضد الامارات الكوردية، وما نتج عن ذلك من توحيد أقاليم تلك الامارات والمناطق المختلفة تحت لواء دولة واحدة (الدولة العثمانية)، قد ادى الى توحيد الاعراف والعادات وزيادة الاختلاط والتزاوج، والاتصال بين الكورد بعد القضاء على الحواجز القديمة بين تلك الامارات. وقد أدى ذلك الى نمو الشعور القومي الكوردي والتطلع نحو توحيد أجزاء كوردستان. حيث نتج عن توحيد الامارات الكوردية توحيد التطلعات الكوردية نحو التخلص من الحكم العثماني. كما ان احداث الحملات العثمانية الاخيرة والانتفاضات الكوردية التي نشبت جراء ذلك قد ادت الى ظهور بواكير الحركة التحررية الوطنية الكوردية التي عمقت جذورها في انتفاضات محمد باشا السوراني وبدرخان بك البوتاني واحمد باشا البابانى وغيرهم[٢٦٤]

(٢٦٣) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث...، ص١٣٤-١٣٥.

(٢٦٤) م. ن، ص١٣٥. تومابووا، م. س، ص١٤. جلال الطالباني، م. س، ص٧٤.

(ثبت المصادر والمراجع)

(المصادر والمراجع)

أولاً – الوثائق المنشورة:-

- د. زرار صديق توفيق:

چوار بەڵگەنامە لەبارەی سەرەتاكانی پێوەندی نێوان كوردو عوسمانیەكان، گۆڤاری (ڕامان) ژ(٦٥) تشرینی دووەمی٢٠٠١، ل ٢٤٧-٢٤٨ (تتضمن المقال اربعة رسائل تم تبادلها بين الدولة العثمانية وبعض الامراء الكورد في بداية القرن السادس العشر، ونقلها المؤلف عن: فريدون بك، مجموعة منشآت السلاطين، ج١، استانبول ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧م).

- محەمەد حەمە باقی :

میرنشینی ئەردەلان ـ بابان ـ سۆران لە بەڵگەنامەی قاجاریدا ١٧٩٩ — ١٨٤٧، هەولێر ٢٠٠٢.

- Hurewitz، J.c.

Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. 1،second pub. ، USA – 1958.

ثانياً: الكتب:

أ – باللغة التركية:

١- بالتركية العثمانية:-

- أحمد جودت:

تأريخ جودت، از ترتيب جديد، ج١،١١،١٢، مطبعة عثمانية، استانبول ١٣٠١، ١٣٠٣.

- أحمد راسم:

رسملى و خريطه لي عثمانلي تأريخي، ج٢،١، ط١، شمس مطبعه سى، استانبول ١٣٢٦ رومى - ١٣٢٨هـ، ج٤،مطبعة ابو الضياء،قسطنطينية ١٣٢٨رومي-١٣٣٠هـ .

- اسماعيل عاصم كوجك جلبي زاده:

تأريخ جلبي زاده، مطبعه عامره، استانبول ١٢٨٢هـ.

- محمد سعيد المدرس:

گلشن معارف، ج١-٢، استانبول ١٢٠٢، ١٢٥٢هـ.

- محمد ظلى بن درويش أولياجلبي:

أولياجلبي سياحتنامه سى، ج٤، اقدام مطبعه سى، استانبول ١٣١٤هـ.

- مصطفى نعيما الحلبى:

تأريخ نعيما (أو — روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين)، ج٢-٣، استانبول ١٢٨١هـ.

- هامه ر (فون هامر):

دولت عثمانيه تاريخى، مترجمى: محمد عطا، ج ٤،٥، كته ئون بدروسيان مطبعه سي، استانبول ١٣٣٠، ١٣٣١رومي، ج٩، أوقاف اسلامية مطبعه سى، دار الخلافة العلية(استانبول) ١٣٣٥.

٢- بالتركية اللاتينية:-

Uzuncarsili، Ismail Hakki:

Buyuk Osmanli Tarihi، cilt 2-3، Ankara-1995.

ب – باللغة العربية:

- أ. شاميلوف:

حول مسألة الاقطاع بين الكرد، ت: كمال مظهر أحمد، ط٢، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٨٤.

- د. ابراهيم خليل أحمد:

تأريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، جامعة الموصل ١٩٨٦.

- ابراهيم محمود :

صورة الاكراد عربياً بعد حرب الخليج، ظ١، (د.م) ١٩٩٢.

- ابن العبري (توفي:٦٨٥هـ / ١٢٨٦م):

مختصر تاريخ الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.

- احمد بن السيد زيني دحلان:

الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج٢، ط٢، المطبعة الاميرية، مكة ١٣١١هـ.

- احمد عبدالرحيم مصطفى:

في اصول التاريخ العثماني، ط١، دار الشرق، بيروت ١٩٨٢.

- احمد علي الصوفي:-

المماليك في العراق/ صحائف خطيرة من تأريخ العراق القريب ١٧٤٩-١٨٣١م، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل ١٩٥٢.

- د. أحمد عثمان ابو بكر:

اكراد الملي وابراهيم باشا، مطبعة دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٣.

- اسماعيل بك جول:

اليزيدية قديماً وحديثاً، تحقيق: د. قسطنطين زريق، المطبعة الاميركانية، بيروت ١٩٣٤.

- انور المائي:

الاكراد في بهدينان، ط١ مطبعة الحصان، الموصل ١٩٦٠.

- اوليـسفييه:

رحلة اوليفييه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦،ت:د.يوسف حبي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٨.

- جعفر الخيـاط:

صور من تأريخ العراق في العصور المظلمة، ج١، ط١، دار الكتب، بيروت ١٩٧١.

- ب.م.دانتسيغ:

الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ت: د. معروف خزندار، بيروت ١٩٨١.

- باسيل نيكيتين :

الاكـــراد، دار الروائع، بيروت ١٩٦٧.

- پى رەش :

بارزان وحركة الوعي القومي الكردي ١٨٢٦-١٩١٤، (د.م) ١٩٨٠.

- توما بووا :

لمحة عن الاكراد، ت: محمد شريف عثمان، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٣.

- جلال الطالبـاني:

كردسـتان والحركـة القوميـة الكرديـة، ط٢، دار الطليعـة للطباعـة والنـشر، بـيروت ١٩٧١.

- جمـــــــال بابان:

أصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ط٢، بغداد ١٩٨٦.

- جمال نه به ز:

الامير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بـ ((مـيرى كـوّره))، ت: فخـري سلاحشور، ط٢، اربيل ٢٠٠٣.

- جـورج كـيرك:

موجز تاريخ الشرق الاوسط، ت: عمر الاسكندري، دار الطباعة الحديثة، مصر (د.ت).
- جيمس برانت :
رحلة المستر جيمس برانت الى المنطقة الكردية عام ١٨٣٨، ت: حسين احمد الجاف، مطبعة الجاحظ، بغداد ١٩٨٩.
- جيمس بيكنغهام(١٨٧٦-١٨٥٥):
رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ت: سليم طه التكريتي، ج١، مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٩.
- جيمس بيلي فرايزر(١٧٨٣-١٨٥٦):
رحلة فرايزر الى بغداد في ١٨٣٤،ت:جعفر الخياط،ط١،مطبعة المعارف،بغداد ١٩٦٤.
- حسين حزني موكرياني:
موجز تاريخ امراء سوران، ت: محمد الملا عبدالكريم، بغداد (د. س)
- حسين ناظم بيگ:
تاريخ الامارة البابانية، ت: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس، ط١، هەولێر ٢٠٠١.
- دومنيكو لانزا:
الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لانزا، ت: القس روفائيل بيداود، ط٢، المطبعة الشرقية الحديثة، الموصل ١٩٥٣.
- رسول حاوي الكركوكلي(توفي ١٨٢٤):
دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت(د.ت).
- رؤوف كامل عقراوي :
لمحة عن التطور في كردستان عبر التاريخ، اربيل ١٩٩٤.

- زبير بلال اسماعيل:

أربيل في ادوارها التاريخية، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧١.

- ستانلي لين بول:

الدول الاسلامية، ق٢، مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق، ط٤، دمشق ١٩٧٤.

- ستيفن همسلي لونكريك:

أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط٦، بغداد ١٩٨٥.

- د. سعدي عثمان حسين:

كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر و الثامن عشر/دراسة في علاقاتها الادارية والسياسية والاقتصادية مع إيالتي بغداد والموصل، كتێبفرۆشی سۆران، كوردستان — اربيل ٢٠٠٦.

- سعيد الديوه جي:

اليزيدية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٧٣.

- سليمان صائغ الموصلي:

تأريخ الموصل، ج١، المطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣.

- سليمان فائق بك:

تأريخ بغداد، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢.

- ــــــــــــ:

تأريخ المماليك((الكوله مند)) في بغداد، ت: محمد نجيب أرمنازى، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦١.

- سى. جى. أدمونذز:

كرد وترك وعرب(سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥) ت: جرجيس فتح الله، مطبعة التايمس، بغداد ١٩٧١.

- سيار كوكب الجميل:-
حصار الموصل/ الصراع الاقليمي واندحار نادر شاه، مطبعة الجمهور، ط١، موصل ١٩٩٠.
- د. شاكر خصباك:
الاكراد/ دراسة جغرافية اثنوغرافية، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٧٢.
- ـــــــــــــ:
الكرد والمسألة الكردية، منشورات الثقافة الجديدة، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٩.
- شاكر صابر الضابط:
العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، مطابع دار البصري، بغداد ١٩٦٦.
- شرفخان البدليسي(١٥٤٣-١٥٩٨):
الشرفنامه في تأريخ الدول والامارات الكوردية، ت: ملا جميل بندي روزبياني، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٣.
- صديق الدملوجي:
امارة بهدينان (او امارة العمادية)، ط ١،مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل ١٩٥٢.
- عباس العزاوي:-
تأريخ العراق بين احتلالين، مج٤-٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٤٩-١٩٥٥.
- ـــــــــــــ:
تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (من سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م الى سنة ١٣٣٥هـ-١٩١٧م)،طبع شركة التجارة و الطباعة المحدودة،بغداد،١٩٥٨.
- ـــــــــــــ:

شهرزور — السليمانية / اللواء والمدينة، تحقيق: محمد علي القره داغي، ط۱، بغداد ۲۰۰۰.

- ــــــــــــ:

العمادية في مختلف العصور، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي وعبدالكريم فندي، ط۱، مطبعة وزارة الثقافة، هەولێر۱۹۹۸.

- عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي(۱۷۲۲-۱۸۰۵):

تأريخ بغداد(أو — حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)، ج۱، تحقيق: د. صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم، بغداد ۱۹٦۲.

- عبد الرزاق محمد اسود :

موسوعة العراق السياسية، مج ۱، ط۱، بيروت ۱۹۸٦.

- د. عبدالعزيز سليمان نوار:

تأريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج۱، دار النهضة العربية، بيروت ۱۹۷۱.

- ــــــــــــ:

تأريخ العراق الحديث(من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ۱۹٦۸.

- ــــــــــــ:-

العلاقات العراقية الايرانية/ دراسة في دبلوماسية المؤتمرات، مؤتمر ارضروم ۱۸٤۳-۱۸٤٤، دار الفكر العربي، القاهرة ۱۹۷٤.

- عبدالكريم محمود غرايبة:

تأريخ العرب الحديث، بيروت ۱۹۸٤.

- عبد الكريم المدرس :

علماؤنا في خدمة العلم والدين، ط۱، بغداد ۱۹۸۳ .

- عثمان بن سند البصري الوائلي(١٧٦٧-١٨٣٤):

٥٥ عاماً من تأريخ العراق ١١٨٨-١٢٤٢هـ (وهو مختصر كتاب: مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داوود) اختصره الشيخ امين بن حسن الحلواني حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب، القاهرة ١٩٥٢.

- عزالدين ابن الاثير(توفي ١٢٣٣م) :

الكامل في التاريخ، ج٨، بيروت ١٩٧٨.

- د. عزالدين مصطفى رسول :

احمدي خاني ١٦٥٠-١٧٠٧/شاعراً ومفكراً وفيلسوفاً ومتصوفاً، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٧٩.

- علاء موسى كاظم نورس:

العراق في العهد العثماني/ دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩.

- علي سيدو الگوراني:

من عمان الى العمادية/ أو — جولة في كوردستان الجنوبية، مطبعة دار السعادة، القاهرة ١٩٣٩.

- علي شاكر علي:

تأريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠/ دراسة في احواله السياسية، ط١، مطبعة دار الشعب، بغداد ١٩٨٤.

- د. عماد احمد الجواهري:

صراع القوى السياسية في المشرق العربي (من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني)، مطابع التعليم العالي، جامعة القادسية ١٩٩٠.

- د. عماد عبدالسلام رؤوف:

الموصل في العهد العثماني/ فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ/١٧٢٦-١٨٣٤م، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧٥.

- فيصل محمد الارحيم:

تطور العراق تحت حكم الاتحاديين(١٩٠٨-١٩١٤)، طبع بمطابع الجمهور، الموصل ١٩٧٥.

- كارستن نيبور(١٧٣٣-١٨١٥):

رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ت: د. محمود حسين الامين، بغداد ١٩٦٥.

- كارل بروكلمان :

تاريخ الشعوب الاسلامية، ت: نبيه امين فارس و منير البعلبكي، ط٩، بيروت ١٩٨١.

- كاظم حيدر :

الاكراد من هم والى اين، ط١، بيروت ١٩٥٩.

- كاوة فريق احمد آميدي:

امارة بادينان ١٧٠٠-١٨٤٢/ دراسة سياسية اجتماعية ثقافية، مؤسسة موكرياني، ط١، مطبعة خبات، دهوك ٢٠٠٠.

- كلوديوس جيمس ريج:

رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠، ت: بهاء الدين نوري، ج١، مطبعة السكك الحديدية، بغداد ١٩٥١.

- د. كمال مظهر أحمد:

دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد ١٩٨٥.

- د. ليونهارت راوولف:

رحلة المشرق (الى العراق وسوريا ولبنـان وفلسطين)، ت: سليم طـه التكـريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨.

- ماليســـــانژ:

بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ت: شكور مصطفى، مطبعة وزارة الثقافة، اربيل ١٩٩٨.

- مأمون بك بن بيكه بك:

مذكرات مأمون بك بن بيكه بـك، ت: محمـد جميـل الـروژ بيـاني وشـكور مـسته فـا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٠.

- مجموعة من المؤرخين:

العــراق فــي التــأريخ، بغــداد ١٩٨٣.

- محفوظ العباسي:

امارة بهدينان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٦٩.

- محمد امــين زكي:

خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ت: محمد علي عوني، القاهرة ١٩٦١.

- ـــــــــــــ:

مشاهير الكرد وكردستان، ت: سانحة محمدامين زكي، ج١، بغداد ١٩٤٥، ج٢، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٧.

- محمد بن احمد الحسيني المنشيء البغدادي:

رحلة المنشيء البغدادي، ت: عباس العزاوي، بغداد ١٩٤٨.

- محمد بهجة الآثري:

ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نـادر شـاه علـى العـراق في روايـة شاهد عيان، مطبعة المجمـع العلمـي العراقـي، بغـداد ١٩٨١ (اعتمـدت الرسـالة علـى

الفصل الثاني من هذا الكتاب والذي يحقق فيه المؤلف الجزء الثاني من مخطوط حديقة الزوراء في سيرة الوزراء للشيخ عبدالرحمن السويدي).

- محمد صالح القزاز:

الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف ١٩٧٠.

- محمد فريد بك المحامي:

تأريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ١٩٧٧.

- محمد المحبي:

خلاصة الآثر في اعيان القرن الحادي عشر، ج٢-٣، دار صادر، بيروت(د.ت).

- محمد وصفي ابو مغلي :

ايران / دراسة عامة، بصرة ١٩٨٥.

- محمود الدرة:

القضية الكردية (والقومية العربية في معركة العراق)، ط١، منشورات دار الطليعة، بيروت ١٩٦٣.

- معروف جياووك:

القضية الكردية، ط٢، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٣٩.

- ميجر سون:

رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان، ت: فؤاد جميل، ج٢، ط١، بغداد١٩٧١.

- مير بصري:

اعلام الكرد، ط١، لندن – قبرص ١٩٩١.

- مينورسكي :

الاكراد / ملاحظات وانطباعات، ت: معروف خزندار، بغداد ١٩٦٨.

- ن.أ. خالفين:

الصراع على كردستان، ت: د. أحمد عثمان ابوبكر، بغداد ١٩٦٩.
- نظمي زاده مرتضى افندي(توفي ١٧٢٤):
كلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف ١٩٧١.
- نيقولاي ايفانوف:
الفتح العثماني للاقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ت: يونس عطا الله، ط١، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٨.
- هادي رشيد الجاوشلي :
تراث اربيل التأريخي، الموصل ١٩٨٥.
- هاملتون جيب وهارولد بوين:
المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ج١، ٢ق، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق١٩٩٧.
- ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى:
زبدة الاثار الجلية فى الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الاداب، النجف ١٩٧٤.
- ــــــــــــــــ:-
غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات البصري، مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٨.
- ــــــــــــــــ:-
غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة أم الربيعين، الموصل ١٩٤٠.
- ــــــــــــــــ:-
منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل ١٩٥٥.
- يعقوب سركيس:

مباحث عراقية(في الجغرافية والتأريخ والآثار وخطط بغداد... الخ)، ق١، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٤٨.

- د. يوسف عز الدين:

داود باشا ونهاية المماليك في العراق، ط٢، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٦.

هـ - باللغة الفارسية:-

- اسكندر بيك تركمان:

تاريخ عالم آراى عباسى، تصحيح وطبع وتنقيح: ميرزا محمود تاجركتابفروشى، تبريز ١٣١٤هـ..

- جان مالكم:

تأريخ ايران، ت: علي رضا الشيرازى، هندستان ١٣٢٣هـ.

- جوزيف هامر بوركشتال:

تأريخ امبراطوري عثماني، ت: ميرزا زكي علي آبادى، انتشارات زرين، تهران، جلد(٤) بهار١٣٦٨ش.

- راجر سيورى:

ايران عصر صفوي، ت: كامبيز عزيزى، چاپ أول. تهران ١٣٧٢ ش.

- عبدالرزاق بيك دنبلي:

تجربة الاحرار وتسلية الابرار، تصحيح: حسن قاضي طباطبائي، انتشارات مؤسسة تاريخ و فرهنك ايران / دانشگاه تبريز، جاپخانه شفق، تبريز ١٣٤٩ش.

- عبدالقادر ابن رستم باباني:

سير الاكراد، بكوشش: محمد رئوف توكلي، چ ١، تهران ١٣٦٦ش .

- كندال وعصمت شريف وانلي ومصطفى نازدار:

كـردها، ت: ابـراهيم يونسي، چ ٢، تهـران ١٣٧٢ .

- گروه از مستشرقين :

كرد در دائره معارف اسلام، ت: اسماعيل فتاح قاضي، چ ١، ارومية ١٣٦٧ .

- لارنس لاكهارت :

انقراض سلسلة صفوية، ت: اسماعيل دولتشاهي، چ ٢، انتشارات علمي وفرهنگى، تهران ١٣٨٠.
- ميرزا محمد صادق موسوي نامي اصفهاني:
تاريخ گيتى گشا (در تاريخ خاندان زند)، تصحيح: سعيد نفيسى، كتابفروش و چاپخانه اقبال، طهران ١٣١٧ ش.
- ميرزا مهدى خان استرا بادى:
دره نادره، تصحيح: ميرزا عبدالوهاب، شيراز ١٢٧١هـ.

د – باللغة الكوردية:-

- ئارشاك سافراستيان :
مێژووی کورد وکوردستان، وتەعبدوڵلا شالی، سلێمانی ١٩٦٩.
- ئەحمەدی خانی:
مەم و زین، چ٣، هەولێر ١٩٦٨.
- ئەولیاچەلەبی:
کورد لە مێژووی دراوسێکانیدا (یان – سیاحەتنامەی ئەولیاچەلەبی) و: ناکام، بغداد ١٩٨٨.
- بلەج شێرگۆ:
کێشەی مێژینەو ئێستای کورد، و: محمد حمە باقی، چ ٣، کوردستانی عێراق ١٩٩٢.
- پ.ی.ئەڤیریانۆڤ :
کورد لەجەنگی ڕوسیا لەگەل ئێران و تورکیادا، و: ئەفراسیاو هەورامی، سلێمانی ٢٠٠٤.
- تۆفیق قەفتان:
مێژووی حوکمدارانی بابان لە قەلاچوالان تا دروستکردنی شاری سولەیمانی ١٠٨٠-١١٩٩ك/ ١٦٦٩-١٧٨٤ز، چاپخانەی سلمان الاعظمی، بەغدا ١٩٦٩.
- د.جەبار قادر:
چەند بابەتێکی مێژووی کورد، دەزگای سەردەم، سلێمانی ١٩٩٩.
- د. جەلیلی جەلیل:
ڕاپەڕینی کوردەکان ساڵی ١٨٨٠، و: د.کاوس قەفتان، بەغدا ١٩٨٧.
- ـــــــــــــ:
کوردەکانی ئیمپراتۆریەتی عوسمانی، و: د. کاوس قەفتان، بەغدا ١٩٨٧.
- جمال بابان:
سلێمانی شارە گەشاوەکەم، ب١(سلێمانی لە ڕۆژی بنیاتنانیەوە تاکۆتایی دەسەلاتی بابانەکان)، دار الحریە للطباعة، بغداد ١٩٩٢.

- جمـــال نەبـــەز:
بیری نەتەوەیی کوردی نەبیری قەومییەتی ڕۆژهەلاتی و نەبیری ناسیونالیزمی ڕۆژئــاوایی یــە، ستۆکهۆلم/ سوید ١٩٨٤.
- حسین حزنی موکریانی:
مێژووی کوردو نادر شا لە خاکی ئێرانا، پەرتی زاری کرمانجی، ڕەواندوز ١٩٣٤.
- ڕەفــیق حلمــی:
یادداشت / کوردستانی عـیراق و شۆڕشــەکانی شـێخ مــەحمودی حەفیــد، ب١،چ٢، هــەولێر ١٩٨٨.
- ڕەشید یاسەمی :
مێژووی نەژاد وپەیوەستەگی کورد، و: قانعی هۆنەر و کەریم زەنـد، چـاپخانەی کامــەران، سلێمانی ١٩٦٩.
- سالح قەفتان:
مێژووی گەلی کورد لە کۆنەوە تا ئەمڕۆ، بەغدا ١٩٦٩.
- سالح محمدأمین:
کوردو عەجەم (مێژووی سیاسی کوردەکانی ئێران)، چ١، (ب.ش) ١٩٩٢.
- سەعدوللا شێخانی و خدری سلێمان:
شێخان و شێخان بەگی، بەغدا ١٩٨٨.
- د. شەمسی محەمەد ئیسکەندەر:
مێژووی کورد لەسەدەی ١٦ هەمدا، و: شــوکور مــستەفا، چ١، چـاپخانەی وەزارەتـی ڕۆشـنبیری، هەولێر ١٩٨٨.
- شەمعی :
زەیلی شەرەفنامە/مێژووی حاکمانی ئەگیل و پالو (ئەم دانراوە مێــژووی ئــەم دوو میرنــشینە لەدوای شەرەفنامەوە تەواو دەکات تا ساڵی ١٦٨٧ز کە ســاڵی نووســینیتی)، بلاَوکراوەتــەوە لە: ئەنوەر سولتانی(ئامادەکردن) :دوو زەیلی شەرەفنامەی بتلیـسی،بنکەی ژیـن، سـلێمانی ٢٠٠٥.
- طاهیر أحمد حوێزی:
مێژووی کۆیە یا کۆیسنجق، ب١، چـاپخانەی الوفـاء، بەغـدا ١٩٦٢، ب٢: ١، چـاپخانەی نـیر، بەغدا ١٩٨٤.
- د. عبدالرحمن قاسملو:

کوردستان وکورد، و: عبدالله حسن زادە، لە بلاوکراوەکانی بنکەی پێشەوا، (ب.ش) ١٩٧٣.

- عەلائەدین سجادی:

شۆڕشەکانی کورد وە کورد و کۆماری عیراق،چاپخانەی مەعاریف،بەغدا ١٩٥٩.

- فەرید ئەسەسەرد :

گەشەکردنی سەرمایەداری لەکوردستاندا و زەمینەی ئابووریانەی بزووتنەوەی نەتەوایەتی، چ١،(ب.ش) ١٩٨٦.

- فەیسەل دەباغ (وەرگێڕان):

کوردستان لەچاپکراوە عوسمانلییەکاندا، دەزگای ئاراس، چ١، هەولێر ٢٠٠٤.

- د. کاوس قەفتان:

چەند لێکۆڵینەوەیەك لە مێژووی بابان سۆران بۆتان، چاپخانەی الحوادث، بەغدا ١٩٨٥.

- کریس کۆچیرا:

مێژووی کورد لەسەدەی ٢٠-١٩ دا، و: محمد ریانی، چ١، چاپخانەی کارون، تاران ١٣٦٩ هەتاوی .

- کەمال مەزهەر ئەحمەد:

چەند لاپەڕەیەك لە مێژووی گەلی کورد، ب١، چاپخانەی الادیب البغدادیە، بەغدا ١٩٨٥.

- ـــــــــــــــ:

مێژوو/ کورتە باسێکی زانستی مێژوو و کورد و مێژوو،بەغدا،١٩٨٣.

- م.س. لازاریف:

کێشەی کورد ١٨٩٦-١٩١٧، و: د. کاوس قەفتان، ب١، مطبعة الجاحظ، بغداد ١٩٨٩.

- ماهشەر فخانم مەستوورەی کوردستانی:

مێژووی ئەردەلان، و: د. حسن جاف و شکور مستەفا، چ١، بەغدا ١٩٨٩.

- محەمەد ئیبراهیم ئەردەلانی:

زەیلی شەرەفنامە/مێژووی ئەردەلان(١٥٩٠-١٨١٠) بلاوکراوەتەوە لە: ئەنوەر سولتانی(ئامادەکردن) :دوو ذەیلی شەرەفنامەی بتلیسی،بنکەی ژین، سلێمانی ٢٠٠٥.

- محمد امین زکی :

تاریخی وولاتی سلێمانی، بەغدا ١٩٣٩.

- ـــــــــــــــ:

خلاصەیەکی تاریخی کورد و کوردستان، ب۲، چ۱، بەغدا ۱۹۳۷ (اعید اصداره في ایران من قبل :انتشارات سیدیان ـ مهاباد).
- محەمەد بایراقدار:
ئیدریسی بدلیسی، و: شوکور مستەفا، چ۱، کوردستان ۱۹۹۹.
- محمد جمیل رۆژبەیانی:
فەرمانڕەوایی موکریان، دەزگای ڕۆشنبیری و بلاوکردنەوەی کوردی، بەغدا ۱۹۹۲.
- محمود احمد محمد:
مێژووی هۆزی بلباس لە کۆنەوە تا ئەمڕۆ، ب۱، چاپخانەی، تاڤگە، سلێمانی ۱۹۸۹.
- محمود مەلا عزت:
دیبلۆماسیەتی بزووتنەوەی کوردایەتی، چاپخانە ڕاپەڕین، سلێمانی ۱۹۷۳.
- مەردۆخی کوردستانی :
سەرەتایەك لەمێژووی میللەتی کورد : محمد تۆفیق ووردی، ب۱، بەغدا ۱۹۵۷.
- د.نوری دەرسیمی:
دەرسیم لە مێژووی کوردستاندا، و: د.ئەحمەد فەتاح دزەیی،چ۱،دەزگای موکریانی،هەولێر ۲۰۰۱.

هـ - باللغة الانكليزية:

- Ainsworth w.f.:
Travels and researches in Asia minor ،Mesopotamia،Chaldea and Armenia، vol.1،3،London 1842.
- Arafa، Hassan:
The Kurds/An Historical and Political study، Oxford Unv. Press، London 1966.
- Creasy، Edward S.:
History of the Ottoman Turks، London 1878، new published (Khayats، Beirut 1961).
- Fraser،J.B.:
Awinters journey (TATAR)from Constantinapole to Tehran ،vol.1،Arno press،New york 1973.

- Holt، P.M. and others:

The Cambridge History of Islam، Vol.1A، Cambridge univ. press،1970.

- Imber ،Colin :

The Ottoman Empire 1300-1650 \The Structure of Power ،1st pub. Palgrave Macmillan،2002.

- Kinnane، Derk:

The Kurds and Kurdistan، 2ed pub.، Oxford univ. press، London 1970.

- Millingen ،Fredrik:

Wild Live among the koords، London، 1870.

- Parry J.and others:

A History of the Ottoman Empir to 1730،first pub. Cambridge univ. press،1976.

- Pitcher،D.E :

A Historical Geography of the Ottoman Empire ،London 1972.

- Shaw، Stanford J.:

History of the Ottoman Empire and Modern Turkey، Vol.1، 7th pub.، Cambridge univ. press، Britain 1988.

ثالثاً: رسائل جامعية غير منشورة:

أ- باللغة العربية:

- صلاح محمد سليم هروري:

اماره بوتان فى عهد الامير بدرخان ١٨٢١- ١٨٤٧/ دراسه تاريخيه سياسيه، رساله ماجستير، كليه الاداب، جامعه صلاح الدين – اربيل، ١٩٩٧.

- علي شاكر علي:

ولاية الموصل في القرن السادس عشر/ دراسة في أوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب جامعة الموصل/ ١٩٩٢.

ب- باللغة الكوردية:-

- نعمت شههاب حاجى:

كوردستانى رۆژهەلات لەسەردەمى فەرمانڕەوايى زەندييەكاندا ١٧٥١-١٧٩٤،نامەى ماستەر،كۆليژى ئاداب، زانكۆى سەلاحەددين –هەولێر،٢٠٠٦.

رابعاً: الموسوعات والاطالس:

أ- باللغة العربية:-

- خيرالدين الزركلي :

الاعـلام، مج٣، ط٤، بـيروت ١٩٧٩ .

- مجموعة من المستشرقين:

دائرة المعارف الاسلامية، (الترجمة العربية) اعداد وتحرير: ابراهيم زكي وأحمد الشنتناوي و د. عبدالحميد يونس، القاهرة(د.ت)، المواد التالية:-

١- ادريس البتليسي (المقال الاول)، كليمان هيوار، مج٦.

٢- ادريس البتليسي (المقال الثاني)،ميناج، مج٦

٣- اسماعيل الصفوي، هيوار،مج٣.

٤- آق قوينلي، بارتولد، مج٤.

٥- ايالة، خليل اينالجق، مج٥.

٦- بابان، س.هـ. لونكريك، مج٥.

٧- بايبورد، خورشيد، مج٦.

٨- جغالة زادة، گيس، مج١٢.

- مديرية الآثار العامة:

اطلس المواقع الآثرية في العراق، بغداد ١٩٨٣.

- ------------:

المنجد في الاعلام، ط١٢، لبنان ١٩٨٢، مواد مختلفة .

ب- باللغة الانكليزية:

- The Cartographic Department of the Oxford univ.press:
  The new Oxford Atlas ،London،1975.
- The Encyclopaedia of Islam; New Edition،Vol.5، Leiden 1980،Art (Kirkuk).
- The Times newspaper limited(Produced and Published):
  The Times Atlas of the world ، 6th edition ،London ،1974.
- The New Encyclopaedia Britanica; 15th pub، U.S.A. 1986، vol.7 micropaedia، Art (Kurd).

خامساً: البحوث والمقالات:

أ – باللغة التركية:-

- Sahillioglu، Halil:
  Osmanli Doneminde Irak'in Idari Taksimati، Ceviren: Mustafa Ozturk، Belleten، Ankara، cilt. Iiv، sayi:211،1990.

ب – باللغة العربية:

- زبير بلال اسماعيل :
  محمد الخطي ونهاية الامارة السورانية، مجلة (الحكم الذاتي) ع(٤) س(٧) اربيل ١٩٨٣.
- سهيل قاشا:
  حملات نادر شاه على العراق في وثائق سريانية/ ج٢، مجلة (كاروان) ع(٧٥) ايار ١٩٨٩.
- د. سيار كوكب علي الجميل:
  استراتيجية العراق واثرها في نشوء الصراع العثماني الايراني، مجلة (آفاق عربية) ع(١٠) ١٩٨١.
- ________________:

دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ وبدايات الصراع العثماني – الايراني (الصفوي) في عهد السلطان سليم الاول/ ٢ق، مجلة (بين النهرين) ع (٣٠-٣١) س (٨)، الموصل ١٩٨٠.

- عبدالجبار العمر:

كتاب (حروب الايرانيين في العراق، تأليف سليمان فائق، تعريب: محمد خلوصي بن محمد سعيد الناصري التكريتي)، مجلة (آفاق عربية) ع (٣-٤) سنة ١٩٨٠.

- د. عبدالفتاح علي يحيى:

ادريس البتليسي / دوره واثره في التاريخ الكردي، مجلة (كاروان) ع(٢٤) اربيل، ١٩٨٤.

- ـــــــــــــــ(ترجمة وتقديم):

الكورد وكوردستان في رسائل الفيلد مارشال هيلموت فون كارل مولتكه، مجلة (نووسه ری كورد/ الاديب الكردي) ع(٤) بغداد، تموز ١٩٩٢.

- ـــــــــــــــ:

الملا يحيى المزوري وسقوط امارة بادينان/ ق٣، مجلة (كاروان) ع(٤٣)اربيل، نيسان ١٩٨٦.

- ـــــــــــــــ:

الهجوم العثماني وسقوط امارة سوران، ق٣، مجلة (كاروان) ع(٥٤) اربيل١٩٨٧.

- كه ريم شاره زا:

اربيل وامارة سوران في كتاب تراث اربيل التاريخي / للسيد هادي رشيد الجاوشلي، مجلة (رۆژى كوردستان/شمس كردستان) ع(٧٨) اربيل ١٩٨٩.

- ميريلا غاليتي:

التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، ت: د.يوسف حبي، (گۆڤارى كۆڕى زانيارى عێراق – دەستەی كورد) مج(٨)١٩٨١.

- نرسيس صائغيان:

صفحة منسية من تأريخ نادر شاه، مجلة (لغة العرب)ج(٥)س(٧) بغداد ١٩٢٩.

ج – باللغة الكوردية:

- د. حەسەن جاف:

ئەخشى هۆزى جاف لە ساى چەند سەرۆكێكيەوە لە مێژووى كورددا،(گۆڤارى كۆڕى زانيارى عێراق — دەستەى كورد) بەرگى(٢١-٢٢) بەغدا ١٩٩٠.

- شوكور مستەفا:

كوردستان لە نيگاى چەند گەڕيدەيەكى ڕۆژئاواييەوە، (گۆڤارى كۆڕى زانيارى عێراق — دەستەى كورد) بەرگى(٨) بەغد ١٩٨١.

- عبدالرحمن بك بدرخان باشا :

حكامين جزيره ابن عمر، ڕۆژنامەى (كردستان) ژ(٨-١٤) س(١٨٩٨-١٩٠٠) لە : د.كەمال فواد،كوردستان / يەكەمين ڕۆژنامەى كوردى، بەغدا ١٩٧٢.

- فازيل كەريم ئەحمەد:

هۆى دروست نەبوونى دەوڵەتێكى سەرانسەرى لە كوردستاندا، (ڕووناكبيرى)ژ(٢) ستۆكهۆڵم(سويد) ١٩٩٢.

الملاحق

ملحق رقم (١)

النص المترجم لفرمان السلطان سليم الى ادريس البدليسي :

((عمدة الافاضل وقدوة ارباب الفضائل، والسالك مسالك الطريقة، والهادي الى منهاج الشريعة، كشاف المشكلات الدينية وحلال المعضلات اليقينية، خلاصة الماء والطين، مقرب الملوك والسلاطين، برهان اهل التوحيد والتقديس (مولانا حكيم الدين ادريس) أدام الله فضائله :

ليعلم عند وصول الفرمان العالي الهمايوني ان كتابكم وصل الان الى سدتي السعيدة مفيداً بشرى تسببكم في فتح ولاية دياربكر كلها، على مقتضى حسن ديانتك وامانتك وفرط صداقتك واستقامتك كما هو المأمول منك بيض الله وجهك . وان شاء الله الاعز، تكون سبباً فعالاً في فتح سائر الولايات، وانواع عناياتي العلية الملكية متوجهة اليك ومبذولة في حقك . وقد ارسل مع مخصاتكم الى اخر شهر شوال المبارك الفا فلوري (جنيه ذهب) وفروة سمور واخرى رشق ومربعان (ثوبان) من الصوف واثنان من الجوخ وكذا كرك من الصوف المبطن بفروة سمور واخر مبطن بفروة رشق، وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ افرنجي . فلدى وصولها اليك (انشاء الله الاكرم) تتسلمها بالصحة والسلامة وتصرفها غي نغفاتك . ودمت متمتعاً بما انت جدير به من انواع تعطفاتي الملكية الجليلة تقديراً لخدماتك، ومكافأةً لاستقامتك واخلاصك . وبما ان الامراء الذين اتوا من دياربكر وتابعوك معلومة لديك احوالهم والقابهم ومفادير مايخصص لهم من سناجق في تلك الولاية، وبالنسبة الى صداقتهم واخلاصهم واختصاصهم وخدماتهم فقد ارسلت مراسيم ملكية شريفة على البياض معنون اعلاها بعلامتي الملكية الشريفة الى افتخار الامراء العظام، ظهير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، صاحب المجد والاحتشام، المؤيد بانواع تأييدات الصمد، امير امراء دياربكر(محمد) دام اقباله . فينبغي ان تكتبوا البراءات السلطانية عن احوال السناجق التي خصصت لكل امير وكيفية توجيهها، والقاب هؤلاء الامراء ومقادير اقطاعاتهم على الاسلوب المناسب . مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلاً ومقدار

اقطاعاتهم في دفتر خاص، وارساله الى سدتي السعيدة ليحفظ هنا، وليكون كل شيءمفهوماً ومعلوما . مع مذكرة تفصيلية عن السناجق التي وجهت الى الامراء وكيفية توجيهها ووجه كتابة القابهم ونوع الانعام، بشرط ان لايخل هذا التوزيع والتخصيص بالاصل بحيث لايحتمل ان يؤدي الى تزلزل مابينهم من اسس الارتباط . وارسلت ايضاً اوراق بيضاء متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية لاجل ارسالها الى الامراء، يلزم ارسال كتب استمالتهم، فتحرر كتب الاستمالة على الصورة المناسبة وترسل اليهم مع الانعامات الملكية، فتدون صور تلك البراءات السلطانية وكيفية انعاماتهم ووجوه مراعاتهم في دفتر خاص، وتبعثون بها الى سدتي التي هي ملجأ العالم، ليكون كل شيء معلوماً هنا على التفصيل .وان المهام السلطانية في هذا الجانب قد تمت حسب رغبتي الشريفة، فان شاء الله الاعز سيعطف عنان عزيمتي الى ذلك الجانب . وثقوا ان عطفي السامي على هؤلاء الامراء اكبر مما يأملون .

هذا وقد اوفد الان اسماعيل الضلالي ابن الشيخ الاردبيلي المدعوين حسين بك وبهرام اغا من رجاله بسفارة الى سدتي السعيدة يعرض بواسطته تقريراً وتحريراً انواع الخضوع والطاعة ويتضرع ويلتمس بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلام قائلاً انه يقبل جميع ما اطلبه وابتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولاشرط .ولكن لايجوز الاعتماد على قوله وخلوص نيته، فلذا امرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة (ديمتوقة) وحاشيتهما في قلعة (كليد البحر) . فيجب عليك ان تقوم بدورك في اتخاذ احسن التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور . لتكون ذا جد وسعي في مهمات دولتي ومصالحها الابدية مديدة الايام .

وفي الختام ارجو ان تظهر منك ضروب من الآثار الجليلة والمآثر الحميدة، اعلم هذا واعتمد على علامتي الشريفة . تحريراً في اواسط شوال المبارك من سنة احدى وعشرون وتسع مئة الهجرية بمقام دار الخلافة ادرنة .))[1]

---

(١) محمد امين زكي، خلاصة ....، ص١٧٤ ـ ١٧٥، وحول النص الاصلي للفرمان بلغتها التركية ينظر نفس المصدر، ص١٧٢ ـ ١٧٤ .

ملحق رقم (٢)

نص رسالة السلطان بايزيد الثاني الى الاميرالكوردي حاجي رستم بك:

((أمير معظم كبير مفخم ذوي القدر الأتم والمجد الاشم، ملكي الصفات فلكي الذات حارس محاسن الشيم صاحب الطبل والعلم، المختص بعناية باري النسم وأجر حاجي رستم بيك مكرم دامت معاليه سلام عاطفت پيام كه أز عنايت شاهى فايض گردد مطالعه فرمايند وبدانند كه مدت مديد كه خصومت جماعت قزلباش به أرباب دولت بايندريه به چه أنجاميد . على ماهو الواقع معلوم نواب كامياب ذوى الاقتدار و معروض عتبه عليه فلك مقدار وحضرت بزرگوار مانشد . حاليًا براي إستعلام أحوال دارنده كتاب مستطاب قدوة الأقران كيوان چاوش بدان طرف فرستاده شد و أو لكاى جاى شما متصل آن نواحى أست وبحقيقت حال تمام معلوم شماست . چون دارندهء مكتوب شريف به شرف ملاقات مشرف گردد آز أخبار صادقه و وقايع آن جانب هرچه پيش شما تحقيق پذيرفته أست به مشار إليه أنهاء نواب كامياب داريد وأين معنى راسبب عنايت شاهانهء ما دانيد و هرچه معلوم نموده باشند أصلا كم نكرده شيمهء صداقت را به ظهور آوريد .تحريرًا في أول الربيعين سنة ثمان و تسعمايه))

ملحق رقم (٣)

نص جواب الامير حاجي رستم بك الى السلطان بايزيد الثاني:

((بر رای عالم ارای گماشتگان درگاه گیتی پناه اعلی الله شأن صاحبه معروض می گردد که فرمان قضا جریان نفذه الله الملك المنان باعمدة الاماپل والاقران کیوان چاوش زید قدره چون طائر اوج دولت وحمامه برج سعادت شرف نزول یافت و از ورود مسعودش قدر ومنزلت افزوده به رسم شکر گزاری گفت: بیت:

آفتاب أز خاك بر دارد به لطف أز دره را

هیچ نقصانی نباشد جز کمال از آفتاب

والحمدلله الذي هدانا لهذا

وآنچه أز إستفسار أحوال قزلباش مذهب خراش لعنهم الله و دمرهم تنبيه فرموده بودند، قصهء آن طائفه باغيهء حالا بر إين منوال أست که به الوندخان گزند رسانيده و أز آن جا به عراق عجم رفته، مرادخان را منهزم ومنكسر ساخته و در عراق عرب کار پرناکبان را پرداخته باچرا کسه مصر مصالحه واتحاد نموده وحالا عزيمت دياربكر ومرعش داشته، أحوال ايران أز بيداد إيشان پريشان و اکثر بلاد و نواحي أز ظلم وحيفشان ويران گشته، أميد أز فضل يزدان است که قلع وقمع گروه باغيان به گرز وسنان غازيان و تيغ خون فشان مجاهدين خداوندگار اسلاميان وشهنشاه زمان ميسر ومقدر گردد ان شاءالله تعالى، باقی فرمان برأمر عالى مفوض أست))

ملحق رقم (٤)

نص الفتح نامه التي ارسلها السلطان سليم الاول الى امراء الكورد وزعماء المشرق:

((مفاخر الأمراء الكرام وأعاظم الكبراء الفخام المختصون بعواطف الله الملك العلام ديار شرق بكلرى دام أقبالهم و ختم بالخير أمالهم وساير أمراء اكراد وعشاير وقبايل سردار لرى اولان مبارزان پاک نهاد وملكلر وأيل كتخدالرى وأيش ارلرى أصلح الله شأنهم توقيع رفيع همايون وأصل أوليجق معلوم أوله هر بريكزه كه اشبوه مبارك رجب المرجبک إيكنجى كونى يوم الاربعا ضحوه كبرى سنده أردبيل او غلى دينن اسماعيل بى دين ومفسد بد آيين بنمله مقابله إيتديكى كبى بعناية الله و توفيقه طرفة العين ده منهزم ومغلوب ومنكسر ومنكوب اولوب فرار أختيار إيتد كده نه جانبه كتديكى معلوم أو لمديغى أجلدن سزلردن عقيدهء پاكله دركاه سعادت دستگاهمه أولان إخلاص وعبوديت ظهور نيک فرصتى فوت أولنما مغيچون بروجه عموم بوحكم جهان مطاع واجب الاتباعمى كوندروب بيورد مكة فرهم قلما جر يانم هرقنغيكزه وصول بولور سه صورت شريفک قراطيس متعدده به ياز ديروب بربريكزة أولاشديروب سرخ سر مزبور نه جانبه واردبغک وداغينه نامرغوبى نه أيدوكين وبالفعل قنده لغن وصحت وسقامتن و قاچ يرده جراحتى أولديغک و بود ونابود لغن على التفصيل يا زوب اعلام إيليه سز كة انواع عنايت لريمه مستحق وسزاوار أوله سرشويله بيله سز. تحريرا فى أوائل شهرالله الأصم رجب المرجب سنه عشرين و تسعمايه بيورت چالديران))

ملحق رقم (5)

نص رسالة السلطان سليم الاول الى الامير شاه رستم اللوري:

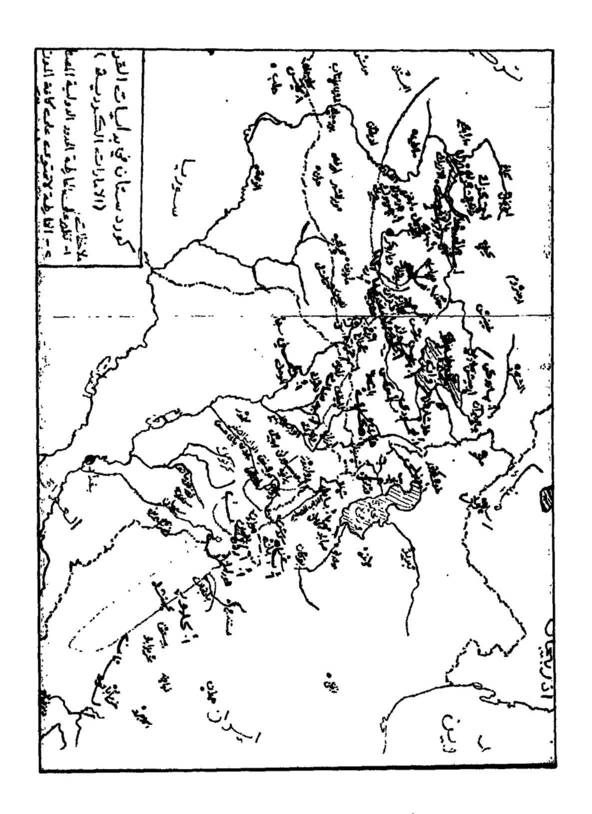
((جناب أمارت مآب أيالت نصاب دولت إنتساب سعادت اكتساب ملكى الجلال ملكي الخصال، المؤيد بتأييد الله الملك المتعال، أمير مكرم كبير مفخم ذو القدر الاتم والفخر الأمم و الفخر الأمم اشاه رستم بيك دامت معاليه به عواطف و مراحم پادشاهانه سمت اختصاص داشته بداند كه پيشواى ملاعين و سرلشكر جنود شياطين، إسماعيل بى دين، در روز چهار شنبه أولين ماه رجب المرجب، بعد أز ضحوهء كبرى عساكر نصرت مآثر مارا مقابل آمد، بسى كوششهاى بى فايده نمود. عاقبت نسيم فتح و فيروزى أز مهب سر عزيز الحق يعلو ولا يعلى اعلام ظفر اعلام مارا طلاوهء خفوق و إهتزاز داد. أسماعيل مخذول أز شمشير تيز لشكر ظفر رهبر رو به گريز نهاد. دليران لشكر در عقبش رفتند و علمهايش معكوس و منكوس و سردارانش مقيد و محبوس پيش الويه نصرت كار خصم شكار در آوردند. أسيران همه هدف تبر و طعمة شمشير گرديدند.

الحمدلله كه اعداى دين و دولت مقهور و اولياى حضرت مبتهج و مسرور گشت، مقصود أز رفع آن ملحد وقلع آن مفسد غير أز اعلاء كلمة الله وتنظيم أمور جماهير ملك و ملت چيزى ديگرنيست، عنايت و شفقت ما در بارهء رعايا كة ودايع خالق براياائد فوق الحد و العد است. هرمؤمن و موحد را أهانت آن مخذول واجب أست ولازم . يا يد كه شمانيز أز سد و منع زاد و عناد و قتل كسانش هرچه در وسع و مكنت داريد به ظهور آريد، أين خدمت پسنديده را موجب عنايات شاهى و مستوجب التفات پادشاهى دانيد. تحريراً في التأريخ المذكور)).[٢]

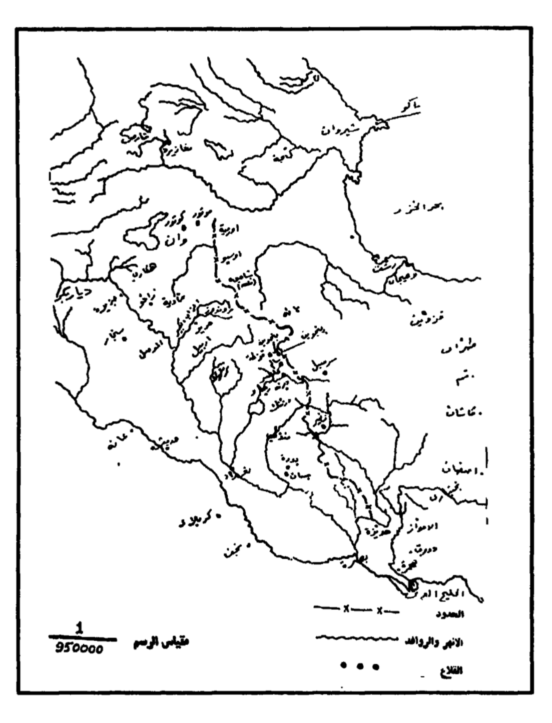
٢- مصدر الملاحق الاربعة الاخيرة هي:

فريدون بك، مجموعة منشآت السلاطين، ج١، استانبول ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧م، نقلاً عن: د. زرار صديق توفيق، چوار بەڵگەنامە لەبارەی سەرەتاكانی پێوەندی نێوان كوردو عوسمانیەكان، گۆڤاری (ڕامان) ژ(٦٥) تشرينی دووەمی٢٠٠١، ل ٢٤٧-٢٤٨.

الخرائط والصور



كوردستان في بدايات القرن السادس عشر



تخطيط الحدود العثمانية – الإيرانية وفق معاهدة زهاب عام ١٦٣٩م

المصدر : علي شاكر، تأريخ العراق في العهد العثماني.



السلطان سليم الاول



الشاه اسماعيل الاول الصفوي



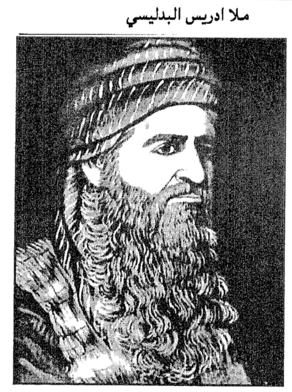
معركة جالديران ١٥١٤



ملا ادريس البدليسي



السلطان سليمان القانوني

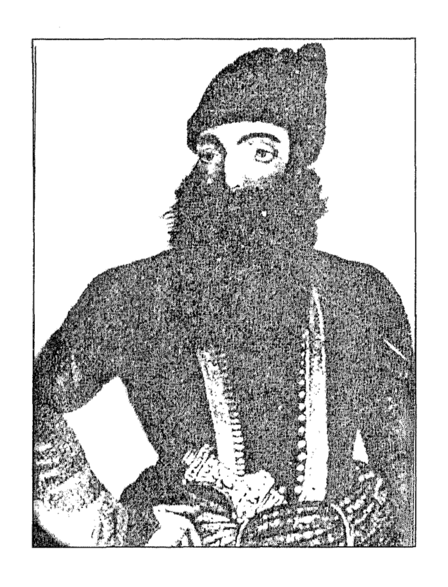


محمد باشا السوراني

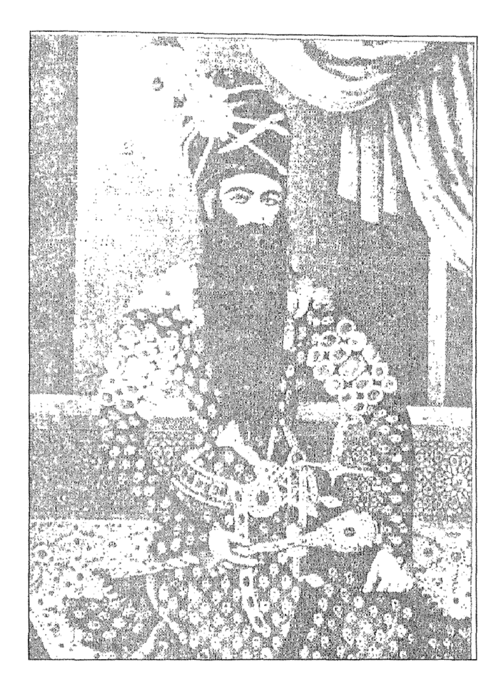
مدفع اسطة رجب



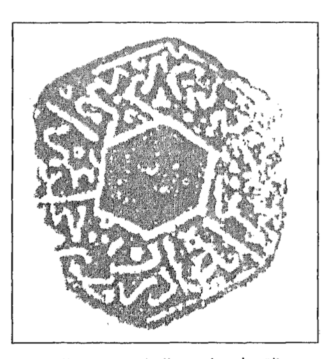
الامير عبدالرحمن باشا البابانى



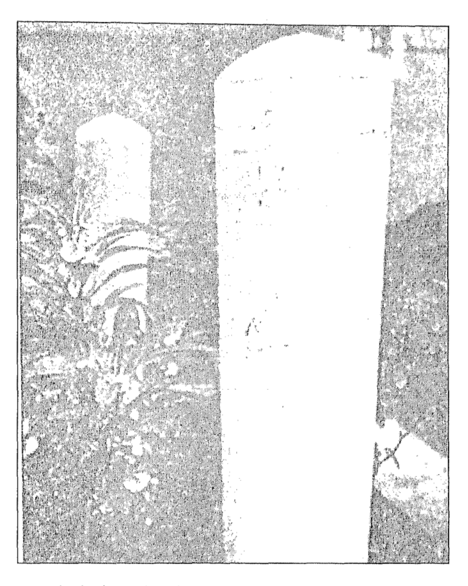
عباس میرزا (۱۷۸۹-۱۸۳۳)



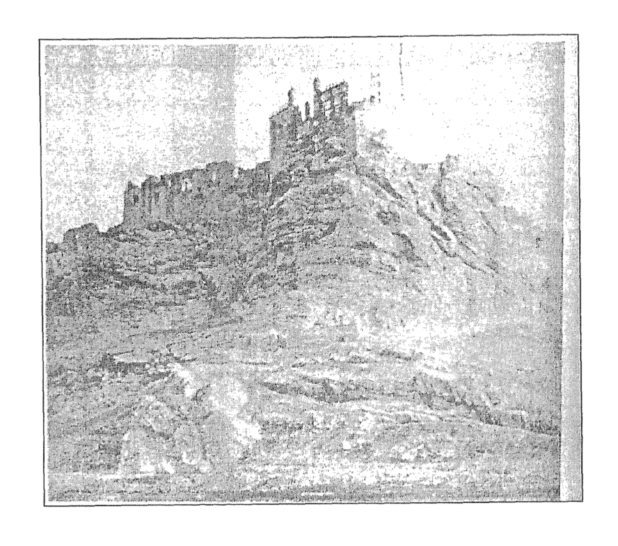
فتح علي شاه (١٧٩٨-١٨٣٤ ز)



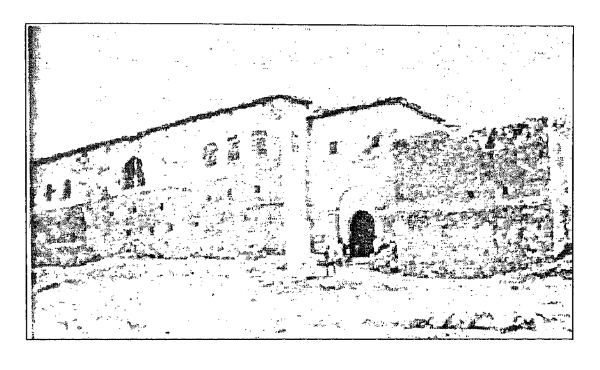
رسالة بخط يد ادريس البدليسي وختمه الشخصي



مرقد ادريس البدليسي في مقبرة ابي ايوب الانصاري في استانبول



قلعة محمودي (مركز امارة محمودي)



قصر الامارة في مدينة آميدي عام ١٨٩٥



سوق مدينة آميدي عام ١٨٩٥

Kurdistan and the Ottoman Empire

A study in
Ottoman hegemony policy development in Kurdistan
1514-1851

Dr.Saadi Uthman Haruti

Assistant professor
Salahadden university- Arbil

Abstract

This book consider political development in Kurdistan (The zone that come under the influence of the Ottoman empire) between 1514-1851,emphasizing the changes in politics which Kurdistan had witnessed under the influence of the Ottomans ,and the types of the politics they pursued towards the country in order to subdue and intensify their actual hegemony on it. And at the same time the study takes up the subject of the continuation and the development that the legitimate Kurdish political power and entities had witnessed .and which are represented by the factual existence of the plethora of Kurdish hereditary emirates in Kurdistan up to the middle of 19th century. Also its internal political development embodied in the crystallization of the Kurdish nationalist consciousness then conducting uprisings of clear nationalist and patriotic aims, without paying much attention to other economical and social aspects save to the degree that they are related to its political development and political objectives.

The subject of the study is distributed on five chapters; the **first chapter** is devoted to the political situation in Kurdistan before the extension of the ottoman influence to it. It also determines and draws its political maps, it was standing at the inception of the 16th century. In it the more important of the Kurdish principalities are sited and located, then the chapter demonstrates the Safavids expansion in Kurdistan together with an expansion of their policy vis-à-vis the Kurdish emirates, and which was characterized with mistrust. Then it takes up the roots of the Ottoman –Safavid rivalry and struggle on Kurdistan which led to the decisive battle of Chaldiran in 1514, and as a result of which the Ottomans come out victorious with the assistance of the Kurdish people. Then it defines the consequences resulting from the battle , and which ended up by the removal of the Safavid influence in Kurdistan .Also as a result of the Kurdish widespread revolts against them throughout most of the Kurdish country after the battle .

Chapter two considers the process of the Ottoman attempts to extend their influence in Kurdistan. It comprises three section: the first takes up the Ottoman expansion in Kurdistan during the reign of Sultan Salem I and it continues to demonstrate the Ottoman –Safavid struggle , which reached the depth of Kurdistan and the common Kurdistan –Ottoman military operations against the remaining Safavid garrisons in some parts of Kurdistan and which by the decisive battle of Koch hasar in 1516 which resulted in the defeat of Safavids and the end of their influence in the west of Zagros mountains.

The second section studies the Ottoman political and administrative organization in Kurdistan after the joining of considerable parts of Kurdistan nominally to the Ottoman influence ,it considers the Kurdish –Ottoman treaty in 1514 which organized the relation between the two parties ,then the firman (decree) of Sultan Salem I to Idris Bitlisi to commission him the task of the political and administrative organization of Kurdistan , it ends with an evaluation of the personality of Bitlisi and his role in Kurdish history .Section three is devoted to the expansions effected during the rule of Sulaiman the magnificent who directed two campaigns towards Iran , conquering some additional parts of Kurdistan such as the regions of Van ,Erzarom and Shahrazour , and also define the Ottoman attitude towards the Ardalan Emirate which opposed the Ottoman influence for some time .It then illustrates the administrative organization of Sultan Sulaiman in Kurdistan.

In **chapter three** the book studies the types of the polices pursued by the Ottomans to consolidate their influence in Kurdistan, pointing out the most important polices and their aims and the method of the execution and the supporting factors to carry them out, with giving some example in which the Ottoman authorities applied these policies in order that the subject takes its proper shape.

Chapter four is dedicated to the study of the attitudes of the Kurdish emirates and the neighboring states vis-à-vis the domination of the Ottoman Empire on Kurdistan, and which is divided into two sections; the first takes up the Kurdish position s which had taken two shapes; the was represented in the negative view point towards the Ottomans, and the second embodied in armed activities and uprisings

against the Ottomans dominance. The second section considers the attitudes of both Iran and Russia in Ottoman Kurdistan. The Persian policy was confined in her ambition in regaining her domination which she had lost as a result of the battle of Chaldiran, to that part of Kurdistan which is situated to the west of the Zagros mountains. It resulted in her constant interference in Kurdistan internal affairs, the section also demonstrates the Ottoman –Persian rivalry on Kurdistan, and which had taken the shape of intermittent wars which are interspersed with treaties that ended these wars temporarily. In the end it deals with the Russian policy in Kurdistan and which is embodied in attempts to gain their loyalty of Kurdish chieftains and take advantage of their military forces against the Ottomans.

Chapter five is devoted to an expatiation of the so-called in the second Ottoman campaign on Kurdistan and the fall of the Kurdish hereditary principalities, the new Ottoman policy of reforms had resulted in attempts of the enforcement of the central hegemony on the Ottoman provinces. And these attempts also engulfed Kurdistan which was riddled with armed revolts caused by the extremely bad situation in the second quarter of the 19th century. The Ottoman state had provided for a wide range campaign under the command of Muhammad Rashid pasha and after him Hafiz pasha to recapture Kurdistan, which was subjected to most abject injustices and destruction, and as a result of this onslaught the Kurdish principalities had fallen one after the other, such that successively the Soran emirate fell in 1836 after destruction of the uprising of Muhammad pasha of rawanduz, then the principality of badinan (1842) after a stiff resistance, then Botan (1847) when the Ottoman could prevail the insurrection of the Emir Bedirxan, after wards there came the end of Haqqari principality in 1849, and then Bitlis in the same year, and then the Baban emirates in185.and with these the chapter of the Kurdish legitimate political entities was closed in the history of Kurdistan.

The book closes with a study the factors of the failure of the Kurdish resistance, then the most important consequences which were resulted from the last campaign.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب المتغيرات السياسية التي شهدها كوردستان في اطار النفوذ العثماني بين سنتي ١٥١٤-١٨٥١. وتتمتع تلك الفترة بمميزاتها التأريخية الخاصة، كما أنها حافلة بالاحداث الخطيرة والمصيرية، اذ شهدت كوردستان في مستهل تلك الحقبة نقطة تحول هامة تمثلت في معركة چالديران الفاصلة في عام ١٥١٤ ومعارك اخرى تلتها ادت الى امتداد النفوذ العثماني ليشمل الجزء الاعظم من كوردستان. كما شهدت تلك الفترة بالاضافة الى الصراع العثماني الايرانى المتواصل، صراعاً مريراً بين السلطات العثمانية التي اتبعت سياسات مختلفة تمكنها من توسيع رقعة نفوذها في كوردستان، وبين الامارت الكوردية التي كانت تحاول الابقاء على كياناتها والحفاظ على أستقلالها الذاتي. ورغم أنَّ تلك المحاولات قد باءت بالفشل في اواسط القرن ١٩ حينما بدأت الدولة العثمانية محاولاتها للقضاء على الامارات والزعامات الكوردية، الا انها اصبحت بمثابة جذور الحركة الوطنية الكوردية.



MUKIRYANI
دەزگای توێژینەوەو بڵاوکردنەوەی
موکریانی
MUKIRYANI ESTABLISHMENT
FOR RESEARCH & PUBLICATION
www.mukiryani.com